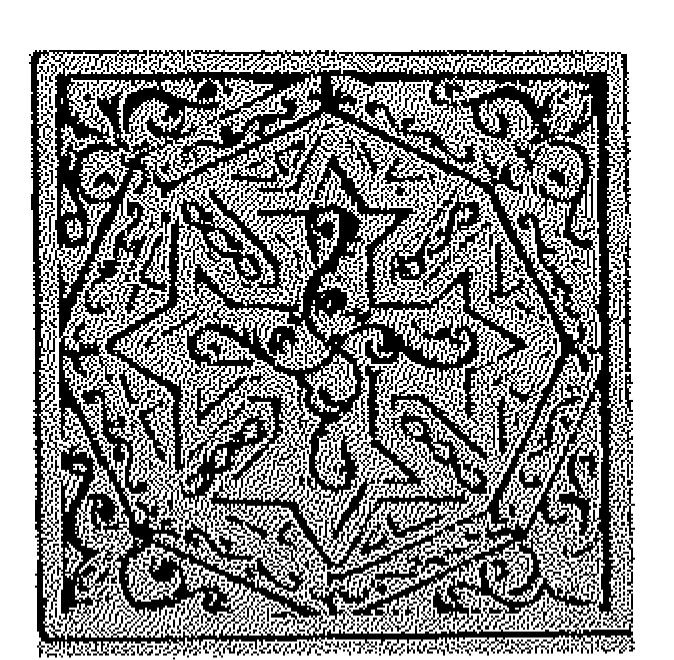
مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة



نصوص آبائية - ٥٧

تفسير إنجيل لوقا

(الجزء الخامس)

للقديس كيرلس الأسكندرى

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية
بالقاهرة
نصوص آبائية ـ ٥٧



للقديس كيرلس الأسكندري

(الجزء الخامس)

ترجمة

د. نصحي عبد الشهيد

يوليو ٢٠٠١م

تُرجم هذا الكتاب عن :

Commentary on The Gospel of St. Luke by St. Cyril Patriarch of Alexandria, 1983' Studion Publishers, INC, N.Y. U.S.A.

Originally Translated from Syriac by: R. Payne Smith & Published in English by Oxford Univ. Press, 1859.

اسم الكتاب : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الخامس)

اسم المؤلف : القديس كيرلس الأسكندري (عمود الدين)

اسم المترجم : دكتور نصحي عبد الشهيد بطرس

الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس ، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية

بالقاهرة: ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي ــ الدور الأول محطة

المحكمة مصر الجديدة ت: ٢٤١٤٠٢٣

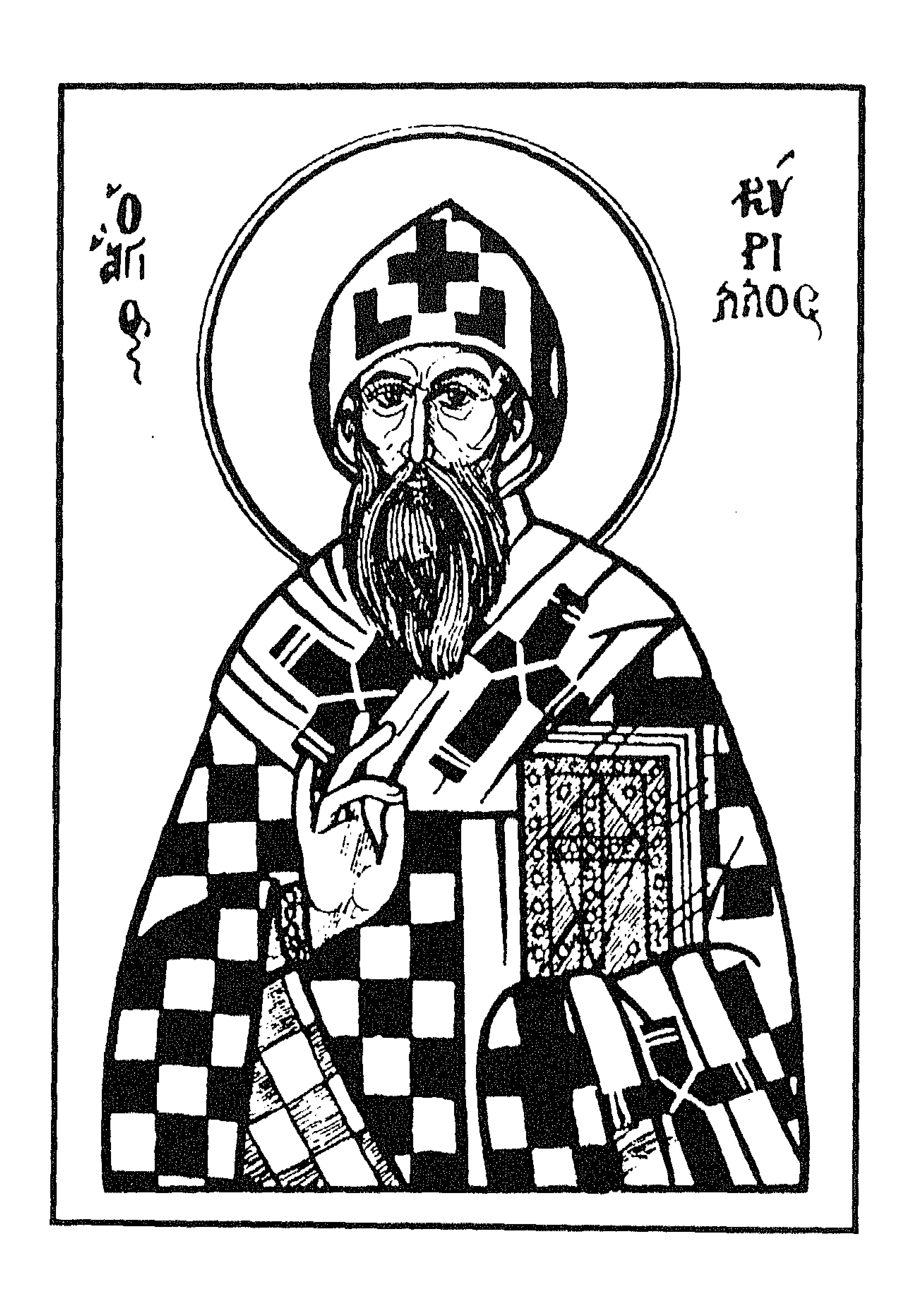
E-Mail: santonio@ritsec3.com.eg

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة

٢ ش المدارس حدائق القبة ٤٨٢٧٠٧٤ ــ ٤٨٢٣٥٧٨

رقم الإيداع : ١٠٥٧٨ لسنة ٢٠٠١ م

الترقيم الدولي : I . S .B . N . 977 - 5057 - 33 - 7



القديس كيرلس الأسكندري (عمود الدين)



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

مقدمة

هذا هو الجزء الخامس، والأخير، من كتاب " تفسير إنجيل القديس لوقا" للقديس كيرلس بطريرك الأسكندرية، وقد قمنا بالترجمة عن الترجمة الإنجليزية عن السريانية التى قام بها العالم باين سميث R. Payne Smith ونشرها بأكسفورد سنة ١٨٥٩م .

يحوى هذا الجزء الأخير " عظات القديس كيرلس " على تفسير الإصحاحات من التاسع عشر إلى الرابع والعشرين من الإنجيل للقديس لوقا وعددها ٢٨ عظة من عظة ١٢٧ إلى عظة ١٥٤.

وكنا قد نشرنا العظات من ١ ــ ١٢٦ فى أربعة أجزاء قبل هذا الجزء.

ونلفت النظر فى هذا الجزء إلى قول القديس كيرلس فى العظة ١٤١ عن الإفخارستيا أن [المسيح نفسه جُعل ذبيحة مقدسة لأجلنا وهو الذى يُقدِّس المؤمنين به " بتقديم قرابين غير دموية"، وتقديم " الشكر (الإفخارستيا) السرى"، الذى فيه " ننال البركة " ونُعطى "الحياة بالحياة"]، ويعلق العالم باين سميث Payne Smith الذى ترجم التفسير إلى الإنجليزية على الكلمة اليونانية المترجمة " تقديم الشكر السرى " فيقول "إنها تعنى الذى يخدم فى خدمة مقدسة "، ويقول: "هذه الكلمة هى كلمة رسولية واردة فى رومية ١٥: ١٦ المترجمة " مباشرًا لإنجيل الله ككاهن " وترجمتها الدقيقة " خادمًا فى الخدمة الكهنوتية لإنجيل الله"، ويقول باين سميث أيضًا إن الكلمة " ننال البركة " فى عظة ١٤١ كانت تُطلق فى العصور الأولى بصفة ثابتة على الإفخارستيا استنادًا إلى كورنثوس الأولى

١٠:١٦ " كأس البركة ". ويقول خاتمًا تعليقه الهام هذا: " إن استخدام هذه الكلمات يظهر العلاقة الوثيقة التكاملية بين الحياة الليتورجية للمسيحيين الأول وبين فهمهم للكتاب المقدس" (أنظر هامش على عظة ١٤١ بالترجمة الإنجليزية للتفسير).

وأقدم الشكر لكل الذين ساهموا معى فى ترجمة هذه العظات وفى مراجعتها ، عوضهم الله كل نعمة وبركة الآن وفى الملكوت الآتى .

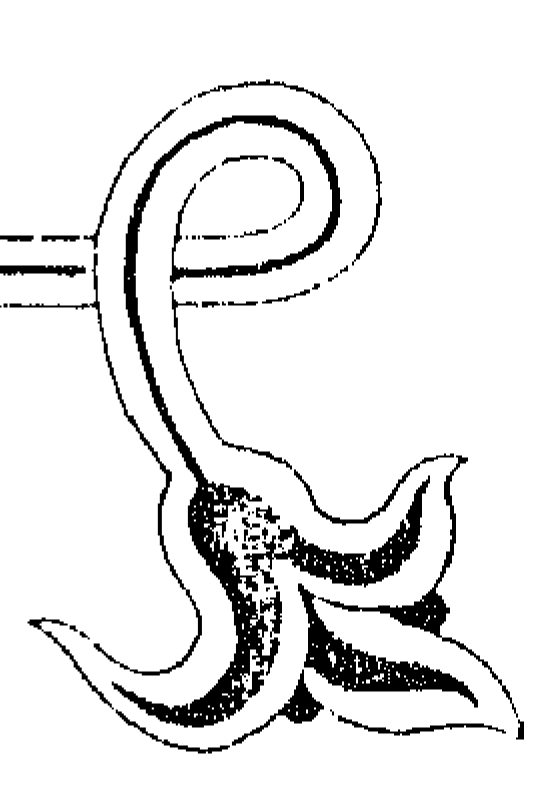
بركة القديس لوقا البشير وصلوات القديس كيرلس الأسكندرى الكبير، وصلوات قداسة البابا شنودة الثالث فلترافق هذا الكتاب لمنفعة كل من يقرأ أو يسمع .

ولإلهنا الثالوث القدوس محب البشر الآب والابن والروح القدس كل مجد وتسبيح وسجود الآن وإلى الأبد . آمين .

دكتور
نصحى عبد الشهيد

بيت التكريس لخدم الكرازة
فى ١٠ يوليو ٢٠٠١م
٣ أبيب ١٧١٧ش
عيد نياحة القديس كيرلس عمود الدين





الإصحاح التاسع عشر



ثم دخل واجتاز في أريحا، وإذا رجل
اسمه زكا وهو رئيس للعشارين
وكان غنيًا

الإصحاح التاسع عشر

عظة ١٢٧

يسوع وزكا

لوقا١٩: ١ــ١٠

" ثم دخل واجتاز في أريحا، وإذا رجل اسمه زكا وهو رئيس للعشارين وكان غنيًا، وطلب أن يري يسوع من هو ولم يقدر من الجمع لأنه كان قصير القامة، فركض متقدمًا وصعد إلى جميزة لكي يراه ، لأنه كان مزمعًا أن يمر من هناك. فلما جاء يسوع إلى المكان نظر إلى فوق فرآه وقال له: يا زكا أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك. فأسرع ونزل وقبله فرحًا. فلما رأي الجميع ذلك تذمروا قائلين إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ. فوقف زكا وقال للرب: ها أنا يارب أعطى نصف أموالي للمساكين وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف، فقال يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضًا ابن إبراهيم ، لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك . " .

كان زكا[1] رئيسًا للعشارين، وكان رجلاً مستعبدًا تمامًا للطمع، وكان هدفه الوحيد هو أن يزيد أرباحه، لأن هذا هو ما كان يفعله العشارون، مع

---

[1] الفقرات التالية والمأخوذة من المخطوط اليوناني للكردينال ماى لا يمكن أن تكون أصلاً للقديس كيرلس، إنما من المحتمل أن تخص كاتب آخر أقل منه دقة. وهذه الفقرات تعتمد أساسًا في شرح الآية على الجناس (التورية) بين كلمة الجميزة وهي συκο μορεα باليونانية، وكلمة غبي وهي μωρος باليونانية. ولكن لا يوجد مثل هذا الاستخدام في كتابات القديس كيرلس، لأنه فيما يتمسك القديس بأن العهد القديم هو مثال كامل متطابق تمامًا مع العهد الجديد، ويرى أن أسراره الغامضة

أن بولس يدعوه (أي الطمع) عبادة أوثان (كو٣:٥)، وهذه العبارة تناسب فقط أولئك الذين ليست لهم معرفة بالله. وحيث إنهم بلا خجل يجاهرون علانية بهذه الرذيلة، فإن الرب قد ألحقهم عن صواب جدًا بالزوانى، عندما قال لرؤساء اليهود: " *إن الزوانى والعشارين يسبقونكم إلى ملكوت الله* " (أنظرمت٢١:٣١). أما زكا فلم يستمر بين صفوفهم، بل حسبه المسيح جديرًا بالرحمة لأنه هو الذي يقرب البعيدين، ويعطى نورًا لأولئك الذين في الظلمة .

تعالوا إذن لنري كيف كانت طريقة اهتداء زكا، لقد رغب أن يرى يسوع، ولذلك صعد إلى جميزة، وهكذا فإن بذرة الخلاص نبتت داخله، والمسيح رأى بعيني لاهوته، قبل أن ينظر إلى فوق ليراه بعينيه البشريتين[٢]. وحيث إن قصده بالنسبة لجميع البشر هو أن يخلصوا، فإنه بسط لطفه إليه وشجعه وقال له: " *أسرع وانزل*". إن زكا طلب أن يراه لكن الجمع منعه، ولكن لم يكن سبب المنع هو الناس، بقدر ما كانت خطاياه هي المانع، " *وهو كان قصير القامة*"، ليس فقط من وجهة نظر جسدية، بل أيضًا من وجهة روحية؛ ولم يكن بإمكانه أن يراه بطريقة أخرى إلاّ بأن يرتفع عن الأرض ويصعد إلى الجميزة التي كان المسيح مزمعًا أن يمر

تطل بظلالها في أصغر أحداثها على العهد الجديد، إلاّ أن القديس في معالجته للعهد الجديد، يكون أكثر اتساعًا، حيث يتبع المعنى الظاهر للكلمات أساسًا، بل ويدين صراحة التفاصيل الجزئية (كما = = هو مذكورفي عظة ١٠٨ عن الغني ولعازر ـ راجع أيضًا " تفسير إنجيل لوقا ـ الجزء الأول ص ١٣،١٤ تحت عنوان ملاحظات على طريقة القديس كيرلس في التفسير ") وبينما ينسب ماى فقرات من هذه النوعية المخالفة لطريقة تفسير القديس كيرلس للعهد الجديد ، فإن السريانية تتجاهلها تمامًا .

[٢] راجع الهامش السابق

بها. والآن فإن القصة تحوى لغزًا داخلها، فلا توجد طريقة أخرى يستطيع بها الإنسان أن يري المسيح ويؤمن به إلاّ بأن يصعد إلى الجميزة، إلاّ بأن يعتبر أعضاءه التي على الأرض، الزنا، النجاسة..إلخ، أن يعتبرها حمقاء. إن المسيح كان مزمعًا أن يمر بالجميزة، ولأنه حدد لطريقه أن يعبر على الناموس، أي شجرة التين (الجميزة)، فإنه قد اختار جهالات العالم أي الصليب والموت[٣]. وكل من يحمل صليبه ويتبع كلام المسيح يخلص إذا ما عمل الناموس بفهم (روحي)، وكأنه شجرة تين لا تحمل تينًا بل حماقات (بالمعنى الروحي)، لأن السلوك الخفي للمؤمنين يبدو لليهود أنه حماقة، الذي هو عبارة عن قطع الرذيلة والتطهير منها، والامتناع عن الممارسات الرديئة، مع أنهم غير مختونين بالجسد بالمعنى اليهودي للختان ولا يحفظون السبت. لذلك إذ علم المسيح أن زكا كان مهيأ للطاعة وغيورًا للإيمان ومستعدًا أن يتغير من الرذيلة إلى الفضيلة، لذلك فإنه دعاه أيضًا، وبالطبع فإن زكا سوف يترك شجرة التين (الجميزة)[٤] ليربح المسيح. لذلك أسرع ونزل وقبل المسيح بفرح ، ليس فقط لأنه رآه كما كان يرغب ، بل أيضًا لأن المسيح قد دعاه، ولأنه قبله ليقيم عنده، الأمر الذي لم يكن يتوقعه أبدًا .

(لو١٩:٥) " يا زكا أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك"

كان هذا من فعل سبق المعرفة الإلهية لأنه عرف جيدًا ما كان سيحدث، فهو رأي أن نفس زكا كانت مستعدة جدًا لأن تختار حياة مقدسة، ولذلك

---

[٣] راجع (١كو١:٢١ــ٢٥) .

[٤] أي التي ترمز إلى اليهودية .

هداه إلى التقوى، لذلك فإن الرجل قبل المسيح بفرح، وكان هذا بداية تحوله إلى الصلاح، وتخليه عن أخطائه السابقة، وأن يستودع نفسه بشجاعة لطريق أفضل.

لكن ربما يقول أحد للمسيح مخلصنا جميعًا: [ماذا تفعل يارب ؟ هل تمضي لتمكث مع زكا ؟ وهل تتنازل وتقيم مع رئيس العشارين ؟ إنه لم يغتسل بعد من وصمة حبه الجشع للربح القبيح، إنه لا يزال مريضًا بالطمع أصل كل الجرائم، لا يزال مملوءًا بعيب السلب والاغتصاب] .

ويجيب (المسيح) : نعم أنا أعرف هذا تمامًا، أنني أنا هو الله بالطبيعة، وأرى طرق كل إنسان على الأرض. وما هو أكثر من هذا، أنا أيضًا أعرف الأشياء المستقبلة. أنا دعوته إلى التوبة لأنه مستعد لها، ومع أن الناس يتذمرون ويلومون لطفي، فإن الحقائق نفسها سوف تبرهن على أنهم مخطئون. يقول النص: " **فوقف زكا وقال للرب ها أنا أعطى نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف** " .

ها أنتم ترون توبته، تغيره السريع نحو طريق أفضل، إسراعه نحو التقوى، محبته السخية للفقراء والذي كان قبلاً عشارًا بل رئيسًا للعشارين، والذي أسلم نفسه للطمع وانشغل بالربح، في الحال صار رحيمًا ومكرسًا لأعمال المحبة. إنه يعد بأن يوزع ثروته للمحتاجين، وإنه سيعوض° كل

° تضيف " سلسلة المقتطفات The Catenist " أن رد الأربعة أضعاف كان مصدره الناموس : "إذا سرق إنسان ثورًا أو شاه فذبحه أو باعه ، يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاه بأربعة من الغنم " (خر٢٢:١) ، كما أن داود أوصي بهذا :" ويرد النعجة أربعة أضعاف ، لأنه فعل هذا الأمر ولم يشفق " (٢صم١٢:٦) .

من غشهم، وهذا الذي كان عبدًا للطمع جعل نفسه فقيرًا وتوقف عن الاهتمام بالأرباح .

لذلك، فليت جموع اليهود لا يتذمرون عندما يُخلّص المسيح الخطاة، بل ليجيبوننا عن هذا: هل يوجد لديهم أطباء ينجحون في جلب الشفاء حينما يفتقدون المرضى؟ هل يمتدحونهم عندما يستطيعون أن يخلصوا المرضى من قروح بشعة أم يلومونهم ويمتدحون أولئك غير الماهرين في عملهم بل هم كما أظن، سوف يحكمون بالأفضلية للماهرين في مساعدة كل من يعانون من الأمراض. فلماذا يلومون المسيح إذن، إذ أنه عندما كان زكا ساقطًا ومدفونًا في أمراض روحية، أقامه المسيح من حُفر الهلاك .

ولكي يعلمهم هذا يقول لهم: " *اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضًا ابن لإبراهيم* "، لأنه حيث يدخل المسيح، فبالضرورة يكون هناك خلاصٌ أيضًا. لذلك ليت المسيح يكون فينا نحن أيضًا، وهو يكون فينا عندما نؤمن، لأنه يسكن في قلوبنا بالإيمان ونكون نحن منزلاً له. لذلك كان من الأفضل لليهود أن يبتهجوا لأن زكا خلص بطريقة مدهشة، لأنه هو أيضًا حُسب من أبناء إبراهيم الذين وعدهم الله بالخلاص في المسيح، بواسطة الأنبياء القديسين قائلاً : " *سوف يأتي مخلص من صهيون وينزع الآثام عن يعقوب، وهذا هو عهدي معهم، عندما أحمل خطاياهم* " (إش ٥٩: ٢٠، ٢١س)، وليطلب من كانوا مفقودين، وليخلص من قد هلكوا. لأن هذا هو عمله، وهذا هو ثمر لطفه الإلهي. وهو يحسب كل الذين آمنوا به جديرين بهذا (الخلاص)، هو الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين . آمين .

عظة ١٢٨

مثل الأمناء[٦]

المسيح الملك

لوقا١٩ : ١١ــ٢٧

" وإذ كانوا يسمعون هذا عاد فقال مثلا لأنه كان قريبا من أورشليم وكانوا يظنون ان ملكوت الله عتيد ان يظهر في الحال. فقال. إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكا ويرجع. فدعا عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم تاجروا حتى آتي. وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا. ولما رجع بعد ما اخذ الملك أمر أن يدعى إليه أولئك العبيد الذين أعطاهم الفضة ليعرف بما تاجر كل واحد. فجاء الأول قائلا يا سيد مناك ربح عشرة أمناء. فقال له نعما أيها العبد الصالح. لأنك كنت أمينا في القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن. ثم جاء الثاني قائلا يا سيد مناك عمل خمسة أمناء. فقال لهذا أيضاً وكن أنت على خمس مدن. ثم جاء آخر قائلا يا سيد هوذا مناك الذي كان عندي موضوعا في منديل. لأني كنت أخاف منك إذ أنت إنسان صارم تأخذ ما لم تضع وتحصد ما لم تزرع. فقال له من فمك أدينك أيها العبد الشرير.عرفت أني إنسان صارم آخذ ما لم أضع وأحصد ما لم أزرع. فلماذا لم تضع فضتي على مائدة الصيارفة فكنت متى جئت أستوفيها مع ربا. ثم قال للحاضرين خذوا منه المنا وأعطوه للذي عنده العشرة الأمناء. فقالوا له يا سيد عنده عشرة أمناء. لأني أقول لكم إن كل من له يُعطى. ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه.

---

[٦] المفرد منا mina وهو يعادل حوالي ٧ دولار .

أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي . " .

لنتقدم مرة أخرى، ولنفتح عين الذهن باتساع لكيما ننال نور التعاليم المقدسة الذي يسكبه المسيح بغنى على أولئك الذين يحبونه، لأنه هو أيضًا النور الحقيقي ينير الملائكة والرئاسات والعروش والسيادات، بل وأيضًا السيرافيم المقدسين، ويشرق أيضًا في قلوب أولئك الذين يخافونه. لذلك فلنسأل الاستنارة التي يمنحها، لكي إذ نفهم بالضبط قوة المثل الموضوع أمامنا يمكننا أن نختزن في أذهاننا ككنز روحي، المنفعة التي يقدمها لنا .

لذلك فإن مجال المثال يبين باختصار المغزى الكامل للتدبير الذي كان من نحونا، ويمثل سر المسيح من البداية إلى النهاية. لأن الكلمة الذي هو الله صار إنسانًا، ومع أنه صار في شبه جسد الخطية، ولأجل هذا أيضًا دُعي عبدًا، إلاّ أنه كان ولا يزال حر المولد[٧]، لكونه مولود من الآب بطريقة تفوق الوصف، نعم! هو أيضًا إله يفوق الكل في الطبيعة وفي المجد، ويفوق كل أمور وضعنا (البشري)، بل أيضًا يفوق كل الخليقة بملئه الذي لا يُقارن. لذلك فالإنسان هو حر المولد بسبب كونه ابن الله، ولكنه ليس مثلما نحن مدعوون لهذه التسمية بسبب صلاحه ومحبته للبشر، إن شرف جنسه (حرية مولده) تخصه بالطبيعة لأنه من الآب بالولادة، وأيضا بسبب أنه يسمو على كل ما هو مخلوق، لذلك، فعندما صار الكلمة، الذي هو صورة الآب والمساوي له، مثلنا، فإنه أطاع حتى الموت موت

[٧] الكلمة اليونانية εὐγενὴς تُرجمت في الترجمة الإنجليزية المعتمدة A.V nobleman التي تعنى شريف الجنس ــ أما في السريانية فتعنى حر المولد freeborn ، التي ترادف شريف الجنس .

الصليب، لذلك رفَّعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب أمين (في٢:٨ ــ ١١) . فهل أعطى الآب الاسم الذي فوق كل اسم للابن كمن هو ليس بالطبيعة إلهًا ؟ وكيف ــ لو صح هذا ــ لا يكون قد استُعلن لنا إله جديد ؟ ولكن الكتاب المقدس ينطق بصوت عالٍ قائلاً : " *لا يكن فيك إله* جديد *ولا* تسجد *لإله أجنبي* " (مز ٨٠:٩س). لكنه ، إنما سيكون (إله) مختلف وغريب عن الله لو لم يكن منه بالطبيعة .

فالابن بالتأكيد هو إله بالطبيعة، ولكن كيف أعطاه الآب اسمًا فوق كل اسم؟! عن هذا نقول إنه عندما صار جسدًا، أي صار إنسانًا مثلنا، فإنه أخذ اسم عبد واتخذ فقرنا وحالتنا الوضيعة، أما عندما أكمل سر التدبير في الجسد، فإنه عاد إلى المجد الذي كان له بالطبيعة، لا كشيء غريب عنه غير مألوف لديه، أو كشيء يصبح حقًا له من الخارج، أي أُعطي له من آخر، بل بالأحرى كشيء خاص به وقد كان له أصلاً، لأنه قال لله الآب الذي في السماء : " مجدني *أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم* " (يو١٧:٥)، ولأنه موجود قبل الدهور وقبل العالمين كواحد مع الله وهو الله، فقد كان متسربلاً بالمجد الذي يخص الألوهة، وكما قلت فإنه لما صار إنسانًا لم يتعرض لأي تبديل أو تغيير، بل استمر في الحالة التي كان موجودًا عليها دائمًا مثل الحالة التي كانت للآب الذي ولده، أي مثله في كل شئ، لأنه هو أيضًا " *صورة أقنومه*" (عب١:٣) الذي بمقتضى طبيعته يملك كل شئ يخص ذاك الذي ولده، أقصد أنه من نفس الجوهر وله مساواة لا تسمح بأي اختلاف، وهو مثله في كل شئ. لذلك

لكونه إلهًا بالطبيعة قد قيل إنه نال من الآب الاسم الذي هو فوق كل اسم (وذلك) عندما صار إنسانًا لكيما يتم الإيمان به كإله وملك على الكل حتى وهو في الجسد الذي كان متحدًا به .

لكن عندما احتمل الآلام على الصليب لأجلنا، ولاشى الموت بقيامة جسده من بين الأموات، فإنه صعد إلى الآب، وصار كإنسان مسافر إلى كورة بعيدة (عدد١٢)، لأن السماء كورة مختلفة عن الأرض، وهو صعد لكيما ينال لنفسه ملكًا. هنا أتوسل إليكم أن تتذكروا أيضًا كلمات الطوباوي بولس الذي يقول: " *هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح* " (٢كو١٠:٥) ، لأنه كيف يمكن أن الذي يملك على الكل مع الآب، يصعد إليه لينال ملكًا ؟ فأجيب أن الآب يعطي الابن أيضًا هذا الملك من جهة كونه صار إنسانًا، لأنه عندما صعد إلى السموات جلس عن يمين العظمة في الأعالي، منتظرًا أن يوضع أعدائه تحت قدميه، لأنه قيل له من الآب: " *اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك* " (مز١٠٩:١س) .

والنص هنا يقول: " *وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه* ". وبالمثل يوبخ المسيح جموع اليهود قائلاً : " *لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي* " (يو ١٥:٢٤). إنهم لم يريدوا أن يملك المسيح عليهم، بينما كان الأنبياء القديسين دائمًا ينطقون بنبوات عن المسيح على أنه ملك. لأن واحدًا منهم يقول " *ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون، لأنه هوذا ملكك يأتي إليك، هو عادل ومخلص ووديع وراكب حمار وعلى جحش صغير*" (زك٩:٩س). والطوباوي إشعياء يقول عنه وعن الرسل القديسين: " *هوذا ملك عادل*

سوف يملك، ورؤساء بالحق يترأسون" (إش٣٢: ١س)، والمسيح نفسه أيضًا يقول بصوت المرنم في موضع ما: " *أما أنا فقد أقمت منه ملكًا على صهيون جبل قدسه لأكرز بأمر الرب* " (مز٢: ٦) .

أما هم فأنكروا عليه ملكه، لأنهم عندما تقدموا إلى بيلاطس قائلين " *خذه خذه اصلبه، سألهم أو قال لهم بالأحرى باستهزاء: أ أصلب ملككم*؟" فأجابوا بكلمات شريرة : "*ليس لنا ملك إلاّ قيصر* " (يو١٩: ١٥). لذلك فإذ أنكروا مُلك المسيح، فإنهم سقطوا تحت سيادة إبليس وجلبوا على أنفسهم نير الخطية الذي لا يمكن طرحه، كما لن تتحرر رقابهم، مع أن المسيح دعاهم (إلى الحرية) بقوله: "*كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد، فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا*" (يو٨: ٣٤ــ٣٩). وأيضًا قوله: " *إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم* " (يو٨: ٣١ــ٣٢). لكن إسرائيل في جنونه لم يفصح قلبه للتعلم، ولذلك استمر في العبودية، لأنه رفض أن يعرف المسيح، الذي يحرر .

وفي هذه الفرصة لن استمر أكثر من هذا، مرجئًا إلى وقت آخر التأمل في بقية المثل لئلا يتسبب الحديث الطويل في إرهاق المتكلم ويكون مملاً لمن يسمعون. وليت المانح والمعطى لكل الخيرات يباركم جميعًا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الأبدين . آمين .

عظة ١٢٩

مثل الأمناء (الوزنات) تابع

ب ـ شرح المثل

لوقا١٩: ١١ـ٢٧

يهرب المديونون من مداينيهم لأنهم يعرفون أنهم مزعجون. لكن ليس الأمر هكذا بالنسبة لي، لأنني جئت لأفي بدَيني وأحقق ما وعدت به، بل وإني أتعقب المداينين بدلاً من أن يتعقبوني هم. فما هو إذن الشيء الذي وعدت به وما هو الدين ؟ في اجتماعنا الأخير قُرىء علينا مثل طويل، ولم نكمل شرح سوى جزء صغير منه واحتفظنا بالباقي لاستكماله في اجتماعنا المقدس هذا. وكان المثل كما يلي : " *إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلكًا ويرجع، فدعا عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم تاجروا حتى آتي. وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا* "، ثم أضاف على هذا الكلام أيضًا إنه لما عاد الإنسان الشريف الجنس بعدما أخذ المُلك، طلب من أولئك العبيد الذين وزع عليهم الأمناء أن يقدموا حسابًا عن تجارتهم .

في شرحنا السابق أوقفنا كلمتنا التي كانت بأقصى سرعة عند عبارة أن أهل مدينته أبغضوه ولم يريدوا أن يملك عليهم. والآن سأحدثكم عن أولئك العبيد الذين ائتمنهم سيدهم على الأمناء وأستقصي عن من هم الذين تاجروا ولذلك تم تكريمهم ومن الجهة الأخرى من هو المُشار إليه بأنه عبد كسول وبليد ، الذي أخفى الوزنة ولم يربح عليها شيئًا ، ولهذا السبب جلب على نفسه دينونة صارمة .

لذلك فإن المخلص يوزع على من يؤمنون به أنواعًا من المواهب الإلهية، ونحن نؤكد أن هذا هو المعنى المقصود من الوزنة. وفي الواقع فهناك فرق عظيم بين أولئك الذين أخذوا الوزنات وأولئك الذين أنكروا مُلكه تمامًا لأن الذين طرحوا نير مُلكه فهؤلاء هم متمردون، بينما الآخرون قد اكتسوا بمجد خدمته . لذلك فكعبيد أمناء فقد استأمنهم سيدهم على ثروته حتى إذا ما ربحوا شيئًا بالمتاجرة بها، يمكنهم أن ينالوا المدح اللائق بالخدمة الأمينة، وأيضًا أن يُحسبوا جديرين بتلك الكرامات التي تدوم إلى الأبد أما بخصوص طريقة التوزيع ومن هم الأشخاص، وماذا تعنى الوزنات التي وزعها (الله) ــ وإذ لا يزال يوزعها إلى هذا اليوم، فهذه يبينها الكتاب المقدس بوضوح. فإن بولس الطوباوي يقول: " *أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد، وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد، وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في كل إنسان* " (١كو١٢: ٤ــ٦). وإذ يشرح بعد ذلك ما قاله، فإنه يقرر أيضًا أنواع المواهب على النحو التالي: " *فإنه لواحد يُعطى كلام حكمة، ولآخر كلام علم، ولآخر ايمان، ولآخر مواهب شفاء* " وهكذا (١كو١٢،٩:٨). ولذلك فإننا نجد أن تنوع المواهب واضح في هذه الكلمات .

أظن أنه بعد هذا يجب عليّ أن أذكر من هم الذين ائتمنهم المسيح على هذه المواهب، بحسب قياس استعداد كل واحد وميله. لأنه يعرف كل ما هو في داخلنا، إذ أنه هو الله ذاته الذي يفحص الكُلي والقلوب. لكن لنلاحظ أن إنجيليًا آخر هو على وعي باختلاف في كمية الوزنات التي تم توزيعها فيقول: " *أعطى واحد خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة* " (مت ٢٥: ١٥). أنت ترى أن التوزيع قد صار بحيث يناسب قياس الملكات التي

لكل واحد. فبالنسبة لأولئك الذين ائتمنوا على الوزنات فهلموا ولنعلن على قدر طاقتنا من يكون هؤلاء. إنهم أولئك الكاملون في الذهن الذين يناسبهم الطعام القوى، والذين لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر (عب٥:١٤). هم أولئك الماهرون في التعليم باستقامة وعلى معرفة بالتعاليم المقدسة، الذين يعرفون كيف يوجهون أنفسهم والآخرين إلى كل عمل أفضل، وباختصار فهكذا كان التلاميذ الحكماء فوق كل الآخرين. ثم يأتي بعد ذلك هؤلاء الذين خلفوهم في خدمتهم، أو الذين يقومون بهذه الخدمة اليوم أي المعلمون القديسون القائمون على رئاسة الكنائس المقدسة، الذين يسوسون الشعوب ويعرفون كيف يرتبون كل شئ لمنفعة أولئك الخاضعين لهم. ويمنح المخلص مواهب إلهية متنوعة لهؤلاء حتى يكونوا أنوارًا في العالم ومتمسكين بكلمة الحياة (في٢:١٦،١٥). وهم بوعظهم للشعب الذي تحت رعايتهم وبإعطائهم المشورة التي هي نافعة للحياة، وإذ يجعلونهم ثابتين ولهم إيمان مستقيم وبلا لوم، فإنهم إنما يربحون بالمتاجرة وزنتهم ويسعون إلى النمو الروحي. إنهم مطوبون جدًا ويربحون النصيب الذي يليق بالقديسين، لأنه عندما يعود الإنسان الشريف الجنس ــ أي المسيح ــ بعد أخذه المُلك، فسوف يُحسبون جديرين بالمدح، ويبتهجون بإكرامات فائقة. لأنهم إذ يُضاعفون الوزنة عشر مرات أو خمس مرات، وذلك بربحهم أناسًا كثيرين فإنهم سوف يُقامون على عشر أو خمس مدن، أي أنهم سوف يصيرون رؤساء أيضًا ليس فقط على من ترأسوا عليهم سابقًا بل أيضًا على آخرين كثيرين. لأجل هذا السبب نجد القديسين يمجدون ويقدمون تسابيح عرفانهم الصاعد إلى المسيح الذي يكللهم ويقولون بفم المرنم: " *أخضع الشعوب لنا والأمم تحت أقدامنا* " (مز٤٦:٣س). أما أن

تكون الممارسة والقصد المجتهد للقديسين أن يجعلوا أولئك الذين يعلموهم شركاء للنعمة التي أعطاها المسيح لهم، فهكذا يمكن لأي شخص أن يتعلمه من الرسالة التي أرسلها الطوباوي بولس للبعض ويقول : "*لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم*" (رو ١:١١). كما يشهد أيضًا لتلميذه تيموثاوس : "*لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بوضع يدي* " (١تي ٤:١٤). لأنه يريده أن يسمو في تعليمه لرعيته. والمخلص نفسه يقول أيضًا في موضع ما في مثل آخر: "*من هو العبد الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه ؟ طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا بالحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع ما له* " (لو ١٢:٤٢ــ٤٤). وما معنى إنه يعطي العبيد رفاقه الطعام سوى أنه يوزع على الذي أوكل إليه رعايته منفعة الإرشاد الروحي، ويشبع بالزاد الروحي أولئك الجياع إلى البر ؟ .

لذلك توجد كرامات وانتصارات وأكاليل لمن تعبوا وأحبوا الخدمة، لكن يوجد خزي لأولئك الذين تسلط عليهم الكسل. لأن الذي أخفى مناه في منديل صار عرضة لدينونة مرعبة، لأنه تقدم إلى سيده قائلاً " *هوذا ما لك*". لكن السيد قال له: إن القصد الذي أخذت لأجله المنا ليس لكي تحفظه في خفية، وإن كنت قد عرفت إني إنسان صارم أحصد ما لم أزرع وأجمع ما لم أضع، فهذا الأمر نفسه يجعل ذنبك أثقل، وهو لا يعطي عذراً مقبولاً لتكاسلك، وإن كنت إنسانًا صارمًا أحصد ما لم أزرع، فلماذا لم تعطى الهبة التي أُغدقت عليك ــ أي المنا ــ للصيارفة؛ أي لماذا لم تستثمرها لسعادة أو لمنفعة أولئك الذين يعرفون جيدًا كيف يتاجرون بما قد أخذوه منك ؟ فكنت متى جئت أستوفيه، أي أن أستعيده مرة أخرى مع ربح. لأنه من

واجب المعلمين أن يزرعوا ويغرسوا المشورة النافعة والخلاصية في أذهان سامعيهم، أما أن يدعوا للطاعة أولئك الذين يعلمونهم، وأن يجعلوا ذهنهم مثمرًا جدًا فهذا إنما هو من فعل تلك القوة التي يمنحها الله. هذا هو الربح، لأن أولئك الذين يسمعون الكلمات المقدسة، وقتما يقبلون في ذهنهم منفعتها أي قوة الكلام، ويجتهدون بفرح في العمل الصالح حينئذ فهم يقدمون ما أعطى لهم مع زيادة .

لذلك يقول السيد خذوا منه المنا وأعطوه للذي عنده العشرة أمناء، لأني أقول لكم إن كل من له يُعطى، ومن ليس له فحتى الذي يظنه له يؤخذ منه، لأن ذلك العبد الكسول تجرد حتى من الهبة التي أُغدقت عليه، أما أولئك الذين تقدموا في الطريق الأفضل وبرهنوا على أنهم مرتفعون فوق التكاسل والتراخي، فسوف ينالون بركات جديدة من فوق، وإذ قد امتلأوا بالمواهب الإلهية فسوف يرتفعون إلى نصيب مجيد ومثير للإعجاب.

أما وقد رأينا أمجاد القديسين فهلموا لنفحص عذابات الأشرار الذين لا يريدون أن يملك عليهم ذلك الإنسان الشريف الجنس. يقول: " *أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي* ". كان هذا مصير الجنس الإسرائيلي لأنهم إذ أنكروا مُلك المسيح، فإنهم سقطوا في بلايا شديدة، ولأنهم أشرار، فقد هلكوا هلاكا رديا. كذلك زمرة الهراطقة الأشرار، أيضًا ينكرون مُلك المسيح، كما يفعل جميع أولئك الذين ــ إذ يهملون واجب الحياة باستقامة ــ يمضون حياتهم في النجاسة والخطية. وهؤلاء أيضًا يكابدون عقوبة مثل التي لأولئك المذكورين أعلاه، وسوف يمضون إلى الهلاك .

أما نحن، فالمسيح يسود علينا كملك، ولنا رجاء صالح أننا أيضًا سوف نُحسب مستحقين لنصيب القديسين. ويوضع حول رؤوسنا الإكليل اللائق بالثابتين، لأن هذا أيضًا هو هبة من المسيح مخلصنا جميعًا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين .



عظة ١٣٠

يسوع يدخل أورشليم

لوقا١٩ :٢٨ـــ ٤٠

" ولما قال هذا تقدم صاعدًا إلى أورشليم، وإذ قرب من بيت فاجي وبيت عنيا عند الجبل الذي يدعى جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه قائلاً: اذهبا إلى القرية التي أمامكما، وحين تدخلانها تجدان جحشًا مربوطًا لم يجلس عليه أحد من الناس قط. فحلاه واتيا به، وإن سألكما أحد لماذا تحلانه ؟ فقولا له هكذا إن الرب محتاج إليه، فمضى المرسلان ووجدا كما قال لهما. وفيما هما يحلان الجحش قال لهما أصحابه لماذا تحلان الجحش؟ فقالا الرب محتاج إليه، وأتيا به إلى يسوع وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع. وفيما هو سائر فرشوا ثيابهم في الطريق، ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا، قائلين مبارك الملك الآتي باسم الرب، سلام في السماء ومجد في الأعالي، وأما بعض الفريسيين من الجمع فقالوا له يا معلّم انتهر تلاميذك، فأجاب وقال لهم أقول لكم إنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ " .

يسبح التلاميذ المسيح مخلص الكل ويدعونه باسم الملك، والرب، وأنه سلام السماء والأرض . ولنسبحه نحن أيضًا آخذين قيثارة المرنم ونقول : " *ما أعظم أعمالك يارب، بحكمة صنعتها* " (مز١٠٣: ٢٤س)، لأنه لا يوجد شئ من كل الأعمال التي صنعها إلاّ (وصنعها) بحكمة، فهو يوجه كل ما هو نافع، بالأسلوب المناسب له، ويُحدِّد لأفعاله الأوقات التي تناسبها. وطالما كان من المناسب أن يجتاز بلاد اليهود ساعيًا أن يكتسب كثيرين

إلى النعمة التي بالإيمان عن طريق الدروس والنصائح الفائقة على الناموس، فإنه لم يتوقف عن فعل هذا. أما وقد دعاه الوقت أخيرًا إلى تلك الآلام التي هي لخلاص العالم كله، ليحرر سكان الأرض من طغيان العدو، ويبطل الموت، ويبيد خطية العالم، فإنه يصعد إلى أورشليم وهو يكشف للإسرائيليين أولاً حقيقة واضحة، ألاّ وهي أن شعبًا جديدًا من بين الوثنيين سوف يخضع له، بينما هم أنفسهم يصيرون مرفوضين كقتلة للرب .

وماذا كانت العلامة إذن؟ إنه جلس على جحش كما سمعنا بوضوح منذ قليل من الإنجيلي المبارك. لكن ربما يقول قائل: " عندما كان يجتاز في اليهودية كلها " ــ لأنه كان يعلم في مجامعهم ، كما كان يصنع المعجزات أيضًا ــ فإنه لم يطلب دابة ليركبها. وبينما كان يمكنه أن يشتري واحدة فإنه لم يفعل مع أنه كان كثيرًا ما يتعب في الطريق من رحلاته الطويلة ، كما هو مكتوب فإنه تعب من السفر عند اجتيازه السامرة (يو٤:٦). من يمكنه (إذن) أن يجعلنا نصدق أنه عندما كان ذاهبًا من جبل الزيتون إلى أورشليم ــ وهما مكانان يفصلهما مسافة قصيرة جدًا ــ سوف يحتاج إلى جحش؟ ولماذا عندما كان الجحش مصحوبًا بأمه لم يأخذ المسيح الأم بدلاً من الجحش؟ فنحن نعلم من كلمات متى البشير أنهم قد أحضروا إليه الأتان التي ولدت الجحش ، كما يقول " *إنه أرسل تلميذيه إلى القرية التي أمامهما قائلاً لهما ستجدان أتانًا مربوطة وجحشًا معها ، فحلاّهما وأتياني بهما* " ــ ولذلك (يقول النص) إنهما أتيا بالأتان والجحش (متى ٢١:١،٢،٧) لذلك علينا أن ننظر ما هو التفسير وما المنفعة التي نستخلصها من هذا الحدث، وكيف نجعل من ركوب المسيح على جحش مثالاً لدعوة الأمم .

خلق إله الكل الإنسان على الأرض بذهن يتميز بالحكمة والقدرة على الفهم ، لكن الشيطان خدعه رغم أنه مخلوق على صورة الله، وأضله حتى لا يعرف خالق الكل وصانعهم، فأذل سكان الأرض إلى أدني مستوى من عدم التعقل والجهل. وإذ يعرف النبي الطوباوي داود هذا، ويبكي بمرارة لأجله، فإنه يقول: "إنسان في كرامة ولا يفهمها، هو مثل البهائم التي لا تفهم وقد صار شبيهًا بها"(مز٤٨:١٢س). لذلك فمن المحتمل أن الأتان الأكبر تشير إلى مجمع اليهود والذي ــ لو جاز القول ــ صار بهيميا لأنه لم يعطِ سوى اهتمامًا قليلاً لناموس موسى واحتقر الأنبياء القديسين، وأضاف إلى هذا أيضًا عصيانه للمسيح، الذي كان يدعوه إلى الإيمان وإلى انفتاح عينيه. لأنه قال: "*أنا هو نور العالم، من يؤمن بي فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة* " (يو٨:١٢). لكن الظلمة التي يتحدث عنها هي بلا شك ظلمة الذهن أي الجهل والعمى ومرض عدم التعقل الشديد .

أما الجحش الذي (لم يكن قد جلس عليه أحد)، فهو يمثل الشعب الجديد المدعو من بين الوثنيين، لأنه كان أيضًا بالطبيعة عديم الفهم ، تائهًا في الضلال، لكن المسيح صار حكمة له، لأن "*فيه مذّخر جميع كنوز الحكمة وأسرار المعرفة* " (كو٢:٣) .

إذن فقد أُحضر الجحش، إذ أرسل المسيح اثنين من تلاميذه لأجل هذا الغرض. وماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن المسيح يدعو الوثنيين بأن يجعل نور الحق يشرق عليهم، ويخدمه لأجل هذا الغرض مجموعتان من خدامه، أعني الأنبياء والرسل. لأنه تم ربح الأمم إلى الإيمان بواسطة تعاليم كرازة الرسل الذين كانوا يضيفون دائمًا إلى كلامهم شهادات مستمدة من الناموس

والأنبياء. فإن واحدًا منهم قال لهؤلاء الذين دعوا بالإيمان للاعتراف بمجد المسيح: " *وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسنًا إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم*" (٢بط١:١٩). لأنه قبل مجيء المخلص كانت نبوات الناموس والأنبياء المختصة بالمسيح، بمثابة سراج منير في موضع مظلم. لأن ذهن اليهود كان بليدًا دائمًا، مملوءًا بظلمة كثيفة. لأنهم لم يفهموا ولو قليلاً، ما قيل عن المسيح. لكن عندما طلع النهار وأشرق نور الحق، لم تعد الكلمة النبوية سراج صغير بل صارت بالحرى مثل أشعة كوكب الصبح اللامعة .

لقد أتوا بالجحش من القرية ، لكي يشير به أيضًا إلى حالة الهمجية التي كان عليها ذهن الوثنيين، الذين ــ إن جاز القول ــ لم يتعلموا في المدينة ولا تعلموا العادات الشرعية، بل على العكس عاشوا بخشونة وفظاظة، لأن الذين يقيمون في القرى عادة ما يعيشون بهذه الطريقة. لكنهم لم يستمروا في هذه الذهنية الهمجية، بل على العكس تغيروا إلى ملء السلام والحكمة، لأنهم صاروا خاضعين للمسيح الذي علمهم هذه الأشياء .

وهكذا فإن الأتان قد رُفضت، لأن السيد المسيح لم يركب عليها مع أنها قد تروضت من قبل، وتدربت أن تخضع لراكبيها، ولكنه ركب الجحش مع أنه غير مُدَّرب ولم يُختبر من جهة حمله لأي راكب، ولا في خضوعه للجام، لأنه كما قلت رفض (المسيح) مجمع اليهود مع أن الناموس كان عندهم، كما أن الطاعة لم تكن شيئًا غريبًا عنه، لكن السيد رفضه كشيء قد

شاخ وفسد، ولكونه ضل بعيدًا في عصيان متعمد لإله الكل، واستحسن الجحش الذي يرمز إلى الشعب الذي من بين الوثنيين .

وهذا هو معنى المديح المقدم بصوت المرنم إلى المسيح مخلص الكل ، حيث يقول عن أولئك الذين كانوا في ضلال : " *بلجام وزمام تكبح فكهم أولئك الذين لا يقتربون إليك* " (مز ٣١:٩س) . ومن السهل أن نري من الكتاب المقدس أن جمع الوثنيين كان مدعوًا أيضًا إلى التوبة والطاعة بواسطة الأنبياء القديسين، لأن الله تكلم هكذا في موضع ما: " *اجتمعوا وتعالوا تشاوروا معًا أيها الناجون من الأمم* " (إش٤٥:٢٠س) .

لذلك جلس المسيح على الجحش، ولما جاء إلى منحدر جبل الزيتون بالقرب من أورشليم مضى التلاميذ أمامه يسبحونه، لأنهم كانوا مدعوين لأن يشهدوا لأعماله العجيبة التي صنعها، وأيضًا يشهدوا لمجده وسلطانه الإلهيين. وبنفس الطريقة التي صنعها يجب علينا أيضًا أن نسبحه معتبرين كم هو عظيم ذاك الذي نمجده .

ولكن أحد الإنجيليين القديسين الآخرين ذكر أن الأطفال أيضًا كانوا يرفعون إلى فوق أغصانًا من النخيل وكانوا يجرون أمامه، وكانوا مع بقية التلاميذ يهتفون بمجده (أنظرمت٢١:٨،مر١١:٨،يو١٢:١٣)، لكيما بواسطتهم أيضًا نري الشعب الجديد الذي جُمع من بين الوثنيين ممثلاً كما في رسم. لأنه مكتوب " *أن شعبًا سوف يُخلق سوف يسبح الرب*" (مز ١٠١:١٨س) .

وقد تذمر الفريسيون، لأن المسيح كان يُسبَّح (من الجموع)، فاقتربوا منه وقالوا: " *انتهر تلاميذك*". لكن أيها الفريسي أي خطأ عملوه؟ أي تهمة

توجهها للتلاميذ؟ كيف تريدهم أن يُوَّبخوا ؟ لأنهم لم يخطئوا بأي طريقة بل بالأحرى فعلوا ما هو جدير بالمديح. لأنهم إنما قد مجدوا من قد أشار إليه الناموس من قبل برموز وصور كثيرة ــ كملك ورب ــ وقد كرز به جماعة الأنبياء القديسين منذ القديم، لكن أنتم احتقرتموه وأحزنتموه بحسدكم الذي لا حدود له. كان من واجبكم بالأولى أن تنضموا إلى الباقين في تمجيدهم له، كان من واجبكم أن تتراجعوا عن خبثكم الفطري وتغيروا سلوككم نحو الأفضل، وكان من واجبكم أن تتبعوا الأسفار المقدسة وأن تعطشوا إلى معرفة الحق. لكن هذا لم تفعلوه، بل حولتم كلامكم إلى العكس تمامًا إذ أردتم توبيخ المنادين بالحق. فبماذا أجاب المسيح على هذه الأشياء؟ (أجاب) " *أقول لكم : إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ* " .

لأنه من المستحيل ألاّ يُمجد الله حتى لو رفض أبناء جنس إسرائيل أن يفعلوا هذا، لأن الوثنيين كانوا سابقًا مثل حجارة أي قساة، لكنهم نالوا الخلاص من ضلالهم السابق، ونجوا من يد العدو وأفلتوا من الظلمة الشيطانية، وقد دُعوا إلى نور الحق، واستفاقوا كما من سكر، وعرفوا الخالق، وهم سبحوه ليس سرًا ولا في خفية، لا بطريقة مستورة أي في صمت، بل بمجاهرة الكلام وبصوتٍ عالٍ، وباجتهاد داعين بعضهم البعض وقائلين: " *هلموا نسبح الرب ونرتل مزامير لله مخلصنا* "، لأنهم قد اعترفوا كما قلت بالمسيح مخلص الكل، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الأبدين . آمين .

عظة ١٣١

أورشليم لا تعرف زمن افتقادها

لوقا١٩ : ٤١ـــ٤٤

" وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكىٰ عليها، قائلاً إنك لو علمتِ أنت أيضًا حتى في يومك هذا ما هو لسلامك، ولكن الآن قد أخفى عن عينيك، فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجرًا على حجرٍ لأنك لم تعرفي زمان افتقادك . " .

أدان إرميا النبي الطوباوي بصوت عال جهل اليهود وكبريائهم بآن واحد موبخًا إياهم بهذه الكلمات : "*كيف تقولون نحن حكماء وكلمة الرب معنا ؟ باطل هو قَلم الكتبة الكاذب، خزي الحكماء ارتاعوا وأُخذوا، أية حكمة وها قد رفضوا كلمة الرب* " (إر٨:٨،٩س) ، لأنهم ليسوا حكماء ولا على دراية بالأسفار المقدسة. ومع أن الكتبة والفريسيين ينسبون لأنفسهم زورًا سمعة أنهم متعلمون في الناموس، فإنهم رفضوا كلمة الله، لأنه عندما صار الابن الوحيد إنسانًا، فإنهم لم يقبلوه، ولا أحنوا رقابهم طواعية لدعوته التي وجهها إليهم بالإنجيل . ولأنهم قد رفضوا كلمة الله بسلوكهم الشرير، فهم أنفسهم قد رُفضوا، وتمت إدانتهم بالقرار الإلهي العادل، لأنه يقول بفم إرميا: " *فضة مرفوضة يدعون لأن الرب رفضهم* " (إر٦:٣٠)، وقال أيضًا: " *جزى شعرك واطرحيه بعيدًا وخذي مرثاة على شفاك، لأن الرب قد رفض ورذل الجيل الذي فعل تلك الأشياء*" (إر٧:٢٩س). وقد أعلن لنا إله الجميع ما هي تلك الأشياء بقوله: " *اسمعي أيتها الأرض، هأنذا جالب شرورًا على هذا الشعب ثمر انحرافهم، لأنهم لم يصغوا لكلمتي ورفضوا*

شريعتي " (إر٦: ١٩س)، لأنهم لم يحفظوا الوصية التي أعطاها لهم موسى بل " يعلمون تعاليم هي وصايا الناس " (مت١٥: ٩) ، وبالإضافة إلى هذا فقد رفضوا أيضًا كلمة الله الآب برفضهم أن يؤمنوا بالمسيح ، حينما دعاهم إلى ذلك . لذلك فإن ثمار انحرافهم كانت واضحة في الكوارث التي حلت بهم ، لأنهم عانوا من كل شقاء كجزاء على قتلهم الرب .

أما (بخصوص) سقوطهم في هذه البلية[8]، فهذا لم يكن أمرًا يتوافق مع مشيئة الله الصالحة، لأنه كان يريد لهم بالأحرى أن يبلغوا السعادة عن طريق الإيمان والطاعة. أما هم فكانوا غير مطيعين ومتغطرسين، وبالرغم من هذا ــ ومع أن هذه كانت حالة ذهنهم ــ فإن المسيح أشفق عليهم، لأنه " *يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون* " (١تي٢: ٤) ، إذ يقول (النص) أيضًا أنه "*نظر إلى المدينة وبكى* "، لكيما نعرف بهذا أنه يحزن، إن جاز لنا أن نتكلم هكذا عن الله، الذي يعلو على الكل. ولكننا، ما كنا نستطيع أن نعرف أنه أشفق رغم شرهم، لو لم يكن قد أظهر بفعل بشري ذلك الحزن الذي لا يمكننا أن نراه، لأن الدمعة التي تسقط من العين هي تعبير عن الحزن، أو بالأحرى هي إظهار واضح له. وهكذا بكى أيضًا على لعازر حتى يمكننا مرة أخرى أن نفهم أنه حزن على طبيعة الإنسان التي سقطت تحت سطوة الموت، لأنه " *خلق كل الأشياء لعدم الفساد (للخلود) ، ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم*"[9] (حك٢: ٢٣). ليس لأن حسد إبليس أقوى من إرادة الخالق، بل بسبب أنه كان من الضروري

[8] ربما يقصد خراب أورشليم سنة ٧٠ م (المترجم).

[9] القداس الباسيلي ، صلاة الصلح (المترجم) .

أن تعدِّي الوصية الإلهية ينتج عنه عقاب يجعل كل من يحتقر ناموس الحياة ينحدر إلى الفساد .

لذلك نحن نقول إنه بكى على أورشليم لسبب مشابه، لأنه أراد أن يراها في سعادة بقبولها الإيمان به، ونوال السلام مع الله، فإنه إلى هذا (السلام) دعاهم إشعياء النبي أيضًا قائلاً: "*لنصنع سلامًا معه، لنصنع نحن القادمون سلامًا معه*" (إش٢٧:٥س). أما عن أنه بالإيمان نصنع سلامًا مع الله، فهذا ما يعلمنا إياه الحكيم بولس حيث يكتب: "*إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح* " (رو٥:١). أما هم ، فكما قلت ، أسرعوا بعنف جامح إلى الغطرسة والازدراء وأصروا على احتقار خلاص المسيح؛ لذلك فالمسيح يلومهم على نفس هذا الأمر قائلاً : "*لو علمت أنت أيضًا ما هو لسلامك*"، أي (لم تعرفي) تلك الأشياء المفيدة والضرورية لك لتصنعي سلامًا مع الله، وهذه الأشياء هي الإيمان، الطاعة، التخلي عن الظلال، التوقف عن العبادة الناموسية؛ وبدلاً عن ذلك تفضيل العبادة التي بالروح والحق، تلك العبادة التي بالمسيح تكون رائحتها طيبة وجديرة بالإعجاب وثمينة أمام الله لأنه يقول: "*الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا* " (يو٤:٢٤) .

ويقول الرب : "*ولكن قد أُخفي عن عينيك* ". لأنهم لم يكونوا مستحقين أن يعرفوا أو بالأحرى أن يفهموا الكتب الموحى بها من الله، والتي تتكلم عن سر المسيح، لأن بولس يقول: "*فإذ لنا رجاء مثل هذا نستعمل مجاهرة كثيرة، وليس كما كان موسى يضع برقعًا على وجهه لكي لا ينظر بني إسرائيل إلى مجد وجهه الزائل، بل أُغلظت أذهانهم لأنه حتى اليوم ذلك*

البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف، لكن حينما يُقرأ موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم، لأنه يُبطل في المسيح " (٢كو٣: ١٢ــ ١٥) لكن بأي طريقة يُبطل البرقع في المسيح ؟ لأنه حيث إن المسيح هو الحقيقة، فإنه يجعل الظل يُبطل، ولكن بخصوص أن سر المسيح يُشار إليه بواسطة ظل الناموس، فإن المسيح يؤكد لنا ذلك بقوله لليهود: "*لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني أيضًا لأنه هو كتب عنى*" (يو٥: ٤٦) ولأنهم لم يفحصوا ظلال الناموس بعناية ، لذلك فإنهم لم يروا الحقيقة . كما يخبرنا بولس المتعلم حقيقة في الناموس أن " *القساوة قد حصلت جزئيًا لإسرائيل* " (رو١١: ٢٥) أما القساوة فهي السبب المؤكد للجهل والظلمة؛ فالمسيح قال مرة : "*ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان* " (مت١٥: ١١) وفي ذلك الوقت، فإن الفريسيين لاموه على كلامه هكذا بخصوص كسر الناموس وطرح الوصية التي أعطاهم لها موسى[١٠]. " *وبعد ذلك تقدم التلاميذ وقالوا له أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا ؟ فأجاب وقال لهم: كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلع، اتركوهم هم عميان قادة عميان* " (مت١٥: ١٢ــ ١٤) . لذلك فالغرس الذي لم يغرسه الآب يُقلع لأنه (الآب) يدعو الذين سيحسبون أهلاً لخلاصه إلى الاعتراف بالابن .

أما حالة أولئك المؤمنون به فهي مختلفة تمامًا ، وكيف يمكن أن تكون بخلاف ذلك ؟ لأنهم كما يقول المرنم بخصوصهم : " *مغروسين في بيت الرب، ويزهرون في ديار إلهنا*" (مز٩١: ١٣س). لأنهم أبناء الله وصنعته،

[١٠] بخصـــوص وصية إكرام الوالدين وتعدي اليهود لهذه الوصية بسبب تمسكهم بتقليد الشيوخ (مت ١٥: ١ــ ٩) (المترجم).

كما تعلن الأسفار المقدسة ، لأنه قيل بفم داود: "*بنوك مثل غروس الزيتون الجدد حول مائدتك* " (مز ١٢٧:٣س) .

أما الإسرائيليون وحتى قبل التجسد، فقد برهنوا أنهم غير جديرين بخلاص المسيح إذ رفضوا الشركة مع الله وأقاموا لأنفسهم آلهة كاذبة وذبحوا الأنبياء، مع أن الأنبياء حذروهم من أن يحيدوا عن الإله الحي، بل أن يتمسكوا بوصاياه المقدسة. أما هم فلم يقبلوا أن يفعلوا هكذا، بل أحزنوه بطرق كثيرة، وحتى حينما دعاهم إلى الخلاص (بعد ذلك) .

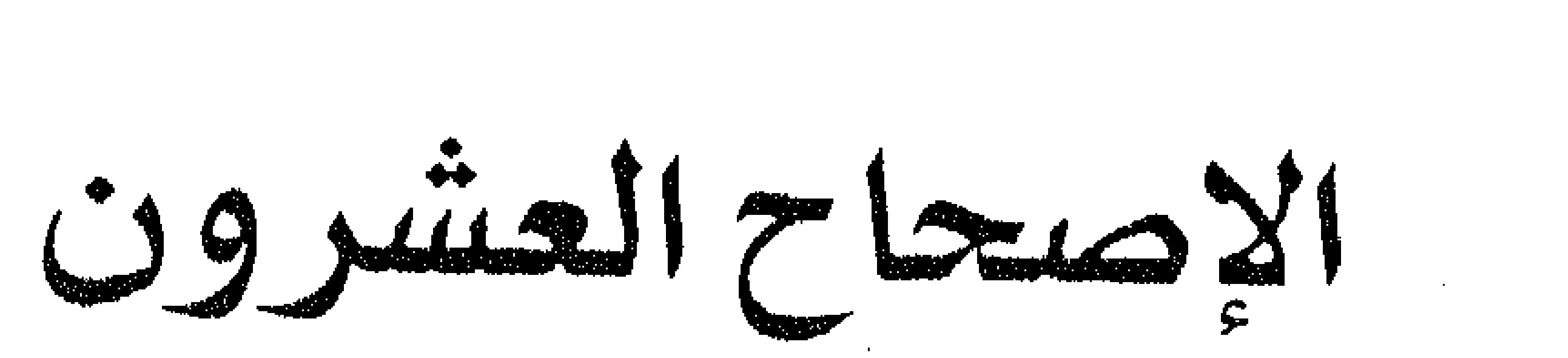
هذا يعلّمه لنا المخلص نفسه بقوله: " *يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا* " (مت٢٣:٣٧). وها أنت ترى أنه أراد مرات كثيرة أن يسبغ عليهم رحمته، ولكنهم رفضوها، ولذلك فقد أدينوا بحكم إلهي مقدس، واستبعدوا عن أن يكونوا أعضاء في بيته الروحي. لأنه قال لشعب اليهود بواسطة أحد الأنبياء القديسين: " *أنا أشبه أمك (أورشليم) بالليل، شعبي هو مثل من ليس له معرفة، لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكهن لي، ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضًا بنيك* " (هو٤،٦:٥س) لاحظوا أنه يقارن أورشليم بالليل، لأن ظلمة الجهل قد غطت قلب اليهود وأعمت عيونهم؛ ولهذا السبب سلّموا إلى الهلاك والذبح، لأن إله الكل تكلم بفم حزقيال وقال: " *حي أنا يقول الرب، من أجل أنك قد نجست مقادسي بنجاستك ، سأرفضك أنا أيضًا، ولن تشفق عيني وأنا لا أعفو*" (حز١١:٥س). وأيضًا " *الذين هم في الحقل يموتون بالسيف، والذين هم في المدينة يأكلهم الجوع والوبأ، والذين منهم*

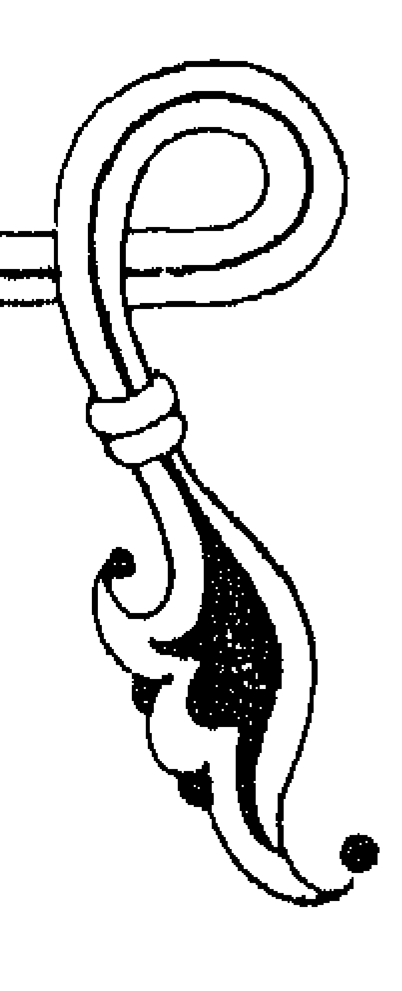
ينفلتون سيخلصون، وسيكونون على الجبال كحمام الوديان " (حز٧: ١٥، ١٦س). لأن إسرائيل لم يُستأصل من أصل جذوره، ولا من الجذع والفرع، لكن خلصت بقية، والتي منها كان بكورها وطليعتها الرسل المباركين الذين يقول حزقيال عنهم أنهم كانوا على الجبال كحمام الوديان (أي الذين يتأملون) لأنهم كانوا كسفراء في العالم كله مخبرين بسر المسيح، وكان عملهم هو التسبيح والترتيل، وكأنهم يهتفون عاليًا بالمزامير: "*لساني يلهج ببرك واليوم كله بتسبيحك* " (مز٣٤: ٢٨س) .

لذلك فالوسائل المؤدية لسلام أورشليم مع الله كانت مخفية عنها، ومن بين هذه الوسائل، بل أولها وأهمها هو الإيمان الذي يبرر الخاطئ، وهو الإيمان الذي يُوحِّد بالقداسة والتبرير أولئك الحاصلين عليه، بالله الكلى النقاوة .

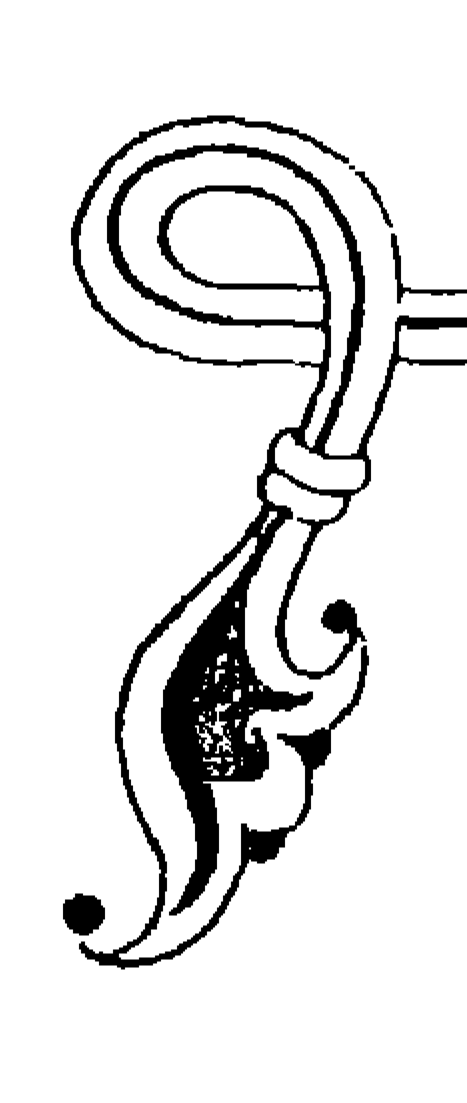
أما عن أن المدينة التي كانت سابقًا مقدسة وشهيرة، أي أورشليم، تسقط في ضيقات الحرب، فهذا يمكن أن نراه من التاريخ، بل إن إشعياء النبي يؤكد هذا لنا، حيث يهتف عاليًا إلى جموع اليهود ويقول : "*بلادكم خربة، مدنكم محرقة بالنار، أرضكم يأكلها الغرباء قدامكم وهي خربة كأنها انقلبت بواسطة أمم غريبة*" (إش١: ٧س). كان هذا هو أجر الافتخار الباطل لليهود، وعقوبة عصيانهم، والعذاب الذي هو العقاب العادل لكبريائهم، أما نحن فقد ربحنا رجاء القديسين، ونحن في سعادة كاملة، لأننا أكرمنا المسيح بالإيمان، هذا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين .







الإصحاح العشرون



وابتدأ يقول للشعب هذا المثل:
إنسان غرس كرمًا وسلمه إلى
كرّامين وسافر زمانًا طويلاً

الإصحاح العشرون

عظة ١٣٢

طرد باعة من الهيكل

لوقا١٩: ٤٥ــ٤٨ ، ٢٠: ١ــ٢

" ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم، مكتوب إن بيتى بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص .

وكان يعلم كل يوم فى الهيكل ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه ، ولم يجدوا ما يفعلون لأن الشعب كله كان متعلقًا به يسمع منه .

وفى أحد تلك الأيام إذ كان يعلم الشعب فى الهيكل ويبشر وقف رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ ، وكلموه قائلين قل لنا بأى سلطان تفعل هذا ، أو من هو الذى أعطاك هذا السلطان . " .

مكتوب أنه "*يوجد دائمًا نور للبار، أما نور الأشرار فينطفئ*" (أم١٣: ٩ س)، لأن الله الآب يمنح نور المعرفة الحقيقية غير المنطفئ الخاص بالرؤيا الحقيقية لله لأولئك الذين يقبلون بر المسيح فهو يكشف لهم الابن ، كما قال أيضًا المخلص نفسه فى موضع ما لليهود: "*لا تتذمروا فيما بينكم، لا يقدر أحد أن يقبل إلىَّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى* " (يو ٦: ٤٣، ٤٤) لكنه ــ طبعًا ــ يجذب بالنور والمعرفة ، وبربُط المحبة (أنظر هو ١١: ٤). أما بالنسبة لأولئك الذين لا تميل إرادتهم إليه، وعن شر يرفضون وصايا المسيح فحتى ذلك النور الذى لهم فى أذهانهم من وصية موسى، يتلاشى وينطفئ، وتغتصب ظلمة الجهل مكانه .

أما كون هذا الأمر حقيقى، وأنه هو الوضع الحقيقى للحالة، فهذا ما يثبته لنا عمى اليهود. لأنهم كانوا فى ظلمة وغير قادرين على رؤية مجد الكلمة ــ الذي صار إنسانًا لأجلنا ــ رغم أنه كشف نفسه لهم بعمل معجزات كثيرة وبسلطان إلهى، وأحد الأمثلة على ذلك هو ما حدث فى الهيكل. فقد كان فى الهيكل جمع كثير من التجار وآخرون أيضًا من المذنبين بمحبة الربح القبيح وأعنى الصيارفة والعاملين على موائدهم، وبائعى الثيران وتجار الخراف وبائعى الحمام واليمام، وهذه كلها كانت تستخدم فى الذبائح بحسب المراسيم الشرعية. لكن قد آن الأوان لانتهاء الظل ولكى يلمع الحق، ويظهر الجمال البديع للطريق المسيحي، وأمجاد الحياة النقية ، والرائحة العقلية الحلوة التى للعبادة بالروح والحق .

ولهذا السبب فإن الحق ــ أى المسيح تصرف بمنتهى الصواب ــ إذ هو مُكرّم أيضًا مع أبيه فى هيكلهم ــ فأمر أن تُحمل تلك الأشياء ــ التى هى من الناموس، خارجًا، حتى ولو كانت تختص بالذبائح ومحرقة البخور، وأنه يجب أن يظهر الهيكل بوضوح أنه بيت للصلاة. لأن انتهار (المسيح) للباعة وطردهم من الأروقة المقدسة حينما كانوا يبيعون ما كان لازمًا للذبائح، يعنى هذا بالتأكيد وكما أظن لا يعنى سوى هذا. كما يلزمنا أن نلاحظ أن واحدًا آخر من الإنجيليين الأطهار يذكر أن الرب لم ينتهر الباعة بالكلام فقط بل وصنع أيضًا سوطًا من حبال وهددهم بالضربات(يو ٢:١٥). لأنه يليق بالذين أكرموا العبادة الشرعية أن يعرفوا بعد ظهور الحق، أنهم باحتفاظهم بروح العبودية وبرفضهم أن يصيروا أحرارًا، فإنهم يصيرون عُرضة لضربات ومعرضون للعذاب المرتبط بالعبودية، لذلك فإن مخلص ورب الكل أظهر مجده لمنفعتهم حتى يؤمنوا به، فبسبب أنه يملك سلطانًا

على الهيكل فهو يعتنى به، وأيضًا يدعو الله أباه. وكما كتب ذلك الإنجيلى الآخر، فإنه قال للباعة: " *لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة* " (يو٢: ١٦). ومكتوب أيضًا " *بيتى بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص* " (مر١١: ١٧). لذلك كان من واجبهم، وأقول أيضًا: كان من واجبهم، بالأحرى أن يعبدوه على أنه هو مع الله الآب، رب الهيكل. ولكنهم فى حماقتهم العظيمة لم يفعلوا هذا بل إذ كانوا بالأحرى متلهفين للبغضة بطريقة وحشية، فإنهم أقاموا ضده شوكة الحسد الحادة وأسرعوا إلى القتل الذى هو قريب الحسد وشقيقه. لأنه (يقول) " *إنهم طلبوا أن يهلكوه ولم يجدوا ما يفعلون لأن الشعب كله كان متعلقًا به يسمع منه*". ألاَ يجعل هذا الكتبة والفريسيين وكل رؤساء اليهود يستحقون عقوبة ثقيلة جدًا؟ إن كل الشعب وهم غير متعلمين كانوا يتعلقون بالتعاليم المقدسة ويشربون كلمة الخلاص كالمطر، كما كانوا أيضًا مستعدين أن يثمروا ثمار الإيمان وأن يحنوا أعناقهم لوصاياه، أما الذين كانت وظيفتهم أن يستحثوا شعبهم على هذا الشيء عينه، فقد تمردوا بطريقة وحشية وبخبث يطلبون فرصة ليقتلوه، ويركضون على الصخور بعنف غير مكبوح، رافضين الإيمان بل وبشر يمنعون الآخرين أيضًا .

وكيف لا يكون ما قلته صحيحًا؟ فإن المخلص نفسه وبخهم قائلاً: " *ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم*" (لو١١: ٥٢). لذلك فإنهم قاموا ضد المسيح بينما كان يعلّم ويستدعوه بحسد وببغضة وقالوا له: " *قل لنا بأى سلطان تفعل هذا أو من هو الذى أعطاك هذا السلطان؟* " ويقولون، إن الناموس الذى أعطاه موسى والوصايا التى تُنظم فرائضنا هذه، اشترطت أن الذين من نسل لاوى فقط

هم الذين يقتربون لتتميم هذه الواجبات المقدسة، فهم يقدمون الذبائح وينظمون كل ما يُعمل فى الهيكل الإلهى، ولهم أُعطيت وظيفة التعليم وإدارة الأعمال المقدسة. أما أنت ومع أنك من سبط آخر، لأنك طلعت من سبط يهوذا، فقد استوليت على الكرامات المخصصة لنا، "*فمن أعطاك هذا السلطان؟* ". أيها الفريسي الأحمق تعال ودعنى أخبرك بشيء لا تستطيع أن تناقضه إذا ما دافعت أمامك عن قضية المسيح مخلصنا كلنا. لو كنت على دراية بالأسفار المقدسة الموحى بها من الله وعلى علم بكلام ونبوات الأنبياء القديسين، فربما كنت ستتذكر الطوباوى داود الذي يقول بالروح عن المسيح مخلص الكل: "*أقسم الرب ولن يندم أنك أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكيصادق* " (مز١٠٩: ٤س)، لذلك اشرح لى هل هناك أى فريسي أو أى كاتب خدم الله على رتبة ملكيصادق، هذا الذى بارك إبراهيم وقبل منه العشور؟ وكما كتب بولس الحكيم جدًا قائلاً: "*وبدون كل مشاجرة (مناقضة) الأصغر يُبارك من الأكبر*" (عب٧:٧) لذلك فإن أصل وبداءة وجود إسرائيل ذاته الذى هو إبراهيم أبو الآباء ـــ قد تبارك بواسطة كهنوت ملكيصادق، أما ملكيصادق وكهنوته فكان مثالاً للمسيح مخلصنا جميعًا الذى صار رئيس كهنتنا ورسول اعترافنا، الذي يقرب إلى الله الآب الذين يؤمنون به لا عن طريق ذبائح دموية وتقدمات بخور، بل يكملهم للقداسة بواسطة خدمة أعلى من الناموس، لأن "*لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة فى السموات* " (عب٨: ١) .

الفرق بين الخدمتين عظيم جدًا: لأن مخلص الكل ككاهن لله الآب يقدم اعتراف إيماننا، وينبوع الرائحة الروحية الطيبة، "*لأن الله روح والذين يسجدون فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا* " (يو٤: ٢٤) .

أما الذبائح الدموية التى يقدمونها فهى لا تسر الله، إذ قال لهم أيضًا " *بغضت، وكرهت أعيادكم، ولست ألتذ باعتكافاتكم، وإذا قدمتم لى محرقاتكم وذبائحكم فإنى لا أقبلها، ولا ألتفت إلى خلاص وجوهكم ، أبعد عنى ضجة أغانيك، ونغمة آلاتك (الموسيقية) لا أسمع*" (عا٥: ٢١ــ٢٣س).

أفهموا إذن أنه يقول إنه أبغض أعيادهم وكذلك أيضًا تسابيحهم وذبائحهم رفضها. ومع ذلك فإن الله يُسر بالتسبيح، ولكن ليس بأفواه نجسة أو بلسان دنس، لأنه مكتوب في سفر المزامير: " *وللشرير قال الله ما لك تتحدث بوصاياى وتحمل عهدى على فمك وأنت قد أبغضت التعليم وألقيت كلامى خلفك؟* "(مز٤٩، ١٧:٤٩، ١٦س). وأيضًا قال " *لا تعودوا تدوسوا دورى، فإن قدمتم لى تقدمة (دقيق) فهى باطلة، وبخوركم مكرهة لى*" (إش ١: ١٢، ١٣س). فلماذا تتذمر إذن أيها الفريسي، بسبب طرح تلك الأشياء بعيدًا عن الأروقة المقدسة التى كانت مستخدمة للذبائح الشرعية، فى الوقت الذى آن الأوان لدعوة الناس إلى حياة أفضل من الظلال، وإلى التبرير الحقيقى بالإيمان بالمسيح، الذي هو الحق.

لكن سلسلة المواضيع المطروحة أمامنا الآن تقودنا إلى مناقشات طويلة جدًا، وكل ما يتعدى الحد اللائق فهو غير مناسب لمن يسمع في كل مكان وأيضًا هو غير مناسب لمن يعلّمون. لذلك، لنكتفى فى الوقت الحاضر بما قيل، وما تبقى فهذا سوف نستكمله عندما يجمعنا المسيح هنا مرة ثانية معًا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين .

عظة ١٣٣

مصدر سلطان المسيح

لوقا٢٠: ١ــ٨

" وفى أحد تلك الأيام إذ كان يعلم الشعب فى الهيكل ويبشر وقف رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ ، وكلموه قائلين قل لنا بأى سلطان تفعل هذا ، أو من هو الذى أعطاك هذا السلطان . فأجاب وقال لهم وأنا أيضًا أسألكم كلمة واحدة فقولوا لى ، معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ، فتآمروا فيما بينهم قائلين إن قلنا من السماء فيقول فلماذا لم تؤمنوا به، وإن قلنا من الناس فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبى. فأجابوا أنهم لا يعلمون من أين ، فقال لهم يسوع ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا " .

أعتقد أنكم قد اجتمعتم ثانية لكى تتعلموا، وأنا أمتدح تصرفكم وأعتبر رغبتكم جديرة بكل إعجاب لأنه مكتوب : " *الحكمة خير من الحجارة الكريمة الثمينة، وكل الأشياء النفيسة لا تُقارن بها*" (أم٨: ١١س). لأن الحكمة النازلة من فوق من عند الله هى عطية لا مثيل لها، وعندما ندركها بواسطة الكتاب المقدس الموحى به من الله ونـنال النور الإلهى ليسكن فى أذهاننا، نتقدم آنذاك بلا انحراف إلى كل ما هو نافع لفائدتنا الروحية. هلموا إذن لنفحص الآن أيضًا بتدقيق معنى الدروس التى سبق أن قُرئت علينا .

فى اجتماعنا الماضى، كان الحديث الذى وجهناه إليكم هو عن جهل الفريسيين وجنونهم المطبق ومهاجمتهم الدنيئة، فقد تقدموا للمسيح مخلصنا جميعًا ، قائلين: " *بأى سلطان تفعل هذا، ومن هو الذى أعطاك هذا*

السلطان" ؟ ما هو الذى كان المسيح قد فعله؟ إنه طرد من الهيكل أولئك الذين يبيعون الغنم والبقر والحمام واليمام وقلب موائد الصيارفة قائلاً: " *ارفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة*" (يو ٢ :١٦) وأيضًا قال: "*بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص*" (لو ١٩ :٤٦).

تكلمنا آنذاك عن هذه الأشياء على النحو التالى:

إن الرب كان يجمع[1] gathering up ظل الناموس كشيء أصبح غير نافع ولا لزوم له. وسعى أن يمنع الذبائح الدموية لأن الوقت الذى كان ينبغى فيه الإعلان عن العبادة التى بالروح والحق قد صار الآن حاضرًا على الأبواب. لأنه هو نفسه الحق، وحيث إن الحق قد ظهر الآن، فيلزم بالضرورة أن تصير الرموز نافلة. ومع ذلك فقد هاجم أولئك التعساء رب الكل بشراسة. وهذا هو ما وصل إليه حديثنا فى الاجتماع الماضى.

سوف نبين الآن بطريقة أخرى أن رؤساء ومعلمى المجمع اليهودى قد هاجموا المسيح بعنف. كان المخلص يعلّم فى الهيكل كما أنه من المؤكد جدًا أنه كان يعلن ـــ من أجل تعليم سامعيه ـــ أشياء تسمو على الناموس، وهى طريق الحياة بحسب الإنجيل. أما هم فلأنهم كانوا مغتاظين من هذا أيضًا فإنهم اقتربوا منه بخبث وسألوه قائلين: من أعطاك هذا السلطان، ماذا يعنى هذا أيضًا؟. إنهم يقولون " *أنت تعلم فى الهيكل ولكنك خرجت من سبط يهوذا ولست من عداد أولئك الذين وظيفتهم أن يخدموا فى الهيكل*

[1] الهامش بالمخطوطة يشرح كلمة " يجمع gathering up " بمعنى يهدم، ولكن من الواضح أنه لم يكن هذا هو القصد، إنما كان تعبيرًا مجازيًا فقط. أما بالنسبة للقديس كيرلس، فربما كان يستخدم الكلمة اليونانية συστέλλει، والتى كان يستعملها باستمرار بمعنى يُقلّص.

ككهنة. ولماذا تعلّم ما يتنافر مع وصية موسى ولا تتوافق مع الناموس الذى أُعطى لنا منذ القديم؟ " .

لذلك، فلنقل لأولئك الذين تكلموا هكذا: هل هذا يلدغ أذهانكم ويدفعكم إلى حسد وحشى؟ أخبرونى هل تتهمون معطى الناموس بإبطال الناموس؟ هل تلومونه وتحتجون عليه بشدة لأنه لا يطيع شرائعه الخاصة به ؟ أخبرونى: هل الله ملزم بالخضوع لناموسه الخاص؟ ألعله شرّع الوصايا التى قيلت بواسطة الأنبياء القديسين لأجلنا أم لأجل نفسه؟ وحتى لو لم تعترفوا بذلك فإنه من المؤكد أن الله يعلو على كل شريعة، وأننا نحن أنفسنا الذين نوجد تحت نير وصاياه. لذلك فإن تعدى أى شخص منا الناموس، فلوموه واحكموا عليه بسبب تعديه، أما الذى وضع الوصايا ـ ليس لأجل نفسه بل لأجلنا لكى نطيعها ـ فإنه من حين لآخر وبحسب مسرة صلاحه يغير أى شئ مما قد أعطاه سابقًا من وصايا. ويقصد بهذا لا أن يخضع أولئك الذين تحت الناموس لأى شئ شرير بل بالأولى أن يرفعهم إلى ما هو أفضل. وها قد حان الوقت الآن لتتوقف تلك الأشياء التى كانت ظلالاً، ولتزول تعاليم الناموس التى أُعطيت لتعليم القدماء، لكيما يُستعلن شئ أفضل، ألا وهو التعليم المُعطى لنا فى الإنجيل .

ولكنكم تقولون " هل كان هذا بحسب مشيئة ذاك الذى أسس بواسطة موسى تلك الوصية السابقة لمن كانوا فى القديم؟ " وأنا أجيب "نعم" ، وأبلغ إلى هذا الاستنتاج ليس من فكرى الخاص بل إنى استقى البرهان عليه من الأسفار النبوية. لأن الله قال فى أحد المواضع بصوت ميخا النبى "*وسأجعل شرائع شعبى تزول*" (مى٦:١٥س). فكيف يجعل شرائع الشعب تزول؟ لأنه

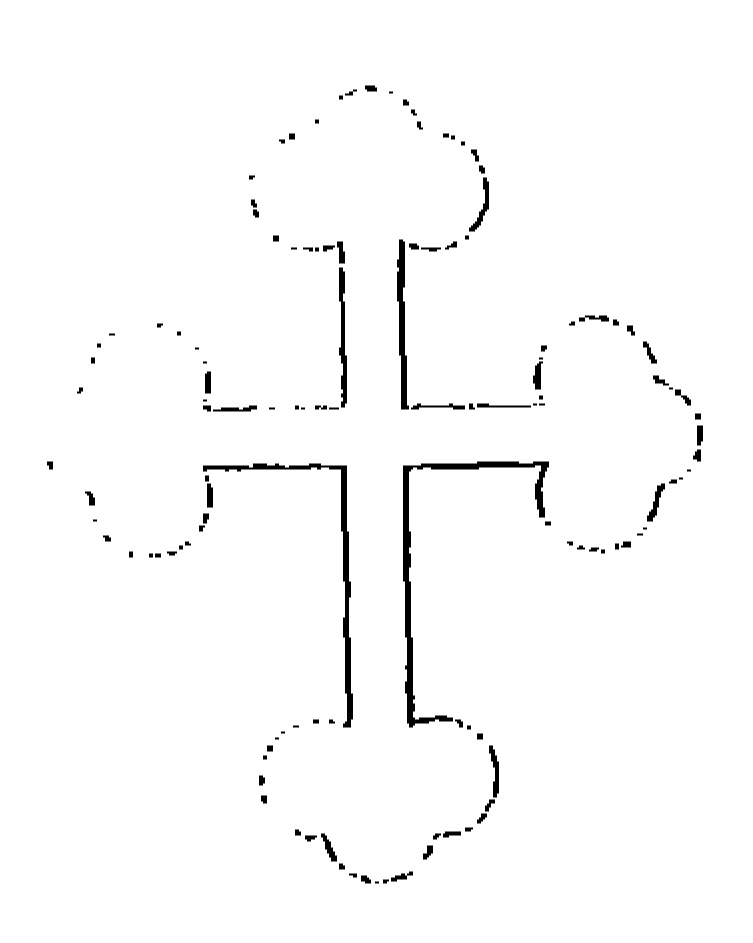
ـ كما قلت ـ ستصير إلى لا شئ بظهور وصية جديدة أفضل، أى التى أُعطيت لنا من الابن نفسه، والتى أُعلن عنها أيضًا منذ القديم بفم إرميا النبى " *هأنذا أجمعهم من كل الأراضى التى طردتهم إليها بغضبى وغيظى وبسخط عظيم، وأردهم إلى هذا الموضع وأُسكنهم آمنين، ويكونون لى شعبًا وأنا أكون لهم إلهًا، وأُعطيهم طريقًا آخر وقلبًا آخر ليخافونى كل أيامهم*" (إر ٣٢: ٣٧ـ٣٩). لذلك فقد أُعطى لهم طريقًا آخر وكما قلت سابقًا فهو يجمع الخدمة الناموسية والتعليم الذى فى حروف ورموز، ويُدخِل تعاليم الإنجيل التى أول بدايتها وطريقها هو الإيمان، الذى بواسطة العبادة الروحية يكمّل إلى التبرير ويرفع إلى التقديس أولئك الذين يتقدمون إلى الله.

أما كون شرائع موسى كان مقدرًا لها أن تبلغ النهاية وأن يُعطى بواسطة المسيح ناموس جديد وعهد جديد، فهذا يمكن لأى إنسان أن يراه بسهولة كما يقول هو بوضوح: " *ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم نقضوا عهدى وأنا رفضتهم يقول الرب*" (إر ٣١: ٣١ـ٣٢). لذلك فهو يَعدُ بعهد جديد ، وكما يكتب بولس الحكيم جدًا " *فإذ قال جديدًا جعل الأول عتيقًا، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال*" (عب٨: ١٣). وحيث إن العهد السابق قد شاخ كان يلزم أن يحل ما هو جديد محله، وهذا تم ليس بواسطة أحد الأنبياء القديسين ، بل بالأحرى بواسطة من هو رب الأنبياء .

فلماذا تتذمر أيها الفريسي عندما ترى الكتاب الموحى به من الله يتحقق، وترى تلك الأشياء التى قالها الأنبياء القديسون فى القديم تبلغ كمالها.

إذن، فعندما سألوه بأى سلطان تفعل هذا، أجابهم المخلص " *وأنا أيضًا أسألكم كلمة واحدة، فقولوا لى، معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟ فتآمروا فيما بينهم إن قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به وإن قلنا من الناس فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبى ، فأجابوا أنهم لا يعلمون من أين. فقال لهم يسوع ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا*". أنظروا خبث الفريسيين العظيم، إنهم يهربون من الحق ويرفضون النور ولا يرتعبون من اقتراف الخطية، لأن الله الآب أرسل المعمدان الطوباوى كسابق للمسيح يصرخ قائلاً " *أعدوا طريق الرب اجعلوا طرق إلهنا مستقيمة* " (إش٤٠:٣س) كما كتب عنه أيضًا الإنجيلى الحكيم يوحنا " *كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لم يكن هو النور بل ليشهد للنور*" (يو ١:٦ـ٨) ـ أى للمسيح. كما شهد هو نفسه (المعمدان) قائلاً: " *الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله*" (يو ١:٣٣،٣٤). لذلك فالمعمدان الطوباوى لكونه عظيم جدًا وباهر، فهو شخص جدير بأن نقبله ليقودنا إلى الإيمان بالمسيح وليكون شاهدًا بخصوص المسيح. لكن إذ كان من عادة اليهود أن يفتروا بخفة على القديسين وأن يدعوهم متكلمين كاذبين وأن يقولوا عنهم إنهم لم يُرسلوا من الله بل يدعون كذبًا معرفة النبوة من عندياتهم، فإن المسيح سألهم ما هو رأيهم فى المعمدان؟ هل هو شخص جاء من فوق من عند الله، هل أكرموه لكونه مرسل يعمّد بحسب مشيئة الله؟ أم بحسب عادتهم وبدافع من رغبات بشرية أنكروا أنه جاء لهذا الغرض؟ لقد كانوا فى الواقع يخشون أن يقولوا الحق لأنهم كانوا يخافون

أن يُقال لهم فلماذا لم تؤمنوا به ؟ لذلك فإنهم لم يوجهوا اتهامًا ليوحنا السابق، ليس بدافع خوفهم من الله بل بدافع خوفهم من الجموع، لذلك فإنهم أخفوا الحق وقالوا لا نعرف. فإذ هم غير مستحقين أن يتعلموا الحق وأن يبصروا الطريق الذى يؤدى مباشرة إلى كل عمل صالح، فإن المسيح أجابهم: ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا. لذلك فإن اليهود لم يعرفوا الحق لأنهم لم يكونوا متعلمين من الله، أى من المسيح. أما لنا نحن المؤمنون به فإن المسيح يُظهر الحق لنا حتى إذا ما قبلنا فى ذهننا وقلبنا سره الإلهى المكرم جدًا، أو بالحرى معرفة السر، وإذا ما حرصنا على إتمام الأمور التى ترضيه فإننا سوف نملك معه، هذا الذى به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين . آمين .



عظة ١٣٤

مثل الكرم والكرّامين

لوقا ٢٠: ٩ــ١٨

" وابتدأ يقول للشعب هذا المثل. إنسان غرس كرمًا وسلمه إلى كرّامين وسافر زمانًا طويلاً. وفى الوقت أرسل إلى الكرامين عبدًا لكى يعطوه من ثمر الكرم، فجلده الكرامون وأرسلوه فارغًا. فعاد وأرسل عبدًا آخر، فجلدوا ذلك أيضًا وأهانوه وأرسلوه فارغًا. ثم عاد فأرسل ثالثًا، فجرحوا هذا أيضًا وأخرجوه. فقال صاحب الكرم ماذا أفعل؟ أرسل ابنى الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون. فلما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين: هذا هو الوارث هلموا نقتله لكى يصير لنا الميراث. فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟ يأتى ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطى الكرم لآخرين. فلما سمعوا قالوا حاشا، فنظر إليهم وقال : إذن ما هو هذا المكتوب، الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية؟ كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه. " .

يقول المسيح فى موضعٍ ما : يشبه ملكوت السموات كنزًا مخفيًا فى حقل (مت١٣: ٤٤)، وليس شئ أكثر تأكيدًا من أن أولئك المحبون للربح ويبحثون عن الكنوز، لا يجدون هذه الأشياء فى متناول اليد، ولا أيضًا موضوعة على سطح الأرض، ولكن يجدونها بالحرى مخفية ومدفونة بعيدًا عن الأنظار، وبواسطة الحفر الشاق فقط يجدونها، وبصعوبة يحصلون عليها. تعالوا إذن وهيا بنا نبحث عن معرفة دروس الإنجيل مثلما نبحث عن كنز، هلمّ نفتش بعمق عن الأفكار التى تحويها؛ وعندئذ سوف نعثر على ضالتنا المنشودة بمعونة المسيح الذى سوف يعلن لنا هذا: لأن فيه

مذخر جميع كنوز الحكمة وأمور المعرفة الخفية (كو٢:٣)، فهو واهب الحكمة والفهم لكل الخليقة العاقلة.

ماذا يقول المسيح إذن لرؤساء اليهود عندما يطرح أمامهم تلك الأشياء النافعة للخلاص؟ " *إنسان غرس كرمًا وسلّمه إلى كرامين وسافر زمانًا طويلاً* ". إذا فحص أى شخص عن معنى ما قيل هنا بعين الذهن الثاقبة، فإنه سوف يجد كل تاريخ بنى إسرائيل ملخصًا باختصار فى ثنايا هذه الكلمات، لأن المرنم يوضح من هو الذى غرس الكرم، وما الذى يُفهم بالحقيقة عن الكرم المغروس، عندما يقول للمسيح مخلص الجميع عن الإسرائيليين: "*كرمة نقلتَ من مصر، طردتَ أممًا وغرستها، هيأت طريقًا قدامها، وغرست جذورها حتى ملأت الأرض* " (مز٧٩:٩،٨س). وأيضًا يُعلن النبى المبارك إشعياء نفس الشيء ويقول: " *كان لحبيبى كرم على أكمة فى مكان خصيب*" (إش٥:١س). ويضيف بعد ذلك ليشرح معنى ما قد قيل سابقًا بشكل غامض: " *إن كرم رب الجنود هو رجل يهوذا، غرس جديد ومحبوب*" (إش٥:٧س). فالذى غرس الكرم إذن هو الله، وهو نفسه الذى سافر بعيدًا لزمان طويل. ولكن إن كان الله يملأ كل الأشياء، ولا يمكن أن يكون غائبًا عن الموجودات بأى حال، فكيف إذن يذهب صاحب الكرم بعيدًا لزمان طويل؟ هذا يعنى أنه بعدما ظهر لهم فى شكل نار عند نزوله على جبل سيناء فى أيام موسى ـــ هذا الذى أعطاهم الناموس كوسيط ـــ فإنه لم ينعم عليهم مرة أخرى بحضوره فى صورة مرئية، ولكنه كان يستخدم تشبيهًا مستعارًا من الأمور البشرية، ليبين أن علاقته بهم كانت مثل واحد قد سافر لزمان طويل.

وكما سبق أن قلت إنه سافر، ولكن من الواضح أنه كان يعتنى بكرمه، وكان يفكر فيه باستمرار، لأنه أرسل خدامًا أمناء في ثلاث أوقات مختلفة لكى يتسلموا المحصول، أى الثمر، من الكرامين، فلم تكن هناك مناسبة فى هذه الفترة لم يرسل الله فى أثنائها أنبياء وصديقين لينذروا بنى إسرائيل، ويحثوهم ليعطوا أثمارًا توافق الحياة المجيدة اللائقة التى حسب الناموس، أما هم فكانوا أشرارًا وعصاة وعنيدين، وتقسَّى قلبهم ضد التحذير، فلم يصغوا بأى طريقة للكلمة التى كان يمكن أن تنفعهم. لأنه حتى النبى إشعياء كواحد كان ــ كأنه مغشيًا عليه من الأتعاب و المعاناة بدون فائدة ــ يقول: " *يارب من صدق خبرنا؟* " (إش٥٣: ١س). لذلك فباستخفافهم بأولئك الذين قد أُرسلوا إليهم، " *فإنهم قد أرسلوهم فارغين* " بمعنى أنه لا يوجد شئ حسن يقولونه عنهم لله الذى أرسلهم. وأيضًا فإن النبى إرميا يلوم الشعب اليهودى وحكامه بسبب عجرفتهم الزائدة بقوله : "*لمن أتكلم وأشهد حتى يسمع؟ ها إن آذانهم غير مختونة فلا يقدرون أن يسمعوا، ها إن كلمة الرب قد صارت لهم عارًا، ولا يقبلونها*" (إر٦: ١٠س). ويتكلم فى موضع آخر عن أورشليم هكذا: "*داوينا بابل فلم تُشفَ، فلنتركها ولنذهب كل واحد إلى أرضه، لأن دينونتها بلغت السماء*" (إر٥١: ٩س). وكما قلت سابقًا إنه يدعو أورشليم بابل لأنها لم تختلف عن فارس فى عدم طاعتها وارتدادها، ولأنها لم تُخضع نفسها للوصايا المقدسة، وربما لأنها قد حُسبت مثل من لا معرفة له بالله، لأنها اختارت أن تعبُد المخلوق بدلاً من الخالق وتسجد لأعمال يديها، لأن بنى إسرائيل كانوا مذنبين بتهمة الارتداد وعبادة الأوثان. فهذه هى إذن الطريقة التى طردوا بها بخزى أولئك الذين أُرسلوا إليهم .

أما رب الكرم فإنه يتفكر في نفسه ويقول: " ماذا أعمل "؟ يجب علينا أن نتمعن جيدًا بأى معنى يقول هذا. هل يستخدم صاحب الكرم هذه الكلمات لأن ليس لديه مزيد من الخدام؟ بالتأكيد لا، لأنه لا ينقصه خدام آخرون يتمموا إرادته المقدسة، ولكن كما يقول طبيب عن شخص مريض، ماذا أعمل؟ إننا نفهم أنه يقصد أنه جرب معه كل وسائل المهارة الطبية ولكن بلا جدوى. وهكذا نحن نؤكد أيضًا أن رب الكرم بعدما أظهر كل لطف وعناية بكرمه، ولكن بدون أى نفع، فهو يقول: ماذا أعمل ؟ وماذا كانت النتيجة؟ هاهو لا يزال يتقدم بطرق أخرى أعظم فيقول: أرسل ابنى الحبيب لعلهم يهابونه. لاحظ فى هذا القول إنه أرسل الابن بعد الخدام، ولكن ليس كواحد محسوب ضمن الخدام، بل كابن حقيقى ولذلك فهو الرب. لأنه حتى وإن كان قد أخذ شكل العبد لأجل التدبير، إلاّ أنه لا يزال إلهًا والابن الحقيقى لله الآب ويملك السلطان الطبيعى[٢]، هل كرموا حينئذ هذا الذى أُرسل كابن ورب، وكمن يملك بالميراث كل ما لله الآب؟ هم لم يكرموه، لأنهم ذبحوه خارج الكرم بعد أن خططوا فى أنفسهم هدفًا غبيًا يدل على الجهل، ومملوء بكل خبث؛ لأنهم قالوا: " *هلمّ نقتله لكى يصير لنا الميراث*". ولكن أخبرنى أنت كيف تصورت هذا؟، فهل أنت أيضًا ابن لله الآب، هل ينحدر إليك الميراث كحق طبيعى؟ وإذا أنت طرحت الوارث خارج الطريق، فكيف تصير سيدًا لهذا الميراث الذى اشتهيته؟ وبالأكثر كيف لا يكون افتراضك هذا سخيفًا، لأن الرب هو بالحقيقة ابن ووارث

[٢] أى السلطان الذى يخصه بحسب حقيقة جوهره وليس كشيء مُنح له أو أُضيف إليه. وهكذا يلاحظ فى كل مكان وباستمرار كيف يدعوه القديس كيرلس بتكرار : " الابن بالطبيعة " ، فى مقابل الأبناء بالتبنى .

لسلطان الله الآب بحق جوهره، فإنه عندما صار إنسانًا دعا أولئك الذين آمنوا به إلى مشاركته فى ملكوته. أما هؤلاء الناس فأرادوا أن يأخذوا المملكة لأنفسهم وحدهم، دون أن يسمحوا للابن بأى مشاركة له معهم فى الميراث، مغتصبين لأنفسهم وحدهم الميراث الربانى. ولكن هدفهم هذا كان مملوءً جهالة ويستحيل تحقيقه، لذلك يقول داود المبارك عنهم فى المزامير: " *الساكن فى السماء يضحك بهم، والرب يستهزئ بهم* " (مز ٢:٤س).

لذلك فإن رؤساء المجمع اليهودى قد طُرحوا خارجًا بسبب مقاومتهم لمشيئة الرب، إذ جعلوا الكرم الذى استؤمنوا عليه بلا ثمر، لأن الله قد قال فى موضع ما: " *رعاة كثيرون أفسدوا كرمى، داسوا نصيبى، جعلوا ميراثى المشتهى برية خربة ، جعلوه خرابًا مهجورًا* " (إر ١١،١٢: ١٠س). وقيل أيضًا بصوت إشعياء: " *قد انتصب الرب للتو للمحاكمة، الرب نفسه سيدخل فى المحاكمة مع شيوخ ورؤساء الشعب وأنتم لماذا أحرقتم كرمى؟* " (إش١٤،٣: ١٣س). وأولئك مثل الذين جعلوا الأرض عقيمة، لكونهم أشرار، فإنهم هلكوا بالشرور لأنه من العدل والعدل جدًا، بما أنهم كسالى وقاتلون للرب فإنهم يكونون فريسة لتعاسات شديدة جدًا .

وقد أُعطى الكرم إلى كرامين آخرين، من يكون هؤلاء الكرامون؟ إننى أجيب أنهم جماعة الرسل القديسين الكارزين بوصايا الإنجيل، وخدام العهد الجديد الذين هم معلمون للعبادة الروحية، والذين عرفوا كيف يوجهون الناس توجيهًا صحيحًا غير ملوم، ويقودوهم بطريقة ممتازة جدًا نحو كل ما يرضى الله ويسره. وهذا أنت تتعلمه مما يقوله الرب بصوت إشعياء النبى إلى أُم اليهود، وهو المجمع: " *وأرد يدى عليكِ، وأمحصك لأنقيكِ، وسوف*

أهدم الذين لا يطيعون، وسوف أنزع منك جميع فاعلى الإثم، وسوف أخفض كل من يتشامخ، وأقيم قضاتك كما فى الأول، ومشيريك كما فى البداءة" (إش١: ٢٥، ٢٦س). ويشير بهؤلاء كما قلت إلى كارزى العهد الجديد، الذين يقول عنهم الرب بفم إشعياء فى موضع ما: "*وتدعون كهنة الرب وخدام الله*" (إش٦١: ٦س). أما بخصوص أن الكرم قد أُعطى إلى كرامين آخرين، فهذا لا يعنى فقط الرسل القديسين، ولكن يُقصد أيضًا الذين أتوا بعدهم، حتى ولو لم يكونوا من نسل إسرائيل، وهذا ما يعلنه الله بوضوح حيث يقول بفم إشعياء لكنيسة الأمم ولبقية إسرائيل: "*ويأتى الغرباء فى الجنس ويرعون غنمكم والغرباء فى العشيرة سوف يكونون حرَّاثين وكرامين*" (إش٦١: ٥س). لأنه فى الواقع قد دُعى كثيرون من الأمم وقديسون كثيرون منهم قد أُحصوا ضمن من صاروا معلمين ومرشدين، بل وإلى وقتنا هذا يوجد رجال من جنس الأمم يشغلون أمكنة عالية فى الكنائس، وهم يزرعون بذار التقوى فى المسيح فى قلوب المؤمنين، ويجعلون الأمم الذين يقومون برعايتهم مثل كروم جميلة فى نظر الله.

وماذا قال الكتبة والفريسيون ــ إذن ــ لما سمعوا المثل. قالوا: حاشا. ومن هذا يمكن أن نلاحظ أنهم قد فهموا المغزى العميق له ، فإنه دفعوا عن أنفسهم الأهوال الوشيكة أن تحدث، وكانوا خائفين من الخطر الآتى، ولكنهم مع ذلك لم يفلتوا منه، لأنهم لم يتخلوا عن عصيانهم، ولم يخضعوا لكى يؤمنوا بالمسيح.

ويستمر الإنجيل قائلاً : إن المسيح "*نظر إليهم وقال : إذن ما هو هذا المكتوب ، الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ، كل*

من يسقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه ". لأنه، رغم أن المخلص كان حجرًا مختارًا، إلاّ أنه قد رُفض من أولئك الذين كان واجبهم هو أن يبنوا مجمع اليهود بكل ما كان نافعًا للبناء، إلاّ أنه مع ذلك قد صار رأس الزاوية، والكتاب المقدس يقارن جمع الشعبين معًا ــ أى إسرائيل والأمم وربطهما معًا، بالزاوية، التى تربط جدارين. لأن المخلص قد خلق الشعبين إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا سلامًا وصالح الاثنين فى جسدٍ واحد مع الآب (أف١٦،٢:١٥). وهكذا فإن العمل يشبه الزاوية التى تربط حائطين، أى تمسكهما معًا. وهذه الزاوية نفسها، أو جمع الشعبين معًا إلى واحد، هذا ما تعجب منه المغبوط داود وقال: " *الحجر الذى رذله البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب صار هذا وهو عجيب فى أعيننا*" (مز١١٧:٢٢س) لأن المسيح ــ كما قلت ــ قد ربط الشعبين معًا بربط المحبة وباتحاد المشاعر ووحدة الإيمان.

فالحجر يكون إذن أمانًا للزاوية التى تُصنع منه، ولكنه يكون هدمًا وتدميرًا لأولئك الذين ظلوا منفصلين عن هذا الاتحاد العقلى والروحى. لأن المسيح يقول: " *إن من يسقط على هذا الحجر يترضض، ولكن من يقع هو عليه يسحقه*". فجموع اليهود عندما عثروا فى المسيح وسقطوا عليه فإنهم ترضضوا، لأنهم لم يسمعوا صوت إشعياء القائل: " *قدسوا الرب نفسه فيكون خوفكم، ولا تصطدموا به مثل صخرة عثرة أو حجر صدمة*" (إش ١٤،٨:١٣س). لذلك فإن الذين لم يؤمنوا انكسروا، أما نحن الذين آمنا به، فإنه قد باركنا ، هذا الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين .

عظة ١٣٥

دفع الجزية لقيصر

لوقا٢٠: ١٩ــ٢٦

" فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيادى عليه فى تلك الساعة ولكنهم خافوا الشعب. لأنهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم. فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكى يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالى وسلطانه. فسألوه قائلين: يا معلم نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتعلِّم ولا تقبل الوجوه بل بالحق تعلِّم طريق الله. أيجوز لنا أن نعطى جزية لقيصر أم لا؟ فشعر بمكرهم وقال لهم لماذا تجربوننى؟ أرونى دينارًا لمن الصورة والكتابة؟ فأجابوا وقالوا لقيصر. فقال لهم أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب، وتعجبوا من جوابه وسكتوا. " .

ها مرة أخرى تشتعل عصبة الفريسيين بغضب غير مكبوح، وهم يصوبون قوس حسدهم ويُصرّون بأسنانهم على هذا الذى يدعوهم إلى الحياة، وهاهم يهاجمون بوحشية هذا الذى يسعى أن يخلص، والذى أخلى نفسه من مجد الألوهية العالى جدًا ونزل إلى حالتنا، وهاهم يتآمرون على موته ، هذا الذى صار إنسانًا لكي يبطل الموت. والسبب الوحيد الذى منع جسارتهم الوقحة يوضحه لنا الإنجيلى الحكيم بقوله: "*إنهم خافوا الشعب*". لقد فهم أنه لا توجد عندهم أى مشاعر تقوى نحو الله يمكن أن تضبطهم. والوصية التى أُعطيت بواسطة موسى والتى تقول بوضوح:" *لا تقتل البرىء والبار*" (خر٢٣: ٣) لا تضع لجامًا يمنع عنفهم، إذ هم يراعون مخافة الناس أكثر من مخافة الله.

ولكن ما هو السبب الذى جعلهم يفسحون مجالاً لمثل هذا الغضب الشديد والعنيف؟ يقول (الكتاب): " *إنهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم* ". وما هو المثل؟ واضح أنه المثل الذى أظهر فيه أنهم بسبب كونهم كرّامين أشرار وغير أمناء، فإنهم استهزأوا بالأنبياء القديسين وذبحوهم، هؤلاء الذين أُرسلوا إليهم من الله لكى يحثوهم على إكرامه بأن يعطوا ثمارًا روحية وافرة، وبالمثل فإنهم هكذا عملوا بالابن نفسه رب الكرم، لأنهم قتلوه أيضًا قائلين: " *هذا هو الوارث هلموا نقتله لكى يصير لنا الميراث* ". ولكنهم أخطأوا وأثاروا غضب الله عليهم، وقاوموا الشرائع التى من فوق وجلبوا على أنفسهم الغضب الإلهى، وبسبب أنهم أشرار، فقد هلكوا هلاكًا رديًا ورُفضوا من أن يكونوا كرّامين، وأُعطىَ الكرم لآخرين. كان هذا هو السبب الذى من أجله تذمروا ضد المسيح. ومع ذلك، ألم يكن من واجبهم أن يهربوا من الغضب وأن يتجنبوا شراكه، بعد أن عرّفهم المسيح بما سوف يحدث؟

لقد كان الطريق أمامهم ممهدًا وسهلاً لكى يفعلوا هذا . كان عليهم أن يقبلوا الذى يدعوهم إلى الخلاص، وأن يكرّموا بالإيمان ذاك الذى يبرر الفاجر، الذى يغفر ويحل من كل إثم، وبنعمته التى لا تذكر الشر، يخلص أولئك الواقعين فى شراك الخطايا.

أما هؤلاء القوم المجترأون القساة، إذ كانوا متأهبين للشر فقط، فلم يبدوا أية رغبة نحو التوبة والرجوع، ولكن بذهنهم المملوء بمكر الشيطان، لجأوا إلى المكائد الشريرة. لقد أخذوا يحيكون شراكًا للمسيح ويخترعون مصيدة

ليجدوا علة ضده. ويجمعون حججًا ليتهموه كذبًا. وفى مرارة حقدهم بدأوا يجهزون الكلمات الكاذبة التى نطقوها ضده أمام بيلاطس.

هؤلاء الناس ينتحلون لأنفسهم سمعة الصلاح ويتظاهرون بأنهم أبرار، كمن يستعير قناعًا، بينما هم فى الحقيقة أشرار عادمو الأخلاق، وقلبهم ممتلئ من المرارة والإثم وكل كلام كذب. لقد تظاهروا بأنهم أبرار ولطفاء، وتخيلوا أنه يمكنهم أن يخدعوا هذا الذى يعرف الأسرار والخفايا وذلك عندما أضمروا هدفًا معينًا فى الفكر والقلب، بينما هم ينطقون بكلمات مخالفة تمامًا لقصدهم، كلمات تخفى وراءها مكرهم الشرير. ربما يكونون قد نسوا الله الذى يقول: " *من ذا الذى يخفى قصده ويغلق على كلماته فى قلبه ويظن أنه يخبأها عنى؟* " (أى٤٢:٣س). كما يقول سليمان: " *الهاوية والهلاك مكشوفان أمام الرب، كم بالحرى أفكار الناس*" (أم١٥:١١س). ولكنك تقترب من المسيح مخلص الجميع كما لو كان مجرد إنسان عادى، لذلك فإنك تظن أنك يمكنك أن تخدعه، كان هذا هو سبب تصرفك الأحمق، لكن كان من الأفضل أن تفكر مليًا أن الكلمة وهو الله قد صار فى هيئة بشرية مثلنا، وقد تبرهن بالمعجزات الإلهية والفائقة الوصف وبواسطة مجده الإلهى أنه ليس مجرد إنسان فقط مثلك بل هو إله، كما أظهرت ذلك أعماله المجيدة. لقد كان فى المظهر إنسانًا مثلنا، ولكنه وهب النظر للعميان، أقام الموتى من قبورهم، وأمر أولئك الذين قد اضمحلوا (بالموت) أن يسرعوا إلى الحياة. لقد انتهر البحار وظهر للتلاميذ ماشيًا على الأمواج حينما كانوا يبحرون فى بحيرة طبرية. لقد كان فى مقدورهم أن يروا من الحقائق الفعلية أنه لم يكن مجرد إنسان، بل بالأحرى هو إله كما أنه إنسان أيضًا.

ولكنهم لم يقبلوا هذا (الإيمان) في قلوبهم، كيف يمكنهم هذا؟ بل إنهم اقتربوا منه وجربوه مخفين عنه غرضهم المخادع. وهاهم يخاطبونه بكلمات رقيقة، وهم مثل وحوش كاسرة في ثياب حملان. إن مثل هؤلاء هم الذين يوبخهم داود النبي بقوله: "كلماتهم ألين من الزيت وهي سيوف مسلولة" (مز ٥٤: ٢١س)، وأيضًا " *لسانهم يخترق مثل طرف سهم حاد، كلمات فمهم خادعة، يتكلم بالسلام لقريبه وفي قلبه يضمر عداوة* " (إر ٩: ٨ س) ولكن ماذا يقولون؟ " *يا معلم، نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتعلّم ولا تقبل الوجوه، بل بالحق تعلم طريق الله ، أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟* " آه من مكرهم الدنس! لأن إله الجميع أراد لبني إسرائيل أن يُعفوا من تسلط البشر عليهم، ولكن لأنهم داسوا تحت أقدامهم الوصايا الإلهية، واحتقروا تمامًا الأوامر التي أُعطيت لهم، ولجأوا إلى المكائد والحيل، فإنهم سقطوا تحت يد أولئك الذين تسلطوا عليهم في ذلك الوقت، الذين فرضوا عليهم الجزية والضريبة ونير العبودية القاسي. وإن النبي إرميا يرثي أورشليم كما لو كانت بالفعل قد عانت من هذا المصير بقوله: "كيف جلست *المدينة الكثيرة الشعب وحيدة، السيدة في البلدان صارت تحت الجزية!* " (مراثي ١: ١س).

لذلك فقد كان هدفهم من هذا (كما يقول الإنجيل)، " *أن يسلموه إلى حكم الوالي*"، لأنهم توقعوا أن يسمعوه يقول: " بالتأكيد أنه لا يجوز أن تُعطى جزية لقيصر". ولكن كيف تغلب المسيح على مكرهم؟ قال لهم: " *أروني دينارًا* "، ولما أروه إياه سأل أيضًا: " *لمن الصورة والكتابة التي عليه؟* " فأجابوا وقالوا : " لقيصر" ، وبماذا أجاب المسيح على ذلك؟ " *قال لهم، أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله* ". لأن الحكام القائمين على حكم

الشعوب، من عملهم أن يفرضوا ضريبة من المال على رعاياهم، أما الله فلا يبغى شيئًا من الأشياء القابلة للفساد، الزائلة، ولكن يريد بالأحرى، الطاعة والخضوع، يريد الإيمان والمحبة والرائحة الحلوة التى للأعمال الحسنة. كان من الواجب على بنى إسرائيل أن يقدموا هذه الأشياء للرب، ولكنهم كانوا مهملين ويزدرون بهذه الأمور ويحتقرونها، كما كانوا مستعدين أن يذهبوا بأنفسهم إلى كل ما هو وضيع.

لذلك فقد تعجبوا من إجابته، وكان هذا أمام جميع الشعب، أى أمام شهود كثيرين ومع ذلك ــ وكأنهم قد تناسوا هذه الأمور ــ فعندما قادوا يسوع إلى بيلاطس فإنهم أتوا بنفس هذا الاتهام عليه، لأنهم قالوا: " *وجدنا هذا الرجل يُفسد الأمة ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر*" (لو٢٣:٢). إنك تتعجب من إجابته، ولا يمكنك أن تخدعه، لقد رجعت خازيًا، وكيف جعلت شرك نفسه نقطة اتهام ضده؟ ماذا قال المخلص عنهم بصوت المرنم: " *لأنهم بلا سبب أخفوا لى هلاك شبكتهم، بلا سبب عيروا نفسى، لتأتهم التهلكة وهم لا يعلمون، ولتمسكهم الشبكة التى أخفوها لى وليقعوا فى فخهم نفسه*" (مز٣٤،٨:٧س). إنهم حقًا سقطوا، إذ لما سلموا يسوع إلى بيلاطس فإنهم هم أنفسهم سلموا أنفسهم للهلاك، وأهلكهم العدو الرومانى بالنار والسيف وأحرق كل أرضهم، حتى الهيكل المجيد الذى كان بينهم (صار خرابًا).

كان هذا مجازاة تصرفهم الأثيم نحو المسيح، فلنتحاش بحرص هذه الخطايا، وأن نكرم بالإيمان كلمة الله، الذى من أجلنا صار إنسانًا، وأن نكون مجتهدين فى تعظيمه بتسابيح لا تنقطع، الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور . آمين .

عظة ١٣٦

حديث الرب مع الصدوقيين بخصوص قيامة الأموات

لوقا ٢٠: ٢٧ــ٣٨

" وحضر قومٌ من الصدوقيين الذين يقاومون أمر القيامة وسألوه قائلين: يا معلم كتب لنا موسى إن مات أحد أخ وله امرأة ومات بغير ولد يأخذ أخوه المرأة ويقيم نسلاً لأخيه. فكان سبعة إخوة، وأخذ الأول امرأة ومات بغير ولد ، فأخذ الثانى المرأة ومات بغير ولد، ثم أخذها الثالث وهكذا إلى السابع ولم يتركوا ولدًا وماتوا، وآخر الكل ماتت المرأة أيضًا ، ففى القيامة لمن منهم تكون زوجة لأنها كانت زوجة للسبعة. فأجاب وقال لهم يسوع: أبناء هذا الدهر يُزوِّجون ويُزوَّجون ، ولكن الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يُزوِّجون ولا يُزوَّجون ، إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضًا لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة. وأما أن الموتى يقومون، فقد دل عليه موسى أيضًا فى أمر العليقة كما يقول: الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، وليس هو إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياءٌ " .

الجهالة يصحبها التهور عادة، وهي تؤدى بالناس إلى أن يعلقوا أهمية كبرى على أوهامهم البائسة، وهكذا فإن أولئك الذين هم ضحايا لهذا الداء، عندهم فكرة عظيمة عن أنفسهم ويتصورون أنهم يملكون معرفة لا يستطيع أحد أن ينكرها. ويبدو أنهم قد نسوا قول سليمان: "*لا تكن حكيمًا فى عينى نفسك*" (أم٣:٧)، أى بحسب حكمك الشخصى، وأيضًا إن الحكمة التى لا تُمحّص تضل الطريق. فإنه ليس بالضرورة أن تكون آراؤنا صحيحة عن

كل تعليم نعتقد به، إذ ربما يحدث أن نحيد عن الطريق الصحيح فنخطئ، ونسقط فى ما هو غير مناسب. ولكن، أظن أنه من الصواب، إذا مارسنا حكمًا نزيهًا وبلا تحيز، وبغير استسلام لاندفاع العواطف، فإننا يجب أن نحب الحق ونسعى إليه باشتياق.

أما الصدوقيون الأغبياء، فإنهم لا يعطون احترامًا لمثل هذه الأفكار. كان الصدوقيون شيعة من اليهود، وقد أوضح لنا لوقا ما هو رأيهم الذى كانوا يفكرون به من جهة قيامة الأموات، فيكتب فى أعمال الرسل: "*لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك* " (أع٢٣:٨). لذلك، قد حضر قوم منهم إلى المسيح مخلصنا جميعًا ـــ الذى هو الحياة والقيامة ـــ وحاولوا أن يدحضوا (عقيدة) القيامة؛ ولأنهم قوم ممتلئون بالخزى وغير مؤمنين، فإنهم اخترعوا قصة مفعمة بالجهالة ومملوءة بالافتراضات السخيفة، محاولين بخبث أن يلغوا رجاء العالم كله. إننا نؤكد أن رجاء العالم كله هو القيامة من الأموات، الذين صار المسيح هو البكر والباكورة[٣] بالنسبة لهم، ولذلك فإن الحكيم بولس أيضًا إذ يجعل قيامتنا معتمدة على قيامته فإنه يقول: "*إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام* " (١كو١٥:١٦)، ثم يضيف إلى ذلك أيضًا، كما لو كان يمتد بالفكر المضاد إلى نهايته: "*إن كان المسيح قد قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم إن ليس قيامة من الأموات؟*" (١كو ١٥:١٢ ترجمة بحسب النص)، والذين يقولون هذا كانوا هم الصدوقيون الذين نتكلم عنهم الآن .

[٣] بناء على قول الرسول " المسيح قام من الأموات وصار باكورة الراقدين " (١كو١٥:٢٠).

ولكن دعنا نفحص ــ إن أردتم ــ هذه الرواية المزيفة التى بلا معنى التى صاغوها. يقولون كان سبعة إخوة وصاروا على التوالى أزواجًا لامرأة واحدة بحسب متطلبات ناموس موسى، ثم ماتت هى أيضًا بدون أولاد، ففى القيامة لمن منهم تكون زوجة؟ إن السؤال الذى يطرحونه، هو بلا معنى، كما أنه لا يتوافق بأى حال مع الكتب الموحى بها، وإجابة مخلصنا فيها تكفى تمامًا لإثبات حماقة روايتهم. وتجعلنا نرفض خيالهم المزيف، كما نرفض الفكرة التى تأسس عليها .

وأظن أنه من الصواب أن نتهمهم بأنهم يقاومون ــ بغباء، الكتب الموحى بها، وأن نوضح أنهم قد جانبوا الصواب تمامًا وابتعدوا عن المعنى الذى تعلِّمه الكتب المقدسة. تعالوا ودعونا نرى ماذا قالت جماعة الأنبياء القديسين بخصوص هذا الموضوع، وما هى التصريحات التى أعلنها رب الجنود بواسطتهم. إنه يقول عن أولئك الراقدين: " *من يد الهاوية أخلصهم ، من الموت أفديهم، أين قوتك يا موت ؟ أين شوكتك يا هاوية* " (هو١٣: ١٤ س). أما بخصوص المقصود بقوة الموت وبشوكته أيضًا، فإن المبارك بولس قد علَّمه لنا بقوله: " *أما شوكة الموت فهى الخطية، وقوة الخطية هى الناموس* " (١كو١٥: ٥٦)، لأنه يقارن الموت بالعقرب، الذى شوكته هى الخطية، لأنه بسمه يقتل النفس، ويقول إن الناموس هو قوة الخطية. ويتعرض (القديس بولس) هو نفسه ثانية فى موضع آخر ويقول: " *لم أعرف الخطية إلاّ بالناموس* " (رو٧: ٧)، " *إذ حيث ليس ناموس ليس أيضًا تعدٍّ* " (رو٤: ١٥). ولهذا السبب فإن المسيح أخرج أولئك الذين يؤمنون به من تحت سيادة الناموس الذى يدين، وقد أبطل أيضًا شوكة الموت، أى

الخطية، وإذ قد أبطل الخطية ، فإن الموت بالتالى ــ كنتيجة حتمية ــ قد بطل، لأنه نتج عنها وبسببها دخل الموت إلى العالم .

وكما أن الله قد أعطى الوعد: "*أخلصهم من يد الهاوية ومن الموت أفديهم* "، هكذا أيضًا فإن الأنبياء القديسين يتوافقون مع الأحكام الصادرة من فوق، لأنهم يكلموننا، ليس "*برؤيا قلبهم، ولا من مشيئة إنسان، ولكن من فم الله* " (أنظر إر٢٣:٢٦) كما هو مكتوب، طالما أن الروح القدس هو الذى يتكلم فيهم (أنظر ٢بط١:٢١) هو الذى يعلن فى كل أمر، ما هو حكم الله وما هى مشيئته المقتدرة وغير القابلة للتغيير. لذلك يقول لنا إشعياء النبى: "*تحيا أمواتك، وأولئك الذين فى القبر سيقومون، والذين فى الأرض سيبتهجون، لأن طلّك هو شفاء لهم* " (إش٢٦:١٩س). وأنا أعتقد أن النبى يقصد بالطلّ قوة الروح القدس المحيية، وذلك التأثير الذى يلاشى الموت، لأنه قوة الله وقوة الحياة .

ويقول أيضًا داود المبارك فى موضع ما فى المزامير عن كل ما على الأرض: "*تنزع روحهم فيموتون وإلى ترابهم يعودون، تُرسل روحك فيُخلقون وتجدد وجه الأرض*" (مز١٠٣:٢٩س). هل تسمع أن نعمة الروح القدس العاملة والمحيية سوف تجدد وجه الأرض ويقصد بوجه الأرض جمالها، ويُفهم بذلك أن جمال الطبيعة البشرية سوف يكون على غير فساد، لأنه مكتوب: "*يُزرع فى فساد ويُقام فى عدم فساد، يُزرع فى ضعف ويُقام فى قوة، يُزرع فى هوان ويُقام فى مجد* " (١كو١٥:٤٣،٤٢). ومرة أخرى فإن النبى إشعياء يؤكد لنا أن الموت الذى دخل بسبب الخطية لا يحتفظ بقوته على ساكنى الأرض إلى الأبد، ولكنه يتلاشى بقيامة المسيح من بين الأموات، وهو الذى يجدد العالم ويعيد تشكيله إلى ما كان عليه فى البداءة،

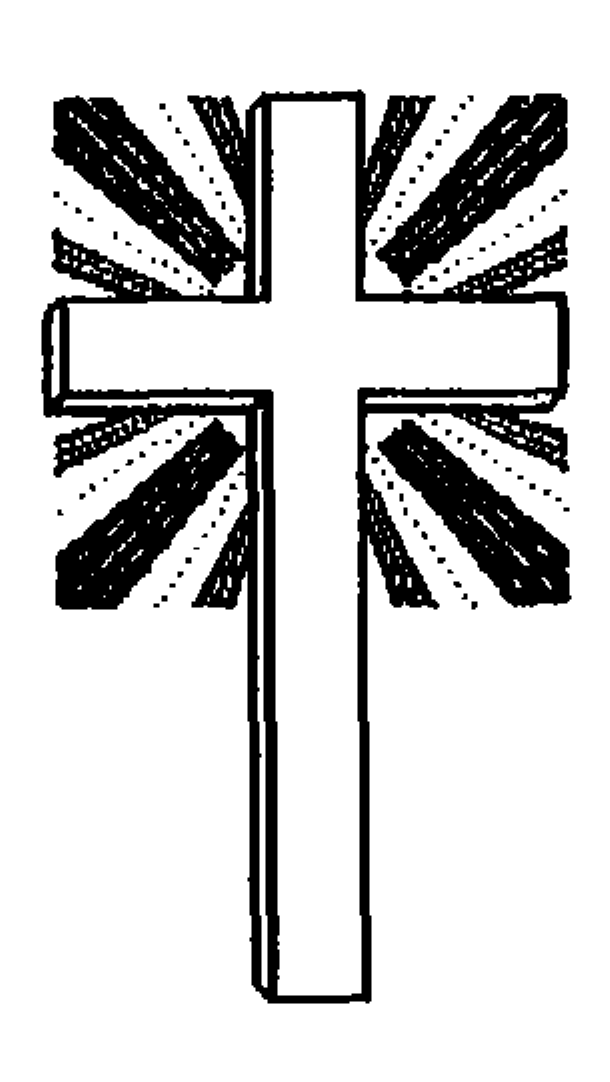
كما هو مكتوب: " *لأن الله خلق جميع الأشياء لعدم فساد*" (حكمة١:١٤). فالنبى إشعياء يقول: " *يبلع الموت بعد أن قوى جدًا، ويمسح الرب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار الشعب عن كل الأرض*" (إش٢٥:٨س). والآن هو يسمى الخطية عار الشعب، وهذه عندما تُبطل، فإن الموت أيضًا يُبطل معها، والفساد يتلاشى، وإذ يأتى به إلى نهاية، فإنه ينزع الدموع من الجميع، والنوح أيضًا ينتهى، فلا يكون للناس سبب فيما بعد يجعلهم يبكون وينوحون.

هذا يكفى لبحثنا بخصوص تفنيد كُفر اليهود. ولكن دعنا نرى أيضًا ماذا قال المسيح لهم: أبناء هذا الدهر يُزوِّجون ويُزوَّجون، أما أولئك الذين عاشوا حياة كريمة ومختارة وممتلئة من كل سمو، وقد حُسبوا أهلاً أن يبلغوا قيامة مجيدة ورائعة، فهم بالضرورة يرتفعون فوق الحياة التى يحياها أبناء هذا الدهر، لأنهم سيعيشون كما يليق بقديسين قريبين لله، فهم يكونون مثل الملائكة وهم أبناء الله. وحيث إنه يكون قد انتُزع منهم كل شهوة جسدية، ولم يعد يوجد موضع باقٍ فيهم للذة الجسدية، فإنهم يشبهون الملائكة القديسين، وهم يكملون خدمة روحانية وليست مادية ــ كما يليق بالأرواح المقدسة، وفى نفس الوقت يكونون مستحقين لمثل هذا المجد الذى تتنعم به الملائكة.

وقد أظهر المخلص أيضًا جهل الصدوقيين العظيم بأن استشهد لهم بمعلم أقداسهم موسى، الذى كان مطلعًا جيدًا على أمر القيامة من الأموات. فإنه يضع أمامنا الله الذى يقول من العليقة: " *أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب* " (خر٣:٦). ولكن لمن يكون إلهًا إذا كان بحسب ادعائهم أن

هؤلاء لم يعودوا أحياء؟ فهو إله أحياء. لذلك فبالتأكيد ــ وبكل ما فى الكلمة من معنى ــ سوف يقومون عندما تقيمهم يمينه المقتدرة، وليس هم فقط، بل أيضًا جميع الذين على الأرض.

أما القوم الذين لا يؤمنون بأن هذا سوف يحدث، فإنه يليق بهم جهالة الصدوقيين، وهم لا يستحقون على الإطلاق (أن يُحسبوا ضمن) أولئك الذين يحبون المسيح. أما نحن فنؤمن بالقائل: " *أنا هو القيامة والحياة* " (يو ١١:٢٥). لأنه سوف يقيم الأموات " *فى لحظة ، فى طرفة عين، عند البوق الأخير ، فإنه سيبوّق، والأموات فى المسيح سوف يقومون فى عدم فساد، ونحن نتغير* " (١كو١٥:٥٢)، لأن المسيح مخلصنا جميعًا سوف ينقلنا إلى عدم فساد وإلى مجد وإلى حياة غير مضمحلة، هذا الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٣٧

أ) المسيح وداود

ب) التحذير من معلمى الناموس

لوقا٢٠: ٤١ـــ٤٧

" وقال لهم كيف يقولون إن المسيح ابن داود ؟ وداود نفسه يقول فى كتاب المزامير قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك . فإذن داود يدعوه ربًا فكيف يكون ابنه ؟

وفيما كان جميع الشعب يسمعون قال لتلاميذه، احذروا من الكتبة الذين يرغبون المشى بالطيالسة[4] ويحبون التحيات فى الأسواق والمجالس الأولى فى المجامع والمتكآت الأولى فى الولائم، الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلة يطيلون صلواتهم هؤلاء يأخذون دينونة أعظم . " .

أولئك الذين يحبون التعلّم ويميلون للاستماع، يقبلون بفرح كلمة الله النافعة، ويحفظونها ويخبئونها فى خزانة قلبهم مثل بذرة حياة. وما هى نتيجة فعلهم هذا؟ إن النور الإلهى يشرق عليهم، ويحظون بمعرفة صحيحة لا تخطئ للوصايا المقدسة، وهذه تسرع بهم إلى الحياة ، كما يعلمنا الابن نفسه حيث يقول لله الآب السماوى: " *وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته* " (يو١٧: ٣) .

لذلك، أقول لكم، اُنظروا إلى ذاك الذى هو المانح لنا كل حكمة وفهم، أى المسيح، وهو يحاول أن يغرس هذه البركة العظيمة التى لا تُقدر فى أولئك الذين ـــ قبل كل شئ ـــ هم رؤساء اليهود، أقصد الكتبة والفريسيين،

---

[4] ثوب طويل منسوج من الحرير الملون .

لأنه كان من الصواب ــ إذ هم رعاة ومعلمو وقادة الشعب ــ أن لا يخفى عليهم سرّه، الذى أعلنه ناموس موسى منذ القديم، وهو يصفه (السر) بالرمز وبالظل بطرق متعددة، والذى علمه جماعة الأنبياء القديسين العظماء الأماجد. لأجل هذا السبب فإن المسيح يُدعى مُكمِّل الناموس والأنبياء (أنظر رو ١٠:٤).

لهذا السبب ، فإن المخلص سألهم قائلاً: " *كيف يقولون إن المسيح ابن داود، وداود نفسه يقول فى كتاب المزامير: قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. فإذن داود يدعوه ربًا، فكيف يكون ابنه؟* ". إن الإيمان هو بدء الفهم، لأنه يقول: " *إن لم تؤمنوا فلن تفهموا* " (إش٧:٩س)، ولكن فحص الحقائق الهامة يؤدى إلى الخلاص. إننا نعترف بأن عمانوئيل هو ابن داود وهو ربه أيضًا، إن كان أحد يريد أن يتعلم ما هى الطريقة التى يفهم بها هذا الإيمان، فإنه يجب عليه بالضرورة أن يلجأ إلى فحص سر المسيح، فحصًا دقيقًا وبلا لوم. (هذا السر) الذى كان مكتومًا منذ تأسيس العالم ولكن أُظهر فى الأزمنة الأخيرة (أنظر رو ٢٥:١٦،٢٦ و ١بط١:٢٠).

لم يجب الفريسيون على سؤال المسيح؛ وقد فعلوا هذا بخبث، أو بالأحرى ضد أنفسهم، لئلا إذا ما نخسهم السؤال تشرق عليهم كلمة الخلاص، لأنهم لم يكونوا يريدون أن يعرفوا الحق، ولكن إذ كانوا يريدون بشرهم أن يستولوا لأنفسهم على ميراث الرب، فإنهم أنكروا الوارث، أو بالأحرى قتلوه بشرهم. لأنه بسبب حب السلطة والطمع فى المال، وبسبب أرباحهم الدنيئة، فإنهم رفضوا الإيمان. لأنهم فى إحدى المرات تناولوا

حجارة ليرجموه، وعندما سألهم عن سبب عنفهم أجابوا بحماقة: " *لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا* " (يو ١٠:٣٣). وفى مناسبة أخرى دعوه سامريًا وشريب خمر وسكيرًا وابن النجار، وهم يقصدون بهذه الأوصاف أنه شخص حقير ووضيع المولد. ولا تتعجب من هذا، فإنهم تجاسروا أن يشنعوا بميلاده بالجسد من العذراء القديسة بقولهم بصورة غامضة ولكن بمرارة : " *نحن لم نولد من زنا* " (يو ٨: ٤١).

ولكى ينزع المسيح منهم عادة التفكير والكلام عليه بازدراء واحتقار فإنه سألهم قائلاً : " *كيف يقولون إن المسيح ابن داود؟* " ولكنهم كما نوَّهت لكم للتو، التزموا الصمت بدوافع ماكرة، وبهذا حكموا على أنفسهم بأنهم غير مستحقين للحياة الأبدية ولا لمعرفة الحق.

ونحن أيضًا نضع أمام فريسيى الأيام الأخيرة ° سؤالاً مشابهًا، دع هؤلاء ـــ الذين ينكرون أن هذا الذى ولد من العذراء القديسة هو الابن الحقيقى لله الآب وهو نفسه الله، ويقسمون المسيح الواحد إلى ابنين؛ أقول دعهم يشرحون لنا بأى طريقة يكون ابن داود هو ربه، وكيف أنه وهو إنسان تكون ربوبيته إلهية، لأن الجلوس عن يمين الآب هو تأكيد للمجد الفائق وعربون له، لأن الذين يشاركون نفس العرش هو متساوون فى الكرامة، والذين يتوَّجون بكرامات متساوية يُفهم طبعًا أن يكونوا متساوين فى الطبيعة. فالجلوس مع الله لا يمكن أن يعنى شيئًا آخر سوى السلطان المهيمن، كما أن العرش يكشف لنا أن له السلطان على كل شئ، وأيضًا له

° يقصد أتباع نسطور .

الرفعة الكاملة بحق جوهره. كيف إذن يكون ابن داود هو رب داود ويجلس أيضًا عن يمين الله الآب وعلى عرش الألوهة؟ أليس هذا هو بحسب كلمة السر الحقيقية: أى أن الكلمة وهو الله، ومولود من نفس جوهر الله الآب، وهو مماثل له ومساوٍ له؛ صار جسدًا، أى صار إنسانًا كاملاً، لكن بدون أن يترك الامتياز الذى لا يُقارن الخاص بالكرامات الإلهية، وهو لا يزال مستمرًا بالحرى فى الحالة التى كان فيها منذ الأزل، وهو لا يزال إلهًا مع أنه صار جسدًا وفى الشكل مثلنا. لذلك فهو رب داود بحسب مجده الإلهى وبحسب طبيعته وربوبيته الكاملة؛ ولكنه ابن داود بحسب الجسد.

لذلك أقول إنه كان من واجب رؤساء اليهود الذين يفتخرون كثيرًا بمعرفتهم بالشرائع الإلهية، ألاّ يَدّعوا كلمات الأنبياء القديسين تفوت عليهم، لأن المبارك إشعياء يقول: " *ها العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل، الذى تفسيره الله معنا* " (إش٧: ١٤س، مت١: ٢٣). أما الكلمة فكان معنا كإله عندما أخذ شبهنا، ولم يحتقر الحالة الوضيعة التى للجنس البشرى، كى يخلّص جميع من هم تحت السماء. ومكتوب أيضًا " *وأنت يا بيت لحم بيت أفراته، لست الصغرى بين ألوف يهوذا، لأن منك يخرج الذى يكون رأسًا (متسلطًا) على إسرائيل*" (مى٥: ٢س)، لأن بيت لحم كانت صغيرة بالفعل ومن جهة كثافة اليهود فيها، فقد كان سكانها قليلين جدًا، ومع ذلك خرج منها المسيح ـــ لما وُلد فيها من العذراء القديسة ـــ لا كمن هو خاضع لظلال الناموس، بل بالحرى كسيد للناموس والأنبياء.

لذلك فنحن لم نتبع جهالة الناس ولا حداثة كلامهم الأحمق؛ لئلا نسقط معهم فى ذهن مرفوض، بل نُشرك أنفسنا بالحرى فى التعاليم النقية التى

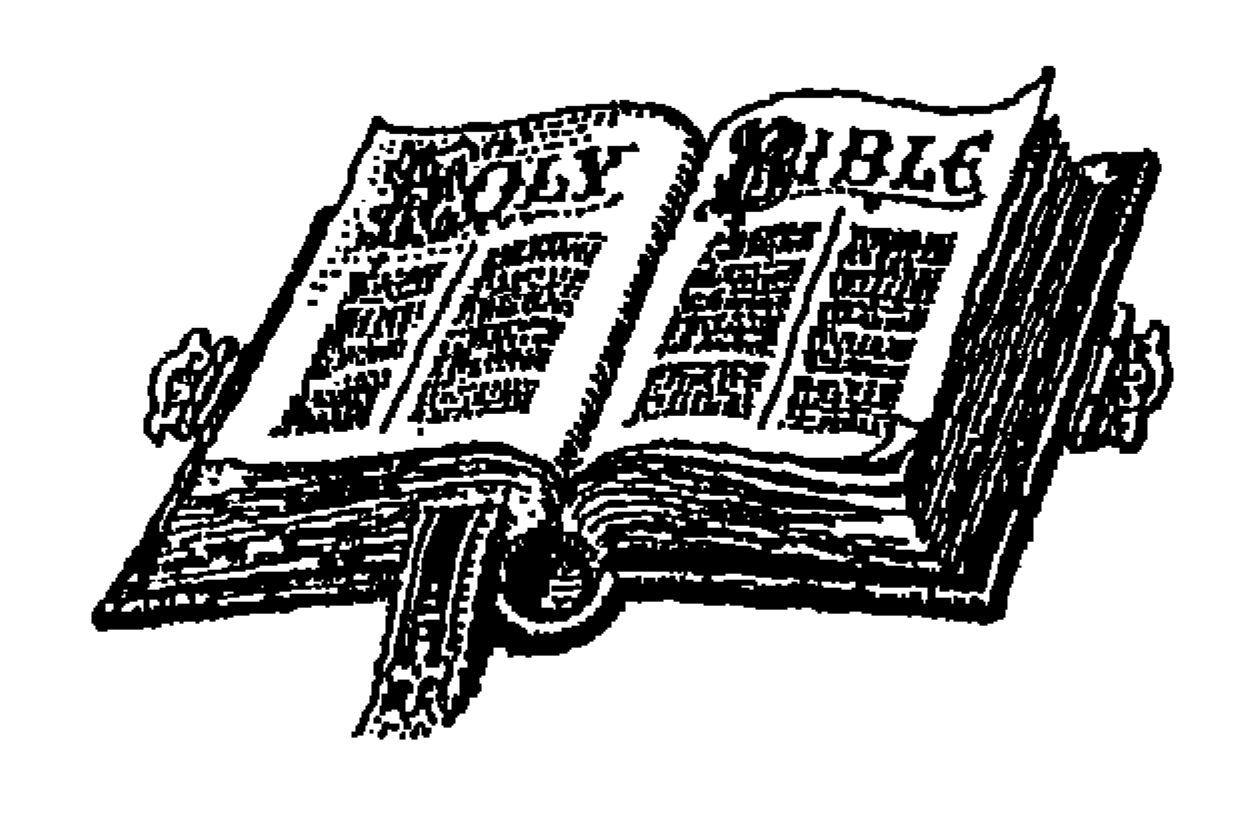
للرسل القديسين والبشيرين الذين أوضحوا لنا في كل مكان، أن المسيح مخلص الكل هو في نفس الوقت ابن داود وربه بالطريقة التي وصفتها لكم منذ قليل .

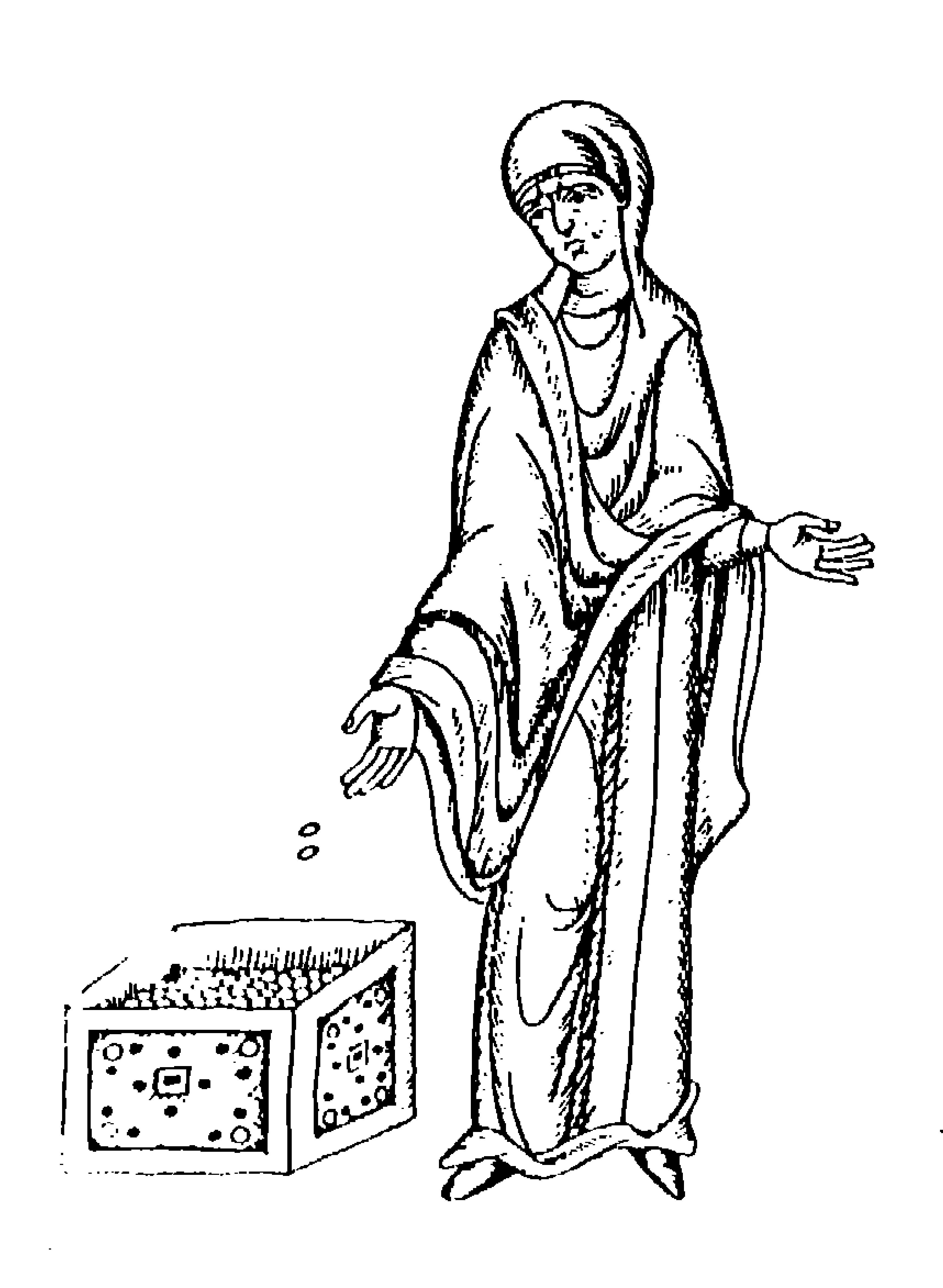
لذلك فإنه يوجد رب واحد ، إيمان واحد ، معمودية واحدة (أف٤:٥)، رب واحد قد اشترانا، "*لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب، بل بدم نفسه* " كما هو مكتوب (١بط١:١٨)، حتى نعبده ، وبه ومعه نعبد الله الآب، لأن لنا فيه وبواسطته قدومًا إلى الآب (أنظر أف٢:١٨).

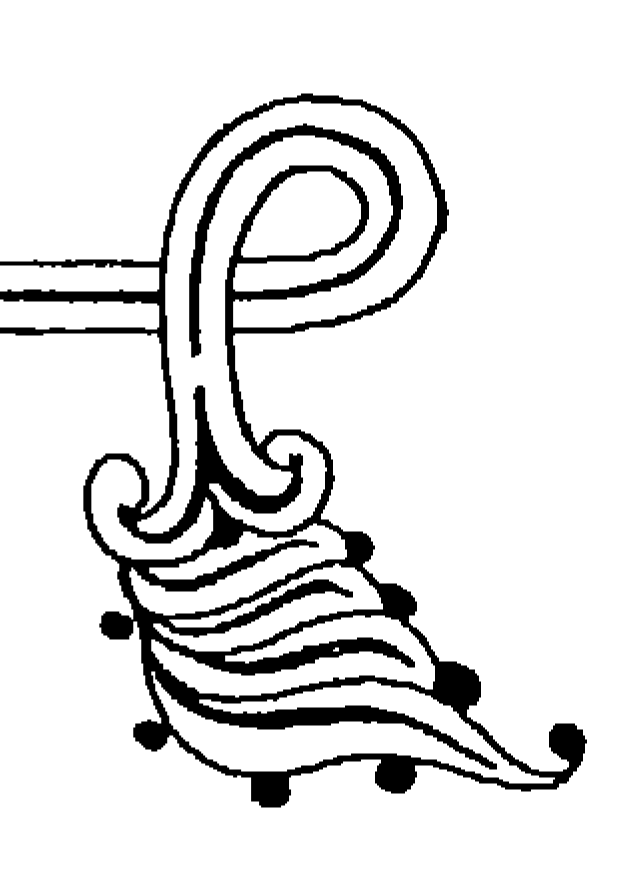
ولكن كما قلت لكم، فإن رؤساء اليهود لم يراعوا الحق على الإطلاق، وإذا أراد أحد أن يعرف ما هو سبب كرههم الفظيع للتعلم ، فليسمع السبب مني: إنه تصميمهم عن ألاّ يتخلوا عن محبة المديح المغروسة فيهم، ولا أن يهجروا شهوتهم الملعونة للربح والمخلص نفسه وبخهم مرة بقوله : "*كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه*" (يو٥:٤٤). لقد كان من واجبهم أن يطلبوا المجد الذى من الله لا المجد الذى من الناس ، لأن مجد الناس وقتي ويتلاشى مثل الحلم .

ولذلك، فللفائدة، من أجل أن يحفظ جماعة التلاميذ القديسين أنقياء من مثل هذه الأخطاء الشائنة، فإنه يشهد لهم قائلاً: " *احذروا من الكتبة والفريسيين*". أى لا تعرضوا أنفسكم لأن تكونوا فريسة لرذائلهم، ولا أن تكونوا شركاءهم في استخفافهم بالله. فماذا كانت عادتهم؟ فقد كانوا يسيرون في الطرق وهم متزينون حسنًا، ويجلبون لأنفسهم كرامة طنانة، حتى ينالوا مديح أولئك الذين ينظرونهم. وبينما هم أشرار وقلبهم ممتلئ من عدم

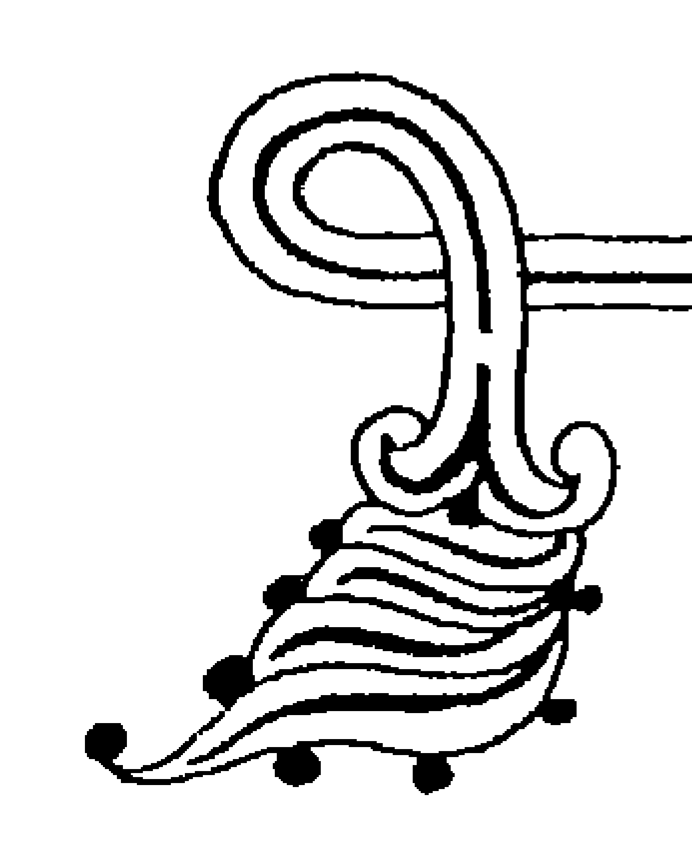
الاستقامة، فإنهم ينسبون لأنفسهم ــ كذبًا ــ سمعة التقوى، والأخلاق الحسنة التى لا وجود لها فيهم فى الواقع. فإنهم يجتهدون أن يطيلوا صلواتهم بكلمات كثيرة مفترضين أنه ربما لو لم يستعملوا كلمات كثيرة ، فإن الله لن يعلم ما هى طلباتهم. وأماً مخلص الجميع، فإنه لم يسمح للذين يعبدونه أن يفعلوا مثل ذلك، فيقول: " *حينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم، لأنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم* " (مت٦:٧)، ولكنه أوصاهم أن يكونوا متواضعين غير محبين للافتخار، وأن لا يعطوا أى اعتبار لحب المجد الباطل، ولكن أن يطلبوا بالأحرى الكرامة التى تأتى من فوق من الله. وبهذا فإنه يودع فيهم معرفة سرّه؛ وهكذا فإنه يُجهّز الذين سوف يرشدون الآخرين لأن يحوزوا معرفة صحيحة وبلا لوم للتعاليم المقدسة، وهكذا فهو يجعلهم يعرفون كيف أن ابن داود هو أيضًا رب داود، الذين معهم (مع الرسل) نحن نضع أنفسنا أيضًا، إذ يضئ علينا الله الآب بنور إلهى فى المسيح، الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين .







الإصحاح الحادى والعشرون



وتطلّع فرأى الأغنياء يلقون
قرابينهم فى الخزانة. ورأى أيضًا
أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين

الإصحاح الحادى والعشرون

عظة ١٣٨

المرأة صاحبة الفلسين

لوقا ٢١: ١ـــ٤

" وتطلَّع فرأى الأغنياء يلقون قرابينهم فى الخزانة. ورأى أيضًا أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين. فقال بالحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع، لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا فى قرابين الله، وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل المعيشة التى لها. " .

اليوم ينفتح لنا منظر من مناظر التقوى، مع يسوع كحكم قانونى للمباريات، والذى بقرار عادل يوزع الأوسمة والنياشين للذين دعوا للمشاركة فى السباق. والأشخاص الذين تُقدمهم لنا هذه المباريات ليحوزوا على إعجابنا، ليسوا هم عازفى قيثارات ولا هم مصارعين مهرة، ولا هم أيضًا ممن اعتادوا أن ينالوا المجد بواسطة أصوات المزمار الرخيمة، بل هم بالأحرى من أولئك الذين تفضل مخلص الكل وتنازل وكرّمهم بسبب أنه يحب الفضيلة. إن أكثر صفوة مكرمة بين هؤلاء والمفضلون عن كل الآخرين، هم أولئك الرحماء وذوو العطف الذين يشهد لهم المخلص نفسه بقوله: " *طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون* " (مت٥: ٧).

هؤلاء كان المسيح يراقبهم وهم يلقون قرابينهم فى الخزانة، لأننا هكذا سمعنا الإنجيلى القديس يُعلن لنا ذلك هنا. لكن أى فم سيكفى لأولئك الذين يسبحون إله الكل! وكما يقول الكتاب " مجد *الرب إخفاء الكلمة* " (أم٢٥: ٢:

س). لأنه يستحيل أن نُسبِّح لطفه الفائق وعظمة محبته للبشرية التى لا تُقارن كما يحق لهما، فهو ينسب لنفسه ويحسبه كقرابين، كل ما نفعله للإخوة الذين أضناهم الفقر، لأنه قال: " *الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى فعلتم* " (مت٢٥: ٤٠)، ومكتوب: " *من يُحسن إلى الفقير يُقرض الرب* ". وعن هذا يُعبّر أحد القديسين عن إعجابه، بطريقة جميلة جدًا بقوله فى أحد المواضع، بل بالأحرى يقول لكل بنى البشر: " *إن كنت بارًا فماذا تعطيه؟ أو ماذا يأخذه من يدك؟ لرجل مثلك شرك، ولابن آدم برك* " (أى٣٥،٨: ٧). لذلك كما قلت (من قبل) إن أعمالنا وأفعالنا تُعمل لمن هم رفقاؤنا وإخوتنا، ولكن الله يأخذها لنفسه لأنه محب للبشر، ويحسبها كثمر روحى، وذلك لكيما تكون له فرصة ليُظهر رحمة لأولئك الذين اعتادوا التصرف هكذا، ولكى يعتقهم من كل خطية، لأنه مكتوب: " *الرحمة تفتخر على الحكم* " (يع٢: ١٣).

لذلك ــ لو سمحتم ــ ليتنا نراقب نضال الرحومين ونرى ما هى طبيعته، ولمن بالأساس يُخصِّص المخلص استحساناته ومدحه بواسطة قراره المقدس والإلهى. لقد تقدم بعض الأغنياء وهم جالبين معهم عطاياهم التى جهزوها وألقوا قرابينهم فى الخزانة، ولكونهم يمتلكون ثروة كبيرة وغنى وافرًا، فإن العطايا التى قدمها كل واحد ــ كما يبدو ــ كانت كبيرة فى حد ذاتها، ولكنها من الناحية الأخرى صغيرة لا تتناسب مع دخل مقدميها. ثم جاءت بعدهم امرأة منضغطة فى فقر مدقع لا يُحتمل، والتى كل رجاء معيشتها يكمن فى عطف المحسنين، ومن الفتات كانت تجمع بصعوبة ومشقة مؤونة ضئيلة وتافهة تكفى بالكاد لقوت اليوم. وأخيرًا (بعد كل الأغنياء) قدَّمت هذه المرأة فلسين، لأنه لم يكن فى مقدورها أن تُقدِّم

أكثر من هذا، وإن جاز القول ـــ فإنها جرَّدت نفسها من كل ما لديها، وغادرت الرواق المقدس بيدين خاويتين. يا لهذا العمل العجيب والمدهش! المرأة التى على الدوام تطلب من الآخرين صدقة، تقرض الله، جاعلة حتى الفقر فى حد ذاته مثمرًا لإكرام الله. لذلك فقد فازت على الآخرين وتكللت من قِبل الله بجزاء عادل.

لكن ربما يضايق هذا الكلام بعضًا من الأغنياء، ولذلك سنوجه لهم ملاحظات قليلة. أنت تبتهج أيها الغنى بوفرة ممتلكاتك، نصيبك خصب أكثر مما تتطلبه احتياجاتك الضرورية. أنت تحصد حقولاً ومقاطعات، ولك حقول كروم كثيرة وواسعة وبساتين محمَّلة بما لذّ وطاب حتى فقدت مذاقها بسبب التأخر وضياع موسم جمعها، ولك معاصر وبيادر ومواشى لا حصر لها، وبيت جميل مبنى بثمن عظيم وفيه مخازن كثيرة وملابس منسوجة بألوانٍ مختلفة، وأخيرًا أنت لا تقدِّم بما يتناسب مع دخلك؛ حتى إنك عندما تعطى، فلنْ تفقد قط سوى القليل جدًا من غناك الوافر. أمّا تلك المرأة فقد قدَّمت فلسين، وهى لم تكن تمتلك شيئًا أكثر مما قدمته؛ إذ لم يعد يتبقى لديها شئ بعد الفلسين، وخرجت من الخزانة بيدين فارغتين، ولكن أيضًا بيدين سخيتين بالقليل الذى تملكه. ألا يحق لها لأجل ذلك أن تفوز بالإكليل؟ ألم يكن لقرار الأفضلية أن يكون من نصيبها بمقتضى قرار مقدس؟ أما تفوقت هى على سخائك (أيها الغنى)، على الأقل من جهة استعدادها؟

إن الحكيم بولس يكتب أيضًا شيئًا من هذا القبيل: "*لأنه إن كان النشاط موجودًا فهو مقبول على حسب ما للإنسان لا على حسب ما ليس له* " (٢ كو٨: ١٢). ليس فقط يمكن للغنى أن ينال نعمة لدى الله بتقديم ثمر للإخوة

ــ لأن مخلص الكل سيقبل تقدمته ــ بل حتى من يمتلك القليل جدًا يمكنه أيضًا أن ينال نعمة الله بتقديمه القليل الذى له، وأيضًا لن يعانى أية خسارة لأجل هذا (الذى قدَّمه)، لأن العالم بكل شئ سيمتدح استعداده (للعطاء) وسيقبل نيته (الحسنة)، وسيجعله معادلاً للغنى، أو بالأحرى سيكلله بكرامة أكثر وجاهة وامتيازًا.

وهذا أيضًا يستحق أن يثير إعجابنا وانتباهنا، أن الجموع التى كانت صاعدة إلى الهيكل، كان البعض منها يقدِّم عجولاً مسَّمنة، والبعض يقدم غنمًا وبخورًا ولبانًا وأشياء أخرى غيرها لا غنى عنها لتقديم الذبائح التى يأمر بها الناموس بطريقة لائقة، لكن نظرة المخلص لم تكن مركَّزة على هؤلاء، بقدر ما كانت مثبتة على من يقدمون قرابينهم فى الخزانة، أى على من كانوا محسنين وشفوقين، لأنه يقبل الرائحة الطيبة للعبادة الروحية، لكنه يغض نظره عما يُعمل فى رموز وظلال، لأنه عرف أن الرموز لا تفيد وأن الظل ضعيف، لذلك فهو يكرم الإحسان إلى الفقير، وإذ يعرف هذا أحد الرسل، فإنه يكتب قائلاً: " *الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه، افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم*" (يع١:٢٧).

ونحن نجد أيضًا أن الوصية التى أعطاها موسى تحثنا على محبة الفقير، وتنهضنا إلى عمل الإحسان، لأن الله الذى وضع أمامنا طريق السلوك الإنجيلى، هو نفسه الذى حدّد منذ القديم الوصية لموسى، لم يكن إلهًا غيره، إنه هو نفس الإله الوحيد من حيث إنه إله لا يتغير، لأنه يقول بفم أحد الأنبياء القديسين: " *أنا الذى أتكلم إليكم، قريب*" (إش٥٢:٦س). لذلك فهو تكلم هكذا بواسطة موسى قائلاً: " *إن كان فيك فقير أحد من*

إخوتك فى أحد أبوابك فى أرضك التى يعطيك الرب إلهك، فلا تُحوِّل[1] *قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك المحتاج، بل افتح يدك له بسعة وأقرضه مقدار ما يحتاج إليه، وبحسب ما ينقصه*" (تث٨،١٥:٧س). أنتم تسمعونه يدعو صدقتهم قرضًا، لأن الله هو الذى يقبلها وسوف يعوضها ليس بما يساويها، بل بالأحرى بكيل فائض، لأنه يقول: " *كيلاً جيدًا ملبدًا مهزوزًا فائضًا يعطون فى أحضانكم*" (لو٣٨:١٦). وكما يقول الحكيم بولس: " *يحب الله المعطى بسرور*" (٢كو٧:٩). وكون أنه من الصواب أن نكون محسنين للإخوة وليس بخلاء، وليس كمسألة إلزامية بل بدافع من المحبة أكثر من كونه مراعاة للوجوه وبمودة متبادلة لا لوم فيها، فإنه حتى ناموس العهد القديم يوضحه بقوله: " *ولا تحزن فى قلبك عندما تعطيه، لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب إلهك فى كل أعمالك وجميع ما تمتد إليه يدك*" (تث ١٠:١٥س). ولذلك يقول بولس الرسول: " *المُعطى فليعطِ بسخاء، المدبر فباجتهاد، الراحم فبسرور*" (رو٨:١٢)، لأن المحبة التى نظهرها للفقير ليست غير مثمرة، بل هى دَين يُرَّد بزيادة.

لذلك ينبغى لنا أن نكون مجتهدين فى إتمام هذا الواجب بكوننا متيقنين أنه لو وزعنا بيد سخية، فإننا سننفع أنفسنا، لأنه هكذا يعلِّمنا أيضًا بولس الطوباوى قائلاً: " *هذا وإن من يزرع بالشح فبالشح أيضًا يحصد، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا يحصد، كل واحد كما ينوى بقلبه* " (٢كو ٦:٩،٧). وكما لو كان يقطع الكسل من جهاداتنا الصالحة، فإن الرسول يضيف فى الحال هذه الكلمات: " *والله قادر أن يزيدكم كل نعمة، لكى*

---

[1] لابـد أن القديس كيرلس قرأ ἀποστεψεις والتى تعنى يُحوِّل بدلاً من ἀποστέρξεις و التى تعنى تُقَسِّى .

تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين فى كل شئ تزدادون فى كل عمل صالح.
كما هو مكتوب، فرق أعطى المساكين، بره يبقى إلى الأبد" (٢كو ٩:٩،٨).
لأن الذى يظهر رحمة للفقير، لن يُتخلى عنه أبدًا، بل بالأحرى سيُحسب أهلاً للغفران من المسيح مخلصنا الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور . آمين.



عظة ١٣٩

يسوع ينبئ بخراب الهيكل ونهاية العالم والمجيء الثانى

لوقا ٢١: ٥ــ١٣

" وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل إنه مزين بحجارة حسنة (وهدايا)[٢] قال : هذه التى ترونها ستأتى أيام لا يُترك فيها حجر على حجر لا يُنقض. فسألوه قائلين : يا معلم متى يكون هذا وما هى العلامة عندما يصير هذا؟ فقال انظروا لا تضلوا فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين إنى أنا هو والزمان قد قرب فلا تذهبوا وراءهم. فإذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا لأنه لابد أن يكون هذا أولاً، ولكن لا يكون المنتهى سريعًا. ثم قال لهم تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون زلازل عظيمة فى أماكن ومجاعات وأوبئة، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء. وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى، فيؤول ذلك لكم شهادة" .

لقد تسلمنا من المسيح معرفة الأشياء التى كانت مزمعة أن تحدث، لأنه هو نفسه الذى ينير خفايا الظلام ويعرف الخفايا (١كو٤:٥)، والمُذخر فيه جميع كنوز الحكمة وخفايا المعرفة (انظر كو٢:٣). وهو يُغير الأوقات والأزمنة ويعيد تشكيل الخليقة إلى ما كانت عليه فى البداية. لأن الخليقة التى لم تكن موجودة قد جاءت بواسطته إلى الوجود بحسب إرادة الله الآب، لأنه هو قوة الله الحية وحكمته الذاتية، وأيضًا بواسطته ستتغير (الخليقة)

[٢] الكلمة اليونانية المترجمة هدايا تعنى التقدمات التى تُقدم للهيكل ثم تُعلق على الجدران والأعمدة بشكل ظاهر، ولهذا جاءت فى الترجمة الشائعة بكلمة " وتحف ".

بسهولة إلى ما هو أفضل، لأن تلميذه يقول: " *لكننا ننتظر سموات جديدة وأرضًا* جديدة " (٢بط٣:١٣).

والآن فإن سبب هذا الاستطزاد، هو من جهة بسبب السؤال الذى وُجِّه إلى المسيح مخلصنا جميعًا، من جهة الهيكل والأشياء التى فيه، ومن الجهة الأخرى للإجابة على هذا السؤال. لأن البعض منهم أروه الأعمال العظيمة التى كانت فى الهيكل، وجمال التقدمات (أى التحف على الجدران)، منتظرين منه أنه سيبدى إعجابه بالمشهد مثلهم، مع أنه هو الله والسماء هى عرشه. لكنه لم يُعطِ أى اهتمام ــ إن جاز القول ــ أيًا كان بهذه المبانى الأرضية، إذ هى أشياء تافهة، بل هى لا شئ على الإطلاق، بالمقارنة بالمنازل التى هى فوق؛ وإذ استبعد الحديث، عنها (المبانى الأرضية)، فقد تحول بالأحرى إلى ما هو ضرورى لمنفعتهم. لأنه سبق فحذرهم أنه مهما كان الهيكل يستحق أن ينال كل إعجاب منهم، إلاّ أنه حينما يحين وقته، فإنه سيُدمر من أساساته، إذ يُهدم أرضًا بقوة الرومان، وتُحرق كل أورشليم بالنار، وتُجازى بعدلٍ لأجل قتلها الرب، لأنه بعد صلب المخلص، كانت هذه الأشياء هى نصيبهم الذى كابدوه.

لكنهم لم يفهموا معنى ما قيل، بل بالحرى ظنوا أن الكلمات التى قالها تشير إلى انقضاء العالم، لذلك سألوه: " *متى يكون هذا وما هى العلامة عندما يصير هذا؟* " فماذا كان جواب المسيح إذن؟ إنه استجاب لرأى الذين سألوه، وإذ يغفل مؤقتًا ما كان يقوله عن حصار أورشليم، فإنه يشرح ما سيحدث عند انقضاء العالم، فيحذرهم ويشهد قائلاً: " *انظروا لا تضلوا، فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين إنى أنا هو والزمان قد قرب، فلا تذهبوا*

وراءهم". لأنه قبل مجيء المسيح مخلصنا من السماء، سيظهر مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، مُدَّعين كذبًا "*قائلين أنا هو*" (أى كل منهم يدعى أنه المسيح)، وسوف يأتون إلى العالم كمثل زوابع دخان منبعثة من نار على وشك الاشتعال. ويقول: " *فلا تذهبوا وراءهم*". لأن كلمة الله الوحيد الجنس ارتضى أن يأخذ لنفسه شبهنا وأن يحتمل الولادة بالجسد من امرأة لكيما يخلِّص كل من هم تحت السماء. وكان هذا بالنسبة له إخلاءً لذاته واتضاعًا، لأن ما هو قدر الإنسانية بالمقارنة بالجلال والمجد الإلهى الفائق؟ لذلك فكشخص وضع ذاته حتى الإخلاء، فإنه فضل أن يبقى غير معروف، حتى أوصى رسله الأطهار قبل صليبه الثمين، بأن لا يظهروه (مت١٧:٩). لأنه من الضرورى أن تبقى طريقة تدبيره فى الجسد مخفية، حتى إذا احتمل الصليب الثمين لأجلنا كإنسان، فإنه يلاشى الموت ويطرد عنا جميعًا طغيان الشيطان، لأنه كما يقول بولس: " *الحكمة التى كانت فى المسيح، التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد* " (١كو٢:٨). لذلك كان يلزم أن يظل غير معروف خلال الفترة التى سبقت آلامه. أما مجيئه الثانى من السماء فلن يحدث بطريقة خفية كما حدث مجيئه الأول، بل سيكون مبهرًا ومرعبًا، لأنه سينزل بمجد الله الآب ومعه الملائكة القديسون محيطون به، ليدين العالم بالعدل. ولأجل هذا يقول: عندما يقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة فلا تذهبوا وراءهم .

وقد أعطاهم علامات واضحة وجليّة عن الزمان الذى فيه يقترب انقضاء العالم، فيقول: " *لأنه ستكون حروب وقلاقل ومجاعات وأوبئة فى كل مكان، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء*"، وكما يقول

إنجيلي آخر: " *لأن كل النجوم تسقط والسموات تطوى كدرج وقوات السموات تتزعزع* " (انظر مت٢٤: ٢٩).

لكن المخلص يضع فى وسط الكلام ما يشير إلى سبى أورشليم لأنه يخلط الأحداث ببعضها فى كل من جزئى الرواية. ويقول: " *وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتُساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى، فيؤول ذلك لكم شهادة*". لأنه قبل أزمنة الانقضاء، سُبيت أرض اليهود، واجتاحتها حشود الجيوش الرومانية، وأُحرق الهيكل، وأُطيح بحكومتهم الوطنية، وتوقفت سبل العبادة الناموسية، لأنه لم تعد بعد ذبائح تُقدم ، إذ أن الهيكل كان قد دُمِّر. وكما قلت فإن وطن اليهود مع أورشليم ذاتها قد صار قفرًا تمامًا. وقبل أن تحدث هذه الأشياء ، قام اليهود باضطهاد التلاميذ المباركين، فقد سُجنوا وكان لهم نصيب فى محن لا تُحتمل ، وسيقوا أمام قضاة وأُرسلوا أمام ملوك، لأن بولس قد أُرسل إلى روما إلى قيصر. لكن هذه الأمور التى أتت عليهم كانت شهادة لهم، حتى يحصلوا بواسطتها على مجد الاستشهاد.

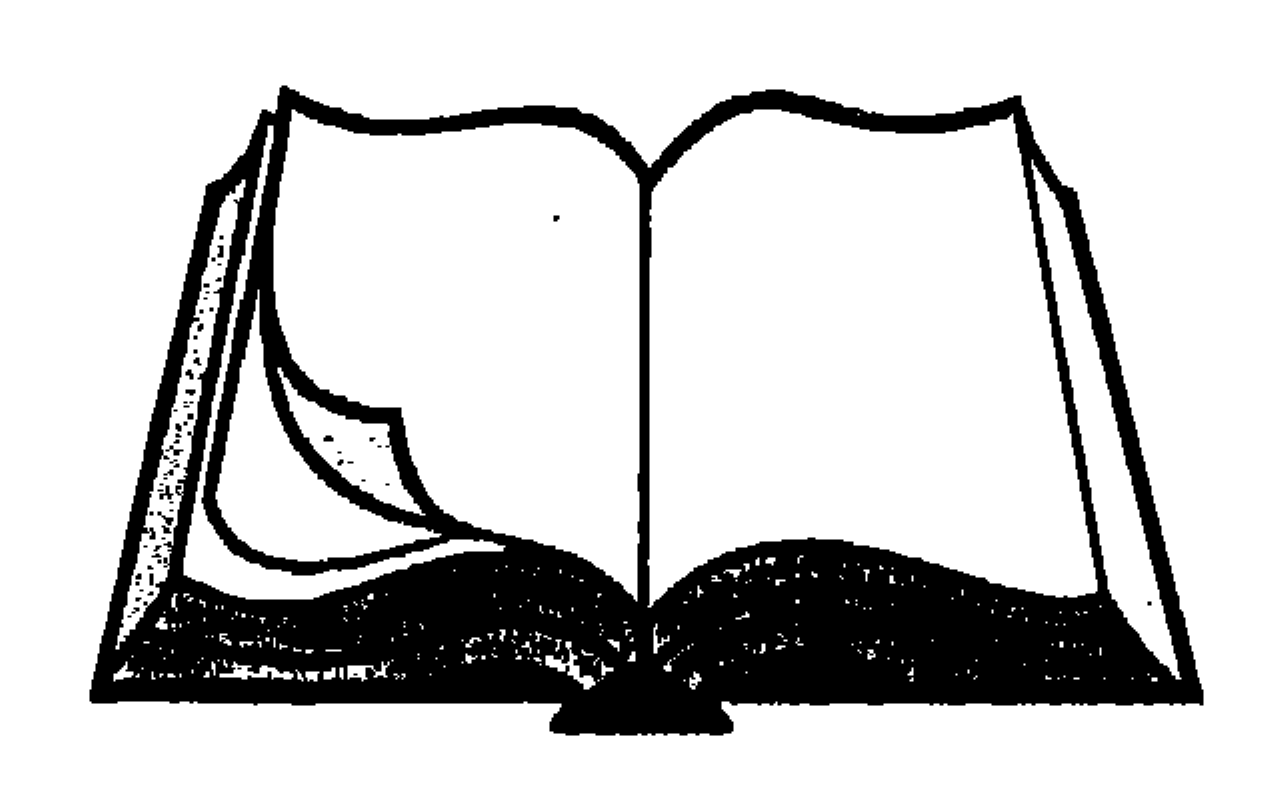
وهو يصرخ قائلاً: " *لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا لأنى أعطيكم فمًا وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها* " (عدد١٥،١٤). ولكى يزيل منهم كل دوافع الجبن البشرى قال لهم " إنهم سوف يُسلمون من الإخوة والأقرباء والأصدقاء" (عدد١٦)، لكنه وعدهم أنه بالتأكيد وبالتمام سينجيهم قائلاً : " *ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك* " (عدد١٨).

وأيضًا لكيما يجعل تنبؤه أكثر وضوحًا وتأكيدًا ، ويجعل زمن سبى أورشليم أكثر جلاءً، فإنه يقول لهم: " *ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه اقترب خرابها* " (عدد٢٠).

وبعد ذلك ينقل كلامه من هذا الموضوع إلى وقت انقضاء العالم. "وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم، وعلى الأرض كرب أمم بحيرة، والبحر والأمواج تضج ، والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى على المسكونة ، لأن قوات السموات تتزعزع" (عدد٢٦،٢٥). لأنه بسبب أن الخليقة تبدأ فى التغير ــ إن جاز القول ــ وتجلب على سكان الأرض أهوالاً لا تُطاق، فإنه سيكون هناك ضيق مرعب، ونفوس ترحل بالموت ، لأن الخوف المريع الذى يفوق الاحتمال الخاص بالأمور المزمعة أن تحدث سيكون كافيًا لإهلاك كثيرين.

ثم يقول: " *وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير*" (عدد٢٧). لذلك فالمسيح لن يأتى فى الخفاء أو فى غموض، بل كإله ورب بمجد يليق بألوهيته ، وسيحوّل كل الأشياء نحو الأفضل، لأنه سوف يجدد الخليقة ويعيد تشكيل طبيعة الإنسان إلى ما كانت عليه فى البداءة. ثم يقول: " *ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب* " (عدد٢٨). لأن الموتى سيقومون، وهذا الجسد الأرضى والعاجز سيخلع عنه الفساد وسيلبس عدم الفساد بعطية المسيح الذى يمنح الذين يؤمنون به أن يتشكلوا على مثال جسده المجيد، لذلك فكما قال تلميذه : " *ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السموات فجأة بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التى*

فيها"، ثم يضيف قوله " *فبما أن هذه كلها تنحل، أىّ أناس يجب أن نكون، لنوجد قديسين بلا لوم ولا تأنيب أمامه؟* " (٢بط١١،٣:١٠). والمسيح نفسه يقول أيضًا: " *اسهروا إذن وتضرعوا فى كل حين لكى تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الإنسان* " (عدد٣٦). " *لأننا جميعًا سوف نقف أمام كرسى المسيح لنعطى حسابًا عن كل ما صنعناه* " (انظر رو١٤: ١٠)، ولأن المسيح صالح ومحب للبشر، فإنه سيُظهر رحمة لأولئك الذين يحبونه، الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين .



عظة ١٤٠

خيانة يهوذا لتسليم المسيح

(تقرأ يوم خميس السر) [٣]

لوقا ٢١:٣٧، ٣٨

" وكان فى النهار يُعلِّم فى الهيكل وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يُدعى جبل الزيتون، وكان كل الشعب يبكرون إليه فى الهيكل ليسمعوه " .

لوقا ٢٢:١ــ٦

" وقرب عيد الفطير الذى يُقال له الفصح، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه ، لأنهم خافوا الشعب.

فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يدعى الإسخريوطى وهو من جملة الاثنى عشر. فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يُسلِّمه إليهم، ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة، فواعدهم. وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلوًا من جمع " .

إن جمع اليهود سويًا مع رئيسهم وقفوا ضد مجد المسيح وصارعوا ضد رب الكل، لكن يمكن لأى إنسان أن يُدرك أنهم أعدوا فخّهم ضد نفوسهم ذاتها، لأنهم حفروا لأنفسهم حفر هلاك، وكما يقول المرنم: "*تورطت الأمم فى الحفرة التى عملوها، فى الفخ الذى أخفوه وقعت أقدامهم* " (مز ٩:١٥ س). لأن المخلص ورب الكل، مع أن يمينه مقتدرة وقوته تهزم الموت والفساد معًا، لكنه أخضع ذاته طواعية باتخاذه الجسد ليذوق الموت لأجل حياة الكل، لكيما يوقف الفساد ويبطل خطية العالم، ويخلص الذين كانوا فى

---

[٣] يوصى القديس كيرلس أن تُقرأ هذه العظة يوم خميس العهد الذى تم فيه تأسيس سر الشكر، ولذلك يسميه خميس السر.

قبضة العدو من طغيانه غير المحتمل. لكن ربما تخيلت تلك الحية المتمردة أنها قد سادت حتى على المسيح نفسه لكونه ــ كما قلت ــ عانى الموت فى الجسد لأجلنا، كما تطلّب التدبير (الإلهى)، ولكن ذلك الكائن التعيس قد خاب أمله.

إذن دعنا نرى كيف أخطأ الهدف وقذف (سهمه) بعيدًا عن الهدف حينما تآمر على المسيح وسلّمه لأيدى أولئك الذين قتلوه. يقول (الكتاب): " *وكان فى النهار يعلّم فى الهيكل وفى الليالى يخرج ويبيت فى الجبل الذى يُدعى جبل الزيتون*". ومن الواضح أن ما كان يعلّمه هى أشياء تفوق الخدمة الناموسية، لأنه قد حان الوقت الذى ينبغى أن يتغير فيه الظل إلى الحقيقة، وهم كانوا يسمعونه بسرور، لأنهم كثيرًا ما تعجبوا منه: " *لأن كلامه كان بسلطان*" (لو٤: ٣٢). لأنه لم يحدّث الناس كمثل واحد من الأنبياء القديسين أو كموسى معلم الأقداس قائلاً: " *هكذا قال الرب* .. "، بل لكونه هو نفسه الذى تكلم منذ القديم بواسطة موسى والأنبياء، ولكونه رب الكل، فإنه حول بسلطانٍ إلهى ما كان ممثلاً فى الرمز وضعف الحرف إلى عبادة روحية ، " *لأن الناموس لم يكمل شيئًا* " (عب٧: ١٩).

وكما قلت، كان يقضى الليالى فى جبل الزيتون، متحاشيًا أصوات الصخب التى كانت فى المدينة، لكى فى هذا الأمر أيضًا يكون مثالاً لنا، لأنه يجب على الذين يرغبون أن يحيوا حياة هادئة مطمئنة، أى مملوءة راحة، أن يتحاشوا على قدر المستطاع الازدحام والصخب .

لكن دعنا نرى خط سير خبث إبليس، وماذا كانت نتيجة خططه الماكرة ضد المسيح. فإنه قد زرع الحسد ضد المسيح فى رؤساء مجمع اليهود،

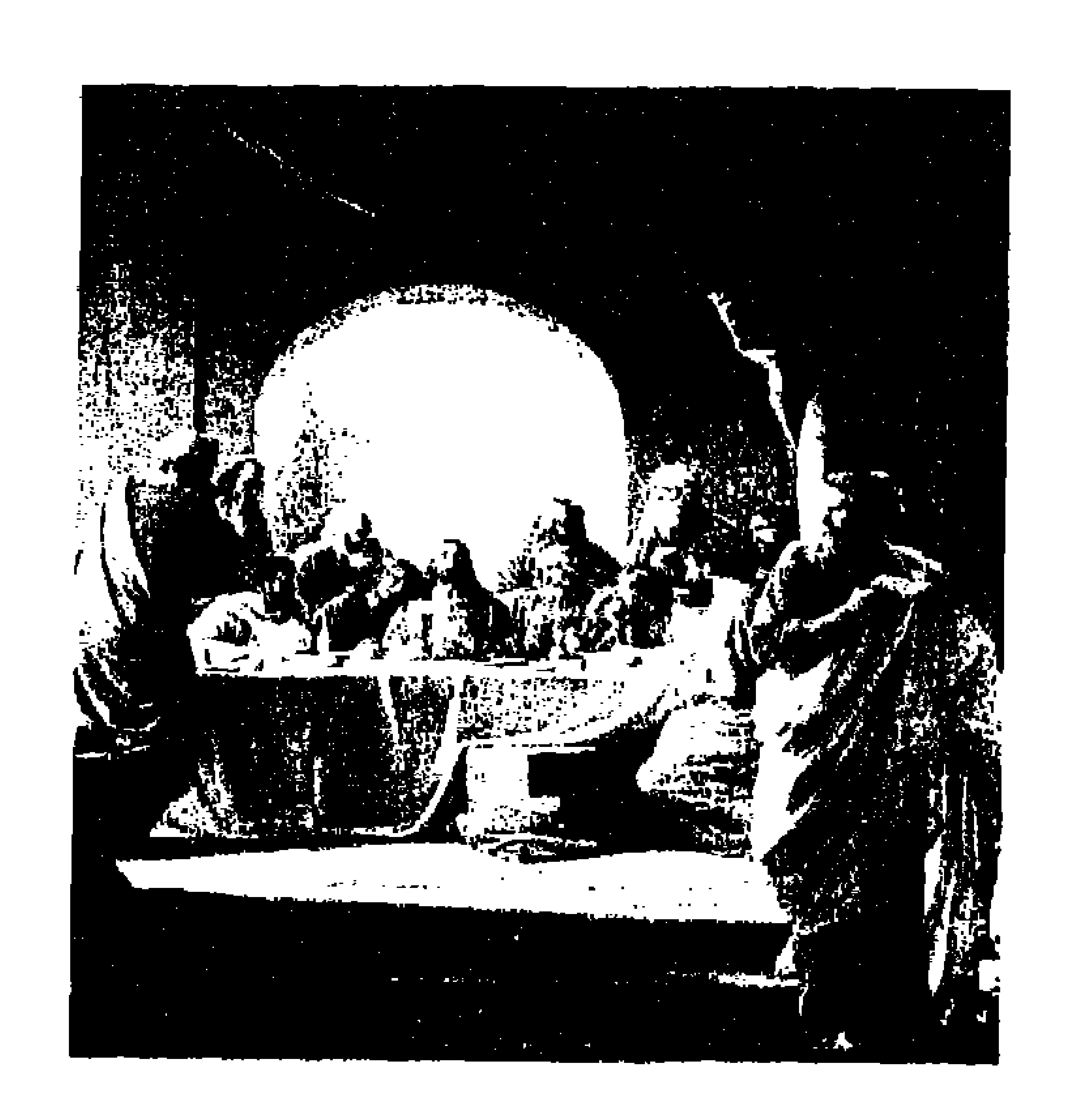
والذى وصل إلى حد القتل، لأن هذا الداء (الحسد) يؤدى دائمًا إلى جريمة القتل، فمثل هذه النتيجة كانت هى النهاية الطبيعية لهذه الرذيلة ؛ فهذا ما حدث مع قايين وهابيل، وهكذا كان هذا واضحًا فى حالة يوسف وإخوته. ولذلك فإن بولس الإلهى يجعل هذه الخطايا ـــ مرتبطة معًا وقريبة إحداها للأخرى ، لأنه يتكلم عن البعض قائلاً: " *مشحونين حسدًا وقتلاً* " (رو ٢٩:١). لذلك طلب (اليهود) أن يقتلوا يسوع بتحريض الشيطان الذى غرس هذا الشر فيهم، والذى كان هو قائدهم فى مؤامراتهم الشريرة، لأنه هو نفسه مخترع القتل وأصل الخطية وينبوع كل شر. وماذا كانت الحيلة التى اخترعتها هذه الحية المتعددة الرؤوس؟ يقول النص: " *فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يُدعى الإسخريوطى وهو من جملة الاثنى عشر*". لماذا لم يدخل الشيطان فى الطوباوى بطرس أو فى يعقوب أو يوحنا أو أى واحد آخر من بقية الرسل بل فى يهوذا الإسخريوطى (بالذات)؟، أى موضع وجده الشيطان فيه؟ فهو لم يستطع أن يقترب إلى أحد من بين كل الذين ذكرناهم هنا، لأن قلبهم كان ثابتًا ومحبتهم للمسيح كانت غير متزعزعة، لكنه وجد له مكانًا فى الخائن، لأن داء الطمع المر قد قهره وتسلط عليه، (هذا الداء) الذى يقول عنه بولس الطوباوى إنه " *أصل كل الشرور* " (١تى ١٠:٦)، لأنه عندما سكبت امرأة طيبًا على المخلص ذات مرة ، كان وحده من بين كل (التلاميذ) الذى وبخها قائلاً: " *لماذا هذا الإتلاف؟ لأنه كان يمكن أن يُباع هذا بكثير ويُعطى للفقراء*". لكن الإنجيلى الحكيم تكلم ـــ إن جاز القول ـــ ضد كلماته الزائفة، إذ أضاف فى الحال قوله: " *قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأنه كان سارقًا وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يُلقى فيه*" (يو ٦:١٢). والشيطان لكونه ماهرًا فى عمل الشر،

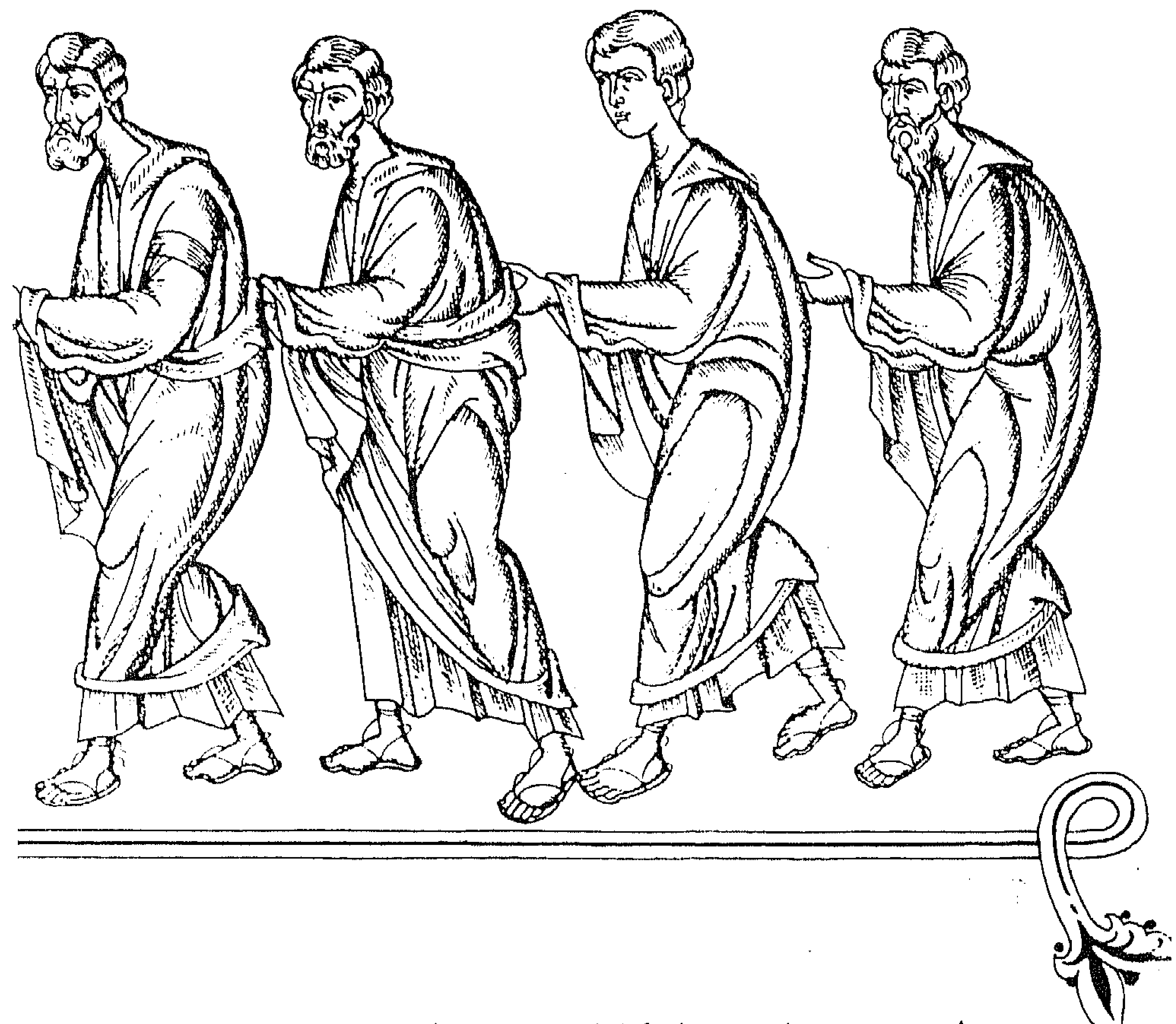
عندما يستحوذ على نفس أى إنسان، فإنه لا يهاجمه بواسطة الرذائل عمومًا، بل بالحرى يبحث عن الهوى الخاص الذى ينغلب منه (ذلك الشخص)، وبواسطة ذلك الهوى يجعله فريسة له. لذلك فلأن الشيطان عرف أن يهوذا طمّاع، فإنه اقتاده إلى الفريسيين والرؤساء، ووعدهم أنه سيخون معلمه. وهم قد دفعوا ثمن الخيانة، أو بالحرى ثمن هلاكهم بمال مقدس. آه! أية دموع يمكن أن تكفى سواء على الذى خان يسوع مقابل أجر، أو لمن استأجروه فدفعوا ثمن جريمة قتل بمال مقدس! أية ظلمة قد أتت على نفس الذى قبِل الرشوة! لأجل فضة قليلة خسر السماء وفقد إكليل الخلود وكرامة الرسولية المحبوبة، وحسبانه ضمن عداد الاثنى عشر، الذين قال لهم المسيح فى موضعٍ ما: "*أنتم نور العالم* " (مت٥:١٤). إنه لم يهتم بأن يكون نورًا للعالم، بل نسى المسيح الذى قال:"*أنتم الذين تبعتمونى فى تجاربى، متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده، تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا وتدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر*" (مت١٩:٢٨). لكنه لم يُرد أن يملك مع المسيح. يا لارتباك الضلال الذى أعمى ذهن هذا الإنسان الطمّاع ! فإنه سلّم للموت من هو أعظم من الموت. ألم تعلم أنه أقام لعازر من القبر فى اليوم الرابع، وأنه بإشارة منه أقام ابن الأرملة وابنة رئيس المجمع ؟ ألم تسمعه يقول لليهود فيما يخص جسده : " *انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه ثانية؟*" (يو٢:١٩). هل نسيت كلماته: "*أنا هو القيامة والحياة* "؟ (يو١١:٢٥). فماذا كان إذن سبب مثل هذا الجنون المطلق؟ يخبرنا الإنجيلى إذ يقول: " *فدخله الشيطان*"، إذ قد جعل شهوة الطمع معبرًا وبابًا له. فإن " *التقوى مع القناعة تجارة عظيمة* "، وكما يقول الكتاب المقدس: " *لأننا لم ندخل العالم بشىء، وواضح أننا لا نقدر أن*

نخرج منه بشيء" (اتى٧،٦:٦). " *وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة، تُغرق الناس فى العطب والهلاك* " (اتى٩:٦). والتلميذ الذى صار خائناً هو برهان واضح على ذلك، إذ قد هلك لأجل قليل من الشواقل.

وماذا يقول المرء عمّن استأجروه؟ الذين سقطوا فى نفس العطب والهلاك معه، إنهم كانوا ضحايا لسكر مماثل، مع أنهم كانوا يملكون شهرة فى معرفة الناموس وكلام الأنبياء القديسين. كان من واجبهم أن يعرفوا معنى ما سبق أن قيل منذ القديم الذى كان قد تقرر سابقًا من قبل الله بخصوصهم. لأن من بين هذه الكلمات أقوال مثل هذه: " *على الرعاة الأردياء اشتعل غضبى وأنا سأفتقد الخراف*" (زك١٠:٣س)، لأن الرعاة الأشرار هلكوا بطريقة شائنة، بينما دعوة أولئك الذين كانوا مطيعين للخلاص، فقد كانت نوعًا من الافتقاد، لأن بقية من إسرائيل قد خلُصت. وكما لو كانوا بالفعل قد سقطوا فى الخراب، لهذا كانوا يولولون ويبكون، فإن النبى يقول إنه سمع " *صوت ولولة الرعاة لأن قوتهم (أو فخرهم)، خربت، صوت زمجرة الأسود، لأن كبرياء الأردن خربت* " (زك١١:٣ س). يطلق النبى لقب الأسود على كبرياء الأردن ويشير بهم (أى بالأسود) إلى رؤساء المجمع اليهودى الذين بسبب المجازلة العادلة على شرهم ضد المسيح، ولولوا مع آبائهم وأبنائهم، لأنهم فنوا كما بنارٍ وسيفٍ، بينما هيكل أورشليم قد أُحرق أيضًا، وكل مدن اليهودية حل بها الخراب والدمار التام.

كان هذا هو مصيرهم ، أما المسيح فهو يخلصنا بإرادته الرحيمة، الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين .





الإصحاح الثانى والعشرون



وقرب عيد الفطير الذى يُقال له الفصح، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه ، لأنهم خافوا الشعب

الإصحاح الثانى والعشرون

عظة ١٤١

تقرأ يوم الخميس فى أسبوع السر[1]

الإعداد للفصح

لوقا٢٢: ٧ــ١٦

" وجاء يوم الفطير الذى ينبغى أن يُذبح فيه الفصح، فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل ، فقالا له أين تريد أن نعد؟ فقال لهما إذا دخلتما المدينة يستقبلكما إنسان حاملٌ جرة ماء، اتبعاه إلى البيت حيث يدخل وقولا لرب البيت يقول لك المعلم أين الغرفة التى آكل فيها الفصح مع تلاميذى؟ فيريكما علِّيَّة كبيرة مفروشة؛ هناك أعدا، فانطلقا ووجدا كما قال لهما. فأعدا الفصح. " .

ولما كانت الساعة جلس للأكل والاثنا عشر رسولاً معه، وقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم. لأنى أقول لكم إنى لا آكل منه بعد حتى يكمل فى ملكوت الله ".

إن الناموس بظلاله سبق فأشار منذ القديم إلى سر المسيح؛ والمسيح نفسه يشهد عن هذا عندما قال لليهود: " *لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى* " (يو٥: ٤٦)، ففى كل موضع (فى الناموس) توضح الظلال والمثالات لنا، المسيح مذبوحًا لأجلنا "كالحمل" الذى بلا

[1] يوصى القديس كيرلس الكبير أن تُقرأ هذه العظة يوم الخميس فى أسبوع السر، ويقصد الأسبوع الذى تم فيه سر الخلاص بالصليب والقيامة .

عيب حقًا، كما توضحه مقدّسًا إيانا بواسطة دمه المعطى الحياة..، وبالإضافة إلى ذلك فإننا نجد كلمات الأنبياء القديسين فى توافق تام مع كلمات موسى الحكيم جدًا، كما يقول بولس " *لكن لما جاء ملء الزمان* " (غل ٤:٤)، الزمان الذى كان فيه كلمة الله الوحيد على وشك أن يخلى ذاته، وأن يحتمل الولادة بالجسد من امرأة ويخضع للناموس، بحسب القياس المناسب للطبيعة البشرية، وبعد ذلك قدم نفسه ذبيحة لأجلنا، مثل الحمل الذى بلا عيب حقًا، فى اليوم الرابع عشر من الشهر الأول. وهذا العيد كان يُدعى " الفصح" (بصخة Pascha) وهى كلمة باللغة العبرية وتعنى العبور، لأنهم هكذا يفسرونها ويقولون إن هذا هو معناها .

إذن يجب أن نشرح ما هو هذا الشيء الذى نعبر منه وما هو البلد الذى نسير نحوه، وبأى طريقة نحقق مسيرتنا، فإنه كما أن إسرائيل قد أُنقذ من طغيان المصريين وفك عنقه من نير العبودية وصار حُرًا، وإذ هرب من عنف الطاغية، فإنه عبر بأقدام جافة ــ بطريقة عجيبة يعجز اللسان عن وصفها ــ وسط البحر، وارتحل تجاه الأرض الموعود بها؛ هكذا نحن أيضًا الذين قبلنا الخلاص الذى فى المسيح، يجب علينا ألاّ نرضى بالبقاء بعد فى أخطائنا السابقة، وألاّ نستمر فى طرقنا الشريرة بل بشجاعة نعبر بحر اضطراب هذا العالم الباطل، وعواصفه. وهكذا فإننا نعبر من محبة الجسد إلى التعفف؛ من جهلنا السابق إلى معرفة الله الحقيقية؛ من الشر إلى الفضيلة؛ ونعبر بالرجاء من لوم الخطية إلى أمجاد البر؛ ومن الموت إلى عدم الفساد. لذلك فإن العيد الذى حمل فيه عمانوئيل صليب الخلاص لأجلنا يُسمى الفصح .

لكن لننظر إلى الذى هو الحق والذى لا يزال يُكرّم بالرموز التى كانت تشير إليه، وهو لا يزال يسمح للظلال بأن تكون صادقة، إذ يقول النص: " *ولما جاء يوم الفطير الذى كان ينبغى أن يُذبح فيه الفصح* "، فأرسل للمدينة تلميذين مختارين من الرسل القديسين، وهما بطرس ويوحنا قائلاً : "*سوف يستقبلكما إنسان حامل جرة ماء، اتبعاه إلى البيت حيث يدخل، وقولا لرب البيت: يقول لك المعلم أين الغرفة التى آكل فيها الفصح مع تلاميذى؟*". لكن ربما يقول أحدهم، لماذا لم يذكر لهما بوضوح اسم الرجل الذى أرسلهما إليه؟ لأنه لم يقل: عندما تمضون إلى فلان أو فلان ــ وهناك أعدا الفصح فى بيته، لكن فقط أعطاهما علامة ــ "*إنسان حامل جرة ماء*". فبماذا نجيب على هذا الكلام؟ انظروا! فإن يهوذا الخائن كان قد سبق فوعد اليهود أن يسلمه لهم، وكان مستمرًا فى صحبته (للمسيح) يرقب فرصة ليسلمه، وبينما كان لا يزال يعلن الحب الواجب من التلميذ لمعلمه فإنه قد سمح للشيطان أن يدخل قلبه، وكان يتمخض بجريمة القتل ضد المسيح مخلصنا جميعًا. لذلك أعطى المسيح علامة (للتلميذين) لكى يمنعه من معرفة من هو ذاك الشخص، فيسرع يهوذا ليخبر أولئك الذين استأجروه. لذلك قال : "*يستقبلكما إنسان حامل جرة ماء* ".

أو ربما يتكلم المسيح هكذا ليشير بهذا إلى سر مهم، لأنه حيث تدخل المياه ــ أى المعمودية المقدسة ــ فهناك يسكن المسيح، كيف أو بأية طريقة؟ ذلك لأنها تحررنا من كل نجاسة، ونُغسل بواسطتها من أدناس الخطية، ولكى نصير أيضًا هيكلاً مقدسًا لله وشركاء فى طبيعته الإلهية بشركة الروح القدس. لذلك فلكى يستريح المسيح ويقيم فينا، فلنقبل المياه الخلاصية معترفين أيضًا بالإيمان الذى يبرر الأثيم. ولكى يرفعنا عاليًا لكى

ما نُحسب علِيَّة، لأن أولئك الذين يسكن فيهم المسيح بالإيمان لهم ذهن مرتفع عاليًا، يبغض الزحف على التراب، ويرفض الالتصاق بالأرض، وفى كل شئ يطلب ما هو سامٍ فى الفضيلة، لأنه مكتوب : "*لأن أعزاء الله قد ارتفعوا عاليًا (فوق الأرض)* " (مز٤٦ :٩س)، لأن ليس لهم هنا مدينة باقية لكنهم يطلبون العتيدة (انظر عب١٣ :١٤)، وبينما هم يسيرون على الأرض، فإنهم يفكرون فى تلك الأمور التى فوق، وسيرتهم (مدينتهم) هى فى السماء (انظر فى٣ :٢٠) .

يمكننا أيضًا أن نلاحظ أمرًا صحيحًا وعجيبًا ، يحدث دائمًا بيننا؛ وأعنى به أن من يقدرون حياتهم الجسدانية كثيرًا ، عادةً يكونون منتفخين وقلوبهم مملوءة من الكبرياء الملعونة والمكروهة من الله؛ لكن مع ذلك ربما يؤتى بهم إلى الانكسار (فيما بعد) وهم لا يزالون على الأرض؛ بينما أولئك المساكين بالروح ينالون الرفعة بواسطة الكرامة والمجد اللذين يأتيان من الله. كما يكتب تلميذ المسيح قائلاً: "*ليفتخر الأخ المتضع بارتفاعه، وأما الغنى فباتضاعه لأنه كزهر العشب يزول* " (يع١ :٩،١٠). لذلك لا يخطئ من يقول إن نفس كل قديس هى " علِيَّة " .

بعد ذلك لما أعد التلاميذ الفصح، أكل المسيح معهم، ولكونه طويل الأناة مع الخائن، فإنه تفضل بقبوله على المائدة (معه) بدافع شفقته المملوءة حبًا وغير المتناهية؛ لأن يهوذا كان قد صار خائنًا إذ أن الشيطان كان ساكنًا فيه. وقال المسيح أيضًا لرسله القديسين: "*شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح* معكم". لنفحص المغزى العميق لهذا التعبير، ولنفتش عن المعنى المختفى فيه، وما الذى كان يقصده المخلص.

لذلك حيث إننى سبق أن قلت إن التلميذ الطماع كان يطلب فرصة ليسلمه، ولكى لا يسلمه لقاتليه قبل عيد الفصح، فإن المخلص لم يعلن لا عن البيت ولا عن الشخص الذى سيحتفل عنده بالعيد، ولكى يشرح لهم سبب عدم رغبته فى أن يصرح له علانية باسم من سيذهب عنده، قال لهم: " *شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم*"؛ وكأنه يقول: إننى اجتهدت بكل حذر لكى أتمكن من الإفلات من خبث الخائن، لكيلا احتمل آلامى قبل وقتها.

" *ولكنى لا آكل منه بعد حتى يكمل فى ملكوت الله*". وبهذا الكلام أيضًا ينطق المسيح بحقيقة عميقة وسرية، لكن هو نفسه يكشف معناها لنا لأن من عادته أن يطلق اسم "ملكوت السموات" على " التبرير بالإيمان"، وعلى التطهير الذى يتم بالمعمودية المقدسة وشركة الروح القدس وعلى تقديم العبادة الروحية التى صارت الآن ممكنة بالدخول فى وصايا الإنجيل. لكن هذه الأشياء هى الوسائط التى تجعلنا شركاء فى المواعيد وفى الملك مع المسيح؛ لذلك يقول: لن اقترب من مثل هذا الفصح بعد ذلك، أى ذلك الفصح الذى يتكون من أكل رمزى ـــ لأن حملاً من القطيع ذُبح ليكون مثالاً للحمل الحقيقى (ويكمل) " حتى يكمل فى ملكوت الله "، أى إلى حين مجيء الوقت الذى فيه يكرز بملكوت السموات. لأن هذا يتحقق فينا نحن الذين نكرم العبادة التى هى أعلا من الناموس والتى هى الفصح الحقيقى، فالذى يُقدِّس الذين هم فى المسيح ليس خروفًا من القطيع، بل بالحرى المسيح نفسه (هو الذى يقدسهم)، **الذى جُعِلَ "ذبيحة مقدسة" لأجلنا، "بتقديم قرابين" غير دموية، وتقديم "الشكر" السرى، الذى فيه ننال "البركة" ونُعطَى**

الحياة بالحياة[٢]. لأنه هو صار لنا الخبز الحى الذى نزل من السماء والذى يعطى الحياة للعالم (انظر يو٦:٥٠،٣٣)، الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان، مع الروح القدس إلى دهر الدهور . آمين.



[٢] هذه الفقرة الهامة هى باللغة اليونانية كما يلى :
ἁγίως ἱερουργοὺμενος διὰ τῆς μυστικῆς εὐλογίας, καθ᾽ ἣν εὐλογούμεθα καὶ ζῳοποιούμεθα.

إن الكلمة Ἰερουγέω " يخدم فى خدمة مقدسة" ، هذه الكلمة هى كلمة رسولية واردة فى رومية ١٦:١٥ (ἱερουργοῦρτα το ευαγγέλιον) وتُرجمت فى طبعة دار الكتاب المقدس "مباشرًا لإنجيل الله ككاهن " وترجمتها الدقيقة " خادمًا فى الخدمة الكهنوتية لإنجيل الله " . وكذلك الكلمة εὐλογία = " البركة " كانت تُطلق فى العصور الأولى بصفة ثابتة على الإفخارستيا المقدسة بالاستناد إلى كورنثوس الأولى ١٠:١٦ " كأس البركة το ποτήριον της εὐλογίας". إن استخدام هذه الكلمات يظهر العلاقة الوثيقة التكاملية بين الحياة الليتورجية للمسيحيين الأُول وبين فهمهم للكتب المقدسة. (هذه الملاحظات لمترجم النص الإنجليزى لتفسير إنجيل لوقا Payne Smith سنة ١٨٥٩).

عظة ١٤٢

عشاء الرب

(تأسيس سر الإفخارستيا)

لوقا٢٢: ١٧ـ٢٢

" ثم تناول كأسًا وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم، لأنى أقول لكم إنى لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتى ملكوت الله، وأخذ خبزًا وشكر وكسَّر وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدى الذى يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكرى. وكذلك الكأس أيضًا بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هى للعهد الجديد بدمى الذى يُسفك عنكم، ولكن هوذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة، وابن الإنسان ماضٍ كما هو محتوم، ولكن ويل لذلك الإنسان الذى يُسلِّمه ! ".

إنه أمر يملأنا بكل بركة أن نصير شركاء المسيح بالذهن وبالحواس، لأنه يحل فينا، أولاً، بالروح القدس، فنصير نحن مسكنه، بحسب ما قاله فى القديم أحد الأنبياء القديسين: " *لأنى سأسكن فيهم وأقودهم وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لى شعبًا* " (حز٣٧: ٢٧س).

لكنه هو أيضًا يحلّ داخلنا بطريقة أخرى بواسطة مشاركتنا فى قربان التقدمات غير الدموية التى نحتفل بها فى الكنائس؛ إذ قد تسلّمنا منه النموذج الخلاصى للطقس مثلما يرينا بوضوح الإنجيلى المبارك فى النص الذى قرأناه منذ قليل، فهو يخبرنا أنه: " *تناول كأسًا وشكر وقال : خذوا هذه اقتسموها بينكم* ". وبتقديمه الشكر ــ الذى يُقصد به التحدث مع الله الآب فى صيغة صلاة، فإنه يعنى بالنسبة لنا أنه ــ إن جاز القول ــ يشارك ويساهم مع الآب فى مسرته الصالحة فى منحه لنا البركة المحيية

التى أُسبغت علينا حينئذ، لأن كل نعمة وكل موهبة تامة تأتى إلينا من الآب بالابن فى الروح القدس. وإذن فهذا العمل كان نموذجًا لنا لكى نستخدمه فى الصلاة التى ينبغى أن تُقدم، كلما بدأنا أن نضع أمامه نعمة "التقدمة السرية المحيية"[٣]، وتبعًا لذلك فإننا اعتدنا أن نفعل هذا، لأننا إذ نقدم أولاً تشكراتنا، مقدمين تسابيحنا لله الآب ومعه الابن والروح القدس، فإننا نقترب هكذا من الموائد المقدسة مؤمنين أن ننال حياة وبركة؛ روحيًا وجسديًا، لأننا نستقبل فى داخلنا كلمة الاب الذى صار إنسانًا لأجلنا، والذى هو الحياة ومعطى الحياة.

لذلك فلنسأل على قدر استطاعتنا، ما هو الرأى الذى نعتقد به عن هذا السر؟ لأنه واجب علينا أن نكون " *مستعدين لمجاوبة كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذى فينا*" كما يقول الحكيم بطرس (١بط٣:١٥). لأن " *إله الكل خلق كل الأشياء للخلود، وبدايات العالم كانت حياة، لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم* " (حكمة٢:٢٤)، فقد كانت تلك الحيَّة المتمردة هى التى قادت الإنسان الأول إلى تعدّى الوصية وإلى العصيان، والتى بواسطتها سقط تحت اللعنة الإلهية، وفى شبكة الموت، فقد قيل له: " *لأنك تراب وإلى التراب تعود* " (تك٣:١٩). فهل كان من الصواب أن ذلك الذى خُلق للحياة والخلود، يصير مائتًا ومحكومًا عليه بالموت بدون أية إمكانية للهروب؟ هل ينبغى أن يكون حسد إبليس أكثر حصانة وثباتًا من إرادة الله؟ ليس الأمر هكذا؛ بل إن حسد إبليس قد أخفق تمامًا؛ ورحمة الخالق قد فاقت النتائج الشريرة لخبثه. فقد أعطى الله معونة لأولئك الذين على الأرض. فماذا إذن كانت الطريقة التى ساعدهم بها؟ إنها طريقة عظيمة بالحق

[٣] هذا التعبير يستخدمه الآباء كثيرًا عن الإفخارستيا .

ورائعة وجديرة بالله، نعم، جديرة لأقصى درجة بالعقل الأعلى (بالله). لأن الله الآب هو حياة بطبيعته؛ ولكونه هو وحده حياة ، فقد جعل الابن الذى هو نفسه أيضًا حياة، أن يضيئ ويشرق. لأنه لا يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك مع ذاك الذى هو الكلمة الذى صدر جوهريًا من الحياة، لأنه يلزم ـــ أقول يلزم ـــ أن يكون هو نفسه أيضًا حياة، لكونه هو (الشخص) الذى نبع من الحياة، نبع من ذاك الذى ولده.

لذلك فإن الله الآب يعطى الحياة لكل الأشياء بالابن فى الروح القدس؛ وكل ما يوجد ويتنفس فى السماء وعلى الأرض، إنما يأخذ وجوده وحياته من الله الآب بالابن فى الروح القدس. لذلك، لا طبيعة الملائكة ولا أى شئ آخر مهما كان، ممّا هو مخلوق، ولا أى شئ جاء من عدم الموجود إلى الوجود، يمتلك حياة (فى ذاته) كثمرة لطبيعته الخاصة؛ بينما على العكس، فالحياة تنشأ ـــ كما قلت ـــ من الجوهر الذى يفوق الكل، وهو أمر خاص به وحده أن تكون له القدرة على إعطاء حياة، وذلك بسبب أنه هو بالطبيعة الحياة .

إذن، فكيف يمكن للإنسان على الأرض، الذى هو ملتحف بالموت أن يعود إلى عدم الفساد (عدم الانحلال). أجيب بأنه يلزم لهذا الجسد المائت أن يُصيّر شريكًا للقوة المحيية التى تأتى من الله. لكن قوة الله الآب المحيية هى الكلمة الوحيد الجنس، وهو الذى أرسله لنا (الآب) كمخلص ومحرر. أما كيف أرسله لنا، فهذا ما يخبرنا به بوضوح يوحنا الإنجيلى المبارك عندما يقول: "*والكلمة صار جسدًا وحل فينا*" (يو ١:١٤). لكنه صار جسدًا دون أن يخضع لأى تغيّر أو تحول إلى ما لم يكونه، ودون أن يتوقف عن

أن يكون هو الكلمة ــ لأنه لا يعرف ما معنى أن يعانى ظل تغيير، بل بالحرى بكونه وُلِدَ بالجسد من امرأة وأخذ لنفسه ذلك الجسد منها، لكيما إذ قد غرس نفسه فينا باتحاد لا يقبل الانفصال، يمكنه أن يرفعنا فوق سلطان الموت والانحلال كليهما معًا. وبولس هو الشاهد لنا، حيث يقول عنه وعنا: " *فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكى يُبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس، ويُعتق أولئك الذى خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية، لأنه حقًا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم، من ثمّ كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شئ* " أى يشبهنا (عب٢: ١٤ــ١٧). لأنه صار مثلنا، وكسى ذاته بجسدنا، لكيما بإقامته إياه (الجسد) من الموت، يعد ــ من الآن فصاعدًا ــ طريقًا يمكن به للجسد الذى وُضع (أُذل) حتى الموت، أن يعود من جديد إلى عدم الفساد (الانحلال). لأننا متحدون به مثلما كنا أيضًا متحدين بآدم، عندما جلب على نفسه عقوبة الموت. وبولس يشهد لهذا، إذ كتب هكذا فى أحد المرات: " *فإنه إذ الموت بإنسان ، بإنسان أيضًا قيامة الأموات* " (١كو ١٥: ٢١) ويقول أيضًا: " *لأنه كما فى آدم يموت الجميع، هكذا فى المسيح سيحيا الجميع*" (١كو١٥: ٢٢). لذلك فإن الكلمة، إذ وحَّد مع ذاته ذلك الجسد الذى كان خاضعًا للموت، فلكونه الله والحياة، فقد طرد منه الفساد (الانحلال)، وجعله أيضًا يصير مصدر الحياة؛ لأنه هكذا ينبغى أن يكون جسد ذاك الذى هو الحياة .

ولا تكونوا غير مصدقين لما قلته، بل بالحرى اقبلوا الكلمة بإيمان بعد أن جمعتُ براهين من أمثلة قليلة. عندما تطرحون قطعة خبز فى خمر أو زيت أو أى سائل آخر، فستجدون أنها صارت تحمل خاصية ذلك السائل

الخاص، وعندما يوضع الحديد فى النار، فإنه يصير ممتلئًا بكل فاعليتها؛ وبينما هو بالطبيعة حديد، لكنه يعمل بقوة النار. وهكذا كلمة الله المحيى، إذ قد وحَّد نفسه بجسده الخاص بطريقة معروفة لديه (فقط)، فقد منحه قوة إعطاء الحياة. وهو نفسه يؤكد لنا هذا بقوله: " *الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية، أنا هو خبز الحياة* " (يو٤٨،٤٧:٦) وأيضًا: "*أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم. الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير، لأن جسدى مأكلٌ حقٌ، ودمى مشربٌ حقٌ، من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه. كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب، فمن يأكلنى فهو يحيا بى*" (يو٦:٥١،٥٣ـ٥٧). لذلك عندما نأكل الجسد المقدس الذى للمسيح مخلصنا جميعًا، ونشرب دمه الثمين، تكون لنا حياة فينا، بكوننا جُعلنا واحدًا معه، كائنين فيه ومقتنين له أيضًا فينا.

لا تدعو أحدًا من أولئك الذين اعتادوا عدم التصديق أن يقول: " إذن، حيث إن كلمة الله لكونه بالطبيعة الحياة، وهو يقيم أيضًا فينا، فهل جسد كل واحد منّا سيُمنح أيضًا القوة لإعطاء الحياة؟ من يقول ذلك فليعلم بالأحرى أنه شئ مختلف تمامًا، بين أن يكون الابن فينا بمشاركة نسبية، وبين أن يصير هو نفسه جسدًا؛ أى أن يجعل ذلك الجسد الذى أُخذ من العذراء القديسة خاصًا له (أى يجعله جسده الخاص). لأنه لا يُقال عنه إنه صار متجسدًا، أو صار جسدًا، بوجوده فينا، بل بالحرى فإن هذا حدث مرة واحدة عندما صار إنسانًا دون أن يتوقف عن أن يكون إلهًا. لذلك فإن جسد

الكلمة كان هو ذاك الذى اتخذه لنفسه من العذراء القديسة وجعله واحدًا معه؛ أما كيف أو بأية طريقة حدث هذا، فهو أمر آخر لا يمكننا أن نخبر به، لأنه أمر غير قابل للشرح ويفوق تمامًا قدرات العقل، وكيفية هذا الاتحاد هى معروفة له هو وحده فقط.

لذلك، كان يليق به أن يكون فينا إلهيًا بالروح القدس، وكذلك أيضًا ــ إن جاز القول ــ يمتزج بأجسادنا بواسطة جسده المقدس ودمه الثمين، اللذين نقتنيهما أيضًا كإفخارستيا معطية للحياة فى هيئة الخبز والخمر، إذ، لئلا نرتعب برؤيتنا جسدًا ودمًا (بصورة حسية) فعلية، موضوعين على الموائد المقدسة فى كنائسنا، فإن الله إذ وضع (أنزل) ذاته إلى مستوى ضعفاتنا، فإنه يسكب فى الأشياء الموضوعة أمامنا قوة الحياة، ويحولها إلى فاعلية جسده، لكيما نأخذها لشركة معطية للحياة، وكى يوجد فينا جسد (ذاك الذى هو) الحياة، كبذرة تنتج حياة. ولا تشك فى أن هذا حقيقى، حيث إنه هو نفسه قال بوضوح: " *هذا هو جسدى، هذا هو دمى*"، بل بالحرى إقبل كلمة المخلص بإيمان، لأنه هو لكونه الحق، فلا يمكنه أن يكذب. وهكذا سوف تكرِّمه، لأنه كما يقول يوحنا الحكيم جدًا: "*من قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق، لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله*" (يو٣:٣٣،٣٤). لأن كلام الله هو طبعًا صادق ولا يمكن أبدًا أن يكون كاذبًا ؛ لأنه وإن كنا لا نفهم بأية طريقة يعمل الله مثل هذه الأعمال، لكن هو نفسه يعرف طريقة (عمل) أعماله. لأنه عندما لم يفهم نيقوديموس كلمات الرب المختصة بالمعمودية المقدسة وقال بجهل: " *كيف يمكن أن يكون هذا؟*" (يو٣:٩)، فإنه سمع المسيح يجيب قائلاً: " *الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا، إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم*

تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟ " (يو ١٢،٣:١١) لأنه كيف يمكن لإنسان أن يعرف تلك الأشياء التى تعلو على قدرات إدراكنا وعقلنا؟ لذلك، فلنكرّم سرّنا الإلهى هذا، بالإيمان .

أما يهوذا الخائن، الذى كان يأكل معه، فقد توبخ بتلك الكلمات التى قالها المسيح: " *ولكن هوذا يد الذى يسلّمنى هى معى على المائدة*". لأنه ربما تخيل فى حماقته العظيمة، أو ربما بالأحرى لكونه امتلأ بكبرياء إبليس، أنه يمكنه أن يخدع المسيح، مع أنه الإله. لكن كما قلت، إنه أُدين لكونه بالإجمال شريرًا ومبغضًا لله وخائنًا؛ ومع هذا فقد سمح له الرب وتنازل ودعاه إلى المائدة، وقد حُسب أهلاً للطف الإلهى حتى النهاية؛ لكن بهذا صارت عقوبته أكثر شدة. لأن المسيح قال عنه فى موضع ما بصوت المرنم: "*لو كان عدو يُعيِّرنى لاحتملت، ولو كان الذى يكرهنى يتكلم علىّ بكبرياء لاختبأت منه، بل أنت إنسان عديلى، أليفى وصديقى، الذى معه كانت تحلو لنا العشرة، إلى بيت الرب كنا نذهب باتفاق*" (مز ٥٤:١٢ــ١٤ س). لذلك، فبحسب كلمات المخلص: ويل له! لأن المسيح ــ فى الحقيقة ــ بذل نفسه عوضًا عنا، بحسب مشيئة الله الآب الصالحة، لكيما يخلصنا من كل شئ، أما الإنسان الذى خان مخلص ومنقذ الكل وسلّمه إلى أيدى القتلة، فسيكون نصيبه الدينونة، التى هى العقاب المناسب لإبليس. لأن ذنبه ليس ضد واحد مثلنا ، بل ضد رب الكل؛ الذى به ومعه يليق لله الآب التسبيح والسلطان، مع الروح القدس، إلى دهر الدهور . آمين.

عظة ١٤٣

من هو الأعظم ؟

لوقا٢٢: ٢٤ــ٣٠

"وكانت بينهم أيضًا مشاجرة، من منهم يُظن أنه يكون أكبر؟ فقال لهم: ملوك الأمم يسودونهم، والمتسلطون عليهم يُدعون محسنين، وأما أنتم فليس هكذا، بل الكبير فيكم يكون كالأصغر[4]، والمتقدم[5] كالخادم، لأن من هو الأكبر، الذى يتكئ على المائدة أم الذى يخدم؟ أليس الذى يتكئ؟ ولكنى أنا بينكم كالذى يخدم . ولكن أنتم الذين ثبتم معى فى تجاربى ، وأنا أجعل لكم، كما جعل لى أبى ملكوتًا، أن تأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى، وتجلسوا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر".

ينادينا أحد الرسل الأطهار قائلاً: "*اسهروا واصحوا*" (أنظر ١تس٥: ٦)؛ لأن شبكة الخطية منتشرة منصوبة فى كل مكان، والشيطان يجعلنا فريسة له بطرق متنوعة، مقيدًا إيانا بأهواء عديدة، وهكذا يؤدى بنا إلى ذهن مرفوض. لذلك فأولئك الذين لا يرتضون عن طيب خاطر أن يخضعوا لسلطانه، ينبغى أن يستيقظوا، لأنهم بهذا سينالون النصرة بمعونة المسيح، الذى يهتم بنفوسهم ويخلصهم من كل هوى، لكيما يمكّنهم بذهن سليم ونشيط أن يركضوا فى الطريق المملوء ربحًا والجدير بالمديح الخاص بنمط الحياة الذى يسرّه. والدروس الموضوعة أمامنا تعلن لنا مرة أخرى، كم عظيمة هى رحمته من نحونا! لأن التلاميذ استسلموا لإحدى الضعفات البشرية، وكانوا يتشاجرون مع بعضهم البعض، مَن منهم يكون الأعظم وأعلا من

[4] أى " كالصبى ــ الخادم " as the serving - boy .

[5] أى " الرئيس " أو " الحاكم " .

الباقين؛ فربما أن الذين كانوا يشغلون المركز الثانى بينهم، كانوا لا يريدون أن يفسحوا مجالاً لأصحاب المركز الأول. لكن حتى هذا حدث بينهم وتم تسجيله لمنفعتنا، إذ أن ما حدث للرسل الأطهار يمكن أن يكون سببًا للتواضع فيما بيننا. لأن المسيح يزجر فى الحال هذا الداء، ومثل طبيب قوى قطع الهوى الذى نشأ بينهم بوصية حاسمة وخارقة إلى العمق .

والآن، فإن هذا الطموح الباطل والأحمق قد ظهر فيهم بسبب محبة المجد الباطل غير النافعة النابعة من الكبرياء لأن مجرد رغبة المرء فى أن يتفوق على الآخرين، وأن يُصارع لأجل هذه الغاية، يجعل الإنسان عرضة للوم بعدل، وإن كانت من ناحية أخرى لا تخلو تمامًا مما يستحق المديح. لأن كون الإنسان يسمو فى الفضيلة، فهذا أمر جدير بكل اعتبار، لكن يلزم لأولئك الذين يبلغونه أن يكونوا ذوى عقل متضع، وأن يكون لهم شعور التواضع هذا لكى يُستبعد كل تفكير فى التفوق وذلك بسبب المحبة للإخوة، وهذا هو ما يريدنا المبارك بولس أن نكون عليه، إذ يكتب هكذا قائلاً: " *مقدمين بعضكم بعضًا فى الكرامة* " (رو١٢: ١٠). لأن هذا الشعور هو جدير تمامًا بالقديسين، ويجعلهم متألقين بالمجد، ويجعل تقوانا من نحو الله جديرة بكرامة أكثر: فهى تمزق شبكة خبث الشيطان وتكسر فخاخه المتنوعة وتنقذنا من شراك الفساد. وفى النهاية تكملنا على مثال المسيح مخلصنا جميعًا. اسمع كيف يضع الرب أمامنا نفسه كنموذج للفكر المتضع وكإرادة غير منشغلة بالمجد الباطل، فيقول لنا: " *تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب*"(مت١١: ٢٩) وهنا، فى الفقرة التى قُرئت علينا للتو يقول: " *لأن من هو الأكبر، الذى يتكئ على المائدة أم الذى يخدم؟ أليس الذى يتكئ ؟ ولكن أنا فى وسطكم كالذى يخدم* ". فعندما يتحدث المسيح هكذا،

فمن يمكنه أن يكون عنيدًا هكذا وغير مطيع حتى لا يهتم بأن يطرد عنه كل رغبة فى المجد الباطل، ويُبعد عن فكره محبة الكرامة الفارغة ؟ لأن ذاك الذى تخدمه المخلوقات العاقلة والكائنات المقدسة، والذى يسبحه السارفيم وتتجه إليه خدمات (صلوات) الكون كله، والذى هو مساوٍ لله الآب فى عرشه وملكوته، بأخذه مكان العبد، وغسل أرجل الرسل القديسين. وعلاوة على ذلك، فهو بطريقة أخرى يأخذ وظيفة العبد، بسبب التدبير فى الجسد. ويشهد لهذا بولس المبارك عندما يكتب قائلاً: " *وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان حتى يثبت مواعيد الآباء، وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة*" (رو١٥: ٨، ٩ حسب النص). إذن، فالذى تُقدم له الخدمة صار خادمًا، ورب المجد افتقر لأجلنا "*تاركًا لنا مثالاً* "، كما هو مكتوب (١بط٢: ٢١).

لذلك ليتنا نتحاشى محبة المجد الباطل، ونخلص أنفسنا من اللوم المرتبط بشهوة الرئاسة، لأننا بتصرفنا هكذا نصير مشابهين له هو، الذى أخلى ذاته لأجلنا، بينما التشامخ وعجرفة العقل يجعلاننا نشبه تمامًا رؤساء الأمم الذين يميلون للغطرسة دائمًا، وهذه السمة محببة لديهم بل ربما مناسبة لهم .

ويقول " لأنهم يُدعون محسنين". أى أن مرؤوسيهم يتملقونهم ويدعونهم محسنين. ولكونهم خارج نطاق النواميس المقدسة، وغير خاضعين لمشيئة الرب، لذلك فهم ضحايا لهذه الأمراض. لكن الأمر لا ينبغى أن يكون هكذا معنا، بل بالحرى ليكن مجدنا هو فى التواضع، وفخرنا هو فى عدم محبة المجد (الباطل)، ولتكن شهوتنا هى فى تلك الأشياء التى تُسرّ الله وترضيه،

واضعين فى أذهاننا ما يقوله لنا الحكيم: " *بقدر ما تتعظم، أخفض ذاتك بالأكثر، فتنال* حظوة عند *الرب*" (ابن سيراخ٣:١٩). لأنه يرذل المستكبرين، ويعتبر المتعجرفين كأعداء له، أما الودعاء ومتواضعو القلب فيكللهم بالكرامات .

لذلك يدفع المخلص عن رسله القديسين داء المجد الباطل ، لكنهم (التلاميذ) ربما يفكرون بينهم وبين أنفسهم ــ ويقولون: " ماذا ستكون مكافأة الأمانة، إذن ؟ أو ما المنفعة التى ينالها الذين تعبوا فى تلمذتهم له، عندما تداهمهم التجارب من حين لآخر؟ لذلك فلكى يثبتهم فى رجاء البركات المذخرة ويطرد من أذهانهم كل تكاسل فى المساعى الفاضلة، بل أن يختاروا بالأحرى أن يتبعوه بجد وحماس، ويُسرُّوا بالأتعاب لأجله، ويعتبروا هذا العمل سبب ربح، وسبيلاً للفرح ووسيلة للمجد الأبدى، (لأجل كل هذه)، يقول لهم بالضرورة: " *أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى؛ وأنا أجعل لكم، كما جعل لى أبى ملكوتًا، لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى، وتجلسوا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر*". أرجو أن تلاحظوا أنه لم يتخل بعد عن حدود البشرية، بل الآن يحدِّد نفسه داخل هذه الحدود (البشرية)، لأنه لم يكن بعد قد احتمل الصليب الثمين؛ لأنه يتكلم كواحد منا: ولكنه بعد القيامة من الأموات كشف مجده، إذ أنه قال لهم: " *دُفع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض*" (مت ١٨:٢٨). لذلك ــ كما قلت ــ فهو يتكلم بطريقة بشرية، لكونه لم يرتفع بعد فوق قياس تواضعه. لهذا السبب فهو يقول: "*كما جعل لى أبى عهدًا لمملكة هكذا أنا أيضًا سوف أجعل معكم عهدًا لتأكلوا وتشربوا دائمًا على مائدتى فى ملكوتى*". فهل سيكون الحال أنه بعد القيامة من الأموات، عندما

يحين الوقت الذى فيه سنكون مع المسيح، ينعم علينا بمشابهة جسده المُمجد، هل معنى هذا أنه حتى بعد أن نكون قد لبسنا عدم الفساد، أقول هل سنكون فى حاجة آنذاك ـــ من جديد ـــ لطعام وموائد؟ أليس من الحماقة التامة أن نقول أو نرغب فى أن نتخيل شيئًا من هذا القبيل؟ لأنه عندما نكون قد خلعنا الفساد، فما هو القوت الجسدى الذى سنكون فى احتياج إليه؟ فإن كان الأمر هكذا ، فما هو معنى العبارة: "*لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى*"؟ أجيب إنه مرة أخرى يعلن لنا الأمور الروحية من خلال أمور الحياة العادية. فأولئك الذين يستمتعون بأعظم الكرامات مع الملوك الأرضيين يشتركون فى الوليمة معهم ويأكلون فى صحبتهم، وهذا أمر يعتبرونه قمة المجد، وكذلك يوجد آخرون يعتبرهم أصحاب السلطان أنهم جديرين بالكرامة، ومع ذلك لا يسمحون لهم أن يأكلوا معهم على نفس المائدة. ولذلك، فلكى يُبين (الرب) أنهم سينعمون معه بأعلى الكرامات، فإنه يستخدم مثالاً مأخوذًا من الحياة العادية، فيقول لهم: وأنا أجعل معكم عهدًا (عهد ملكوت) لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى، وتجلسوا أيضًا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل.

كيف وبأية طريقة (يفعل ذلك)؟ إنه يقصد أن التلاميذ الذين هم من الجنس الإسرائيلى، حصلوا على أقصى الأمجاد مع المسيح ـــ مخلص الكل، لأنهم بالإيمان والإخلاص أمسكوا بالهبة (العطية)، الذين نسعى نحن أيضًا للاقتداء بهم، لأنه هكذا سيقبلنا المخلص ورب الكل فى ملكوته، الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب، مع الروح القدس، إلى دهر الدهور. آمين.

عظة ١٤٤

يسوع ينبئ بإنكار بطرس له

لوقا٢٢: ٣١ـــ٣٤

"سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبت إخوتك. فقال له يا رب إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت. فقال أقول لك يا بطرس، لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني ".

يدعو النبى إشعياء أولئك الذين يحبون حياة التقوى لأجل المسيح أن يتوجهوا إلى إعلانات الإنجيل بقوله: " *هلموا إلى المياه أيها العطاش* " (إش ١:٥٥). هذه المياه ليست هى مياه الأرض المادية، بل هى بالأحرى مياه إلهية وروحية، منسكبة علينا من المسيح نفسه، لأنه نهر السلام، وسيل المسرة الغزير ونبع الحياة. وهكذا سمعناه هو نفسه يقول بوضوح: " *إن عطش أحد فليُقبل إلىّ ويشرب*" (يو٧: ٣٧). تعالوا إذن لكى نمتع أنفسنا هنا أيضًا بالأنهار الإلهية التى تتدفق منه. فماذا يقول لبطرس؟ "*سمعان سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة، ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك* ".

وأظن الآن أنه من الضرورى والنافع لنا أن نعرف ما المناسبة التى جعلت مخلصنا يتجه بكلماته إلى هذا الموضوع. كان التلاميذ المباركون يتجادلون فيما بينهم من منهم يكون أكبر، أما مخلص الكل الذى حصلوا منه على كل ما هو مفيد وضرورى لخيرهم، فقد أنقذهم من شر الطموح، بأن نزع عنهم العراك على أشياء مثل هذه، كما حثهم على الهروب من شهوة التفوق على الغير كأنها شرك للشيطان. لأنه قال: " *الكبير فيكم ليكن*

كالأصغر والمتقدم كالخادم ". ثم علمهم أيضًا أن وقت التكريم ليس فى هذا الزمان الحاضر بل سيكون عند مجئ ملكوته، لأنهم هناك سوف ينالون مكافأة إخلاصهم، ويكونون شركاء مجده الأبدى، ويلبسون إكليل كرامة فائقة جدًا، ويأكلون على مائدته، ويجلسون أيضًا على اثنى عشر كرسيًا يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر .

ولكن أنظر هاهو يقدم لهم مساعدة ثالثة كما قرأنا فى الدروس التى أمامنا. إنه يعلمنا أنه يجب علينا أن نفكر باتضاع عن أنفسنا. فنحن فى الواقع لا شئ، من كلتا الناحيتين: من ناحية طبيعة الإنسان، وأيضًا من ناحية ميل ذهننا للسقوط فى الخطية. فنحن نتقوى ونكون على ما نحن عليه (فى القداسة) بواسطته هو فقط ومنه هو فقط. لذلك، إن كنا قد أخذنا خلاصنا منه، ومنه أيضًا أخذنا ما يجعلنا ذوى شأن فى الفضيلة والتقوى ـ فلأى سبب تكون عندنا أفكار كبرياء؟ لأن كل ما عندنا إنما هو منه، ولا نملك شيئًا من أنفسنا، " *وأى شئ لك لم تأخذه؟ وإن كنت قد أخذت، فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟* " (١كو٤:٧). هكذا تكلم الحكيم جدًا بولس، ويقول المبارك داود أيضًا: " *بالله نصنع ببأس* " (مز٥٩:١٢س) وفى مرة أخرى يقول: " *إلهنا هو ملجأنا وقوتنا* " (مز٤٥:١س). وأيضًا يقول إرميا النبى فى موضع ما: " *يارب، أنت قوتى وعونى وملجإى فى أيام الشدة* " (إر١٦:١٩ س). ويمكن أن نبرز هنا المبارك بولس أيضًا الذى يقول بكل وضوح: " *أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى* " (فى٤:١٣)، بل المسيح نفسه أيضًا يقول لنا فى موضع ما " *بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا* " (يو١٥:٥).

ليتنا إذن لا نفتخر بأنفسنا بل بالحرى نفتخر بعطاياه. وإن كان كل واحد منا يفكر بهذه الطريقة، فلن تجد شهوة التعالى على الآخرين، أى مكان لها

فينا، وهكذا نكون كلنا شركاء فى نفس النعمة الواحدة، وأيضًا لنا نفس رب الجنود كمعطى لوجودنا (أى كخالق)، وأيضًا كمعطى للقدرة على فعل الصلاح .

لذلك، ولكى يكسر ميلنا إلى التشامخ، ولكى يكبح المشاعر الطامحة، فإنه يبين إنه حتى من يبدو عظيمًا فهو لا شئ ويتسم بالعجز والضعف. لذلك ترك بقية التلاميذ الآخرين واتجه إلى الذى هو متقدم بينهم والمُقام قائدًا لرفقائه، وقال له: " *إن الشيطان طلبكم عدة مرات لكى يغربلكم كالحنطة*"؛ أى أن يمتحنكم ويجربكم ويعرضكم لضربات لا تُحتمل. لأنه من عادة الشيطان أن يهاجم الممتازين جدًا من الناس، ومثل بربرى عنيف ومتغطرس، فإنه يتحدى أولئك الذين لهم شهرة عظيمة فى طرق التقوى لينازلهم فى معركة فردية. وبهذه الطريقة تحدى أيوب، ولكنه انهزم من صبره وسقط المتشامخ إذ قُهر بواسطة احتمال ذاك البطل المنتصر. ولكن الفريسة التى يريد اصطيادها هى الطبيعة البشرية لأنها طبيعة عاجزة، ومن السهل قهرها. وهو قاسٍ وعديم الشفقة وهو فى أعماقه لا يهدأ أبدًا. لأن الكتاب المقدس يقول عنه: "*قلبه قاسٍ كالحجر وهو ويقف مثل سندان الحداد الصلب*" (أى١٤:٤١س). ولكن القديسين وطئوه تحت أقدامهم بقوة المسيح؛ لأنه قال: " *ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شئ*" (لو١٠:١٩)، لذلك يقول المسيح: " *الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك* ".

لاحظ أنه يُنزِل (يُوضِع) نفسه إلينا، ويتكلم بحسب حدود الحالة الإنسانية، ومع ذلك فهو الله بالطبيعة، رغم أنه صار جسدًا، ومع أنه هو قوة الآب، الذى به تقوم كل الأشياء وتُحفظ، والذى منه ننال القدرة على

الاستمرار فى الصلاح، إلاّ أنه مع ذلك يقول إنه يقدم طلبات كإنسان، لأنه كان من الضرورى، نعم، من الضرورى لذلك الذى ــ من أجل التدبير ــ صار مثلنا، أن يستخدم أيضاً كلماتنا حينما تستدعى المناسبة بحسب ما يتطلبه التدبير نفسه. إنه يقول: " *ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك*"، والآن إذن هو يبين بهذا، أنه لو كان بطرس قد سُلم للشيطان ليجربه، لكن قد برهن على عدم أمانته تمامًا؛ حيث إنه حتى حين لم يُسلم للشيطان، فإنه (أى بطرس) أثبت أنه ضعيف بسبب العجز البشرى، لأنه لم يحتمل الخوف من الموت، لأنه أنكر المسيح بسبب كلمة فتاة صغيرة فى دار رئيس الكهنة عندما قالت له: " *وأنت أيضًا واحدًا من تلاميذه*" (انظر يو ١٨:٧).

وبعد أن حذره المخلص عما كانت ستكون النتيجة لو أنه سُلم لتجربة الشيطان؛ فإنه فى نفس الوقت يقدم له كلمة عزاء بقوله: " *وأنت متى رجعت ثبت إخوتك* "، أى كن سندًا وموجهًا ومعلمًا لأولئك الذين يأتون إلىّ للإيمان. وتعجب بالأكثر من هذا، أعنى من المهارة الرائعة لهذه العبارة، ومن العظمة التى لا تُجارى للطف الإلهى! فلئلا تؤدى سقطة التلميذ الوشيكة إلى اليأس، كما لو كان سيُطرد من أمجاد الرسولية ويفقد مجازاة تلمذته السابقة للمسيح، بسبب أنه أثبت عدم مقدرته أن يحتمل الخوف من الموت وهكذا أنكره؛ فإن المسيح فى الحال يملأه بالرجاء الصالح، ويمنحه يقينًا أكيدًا أنه سوف يُحسب أهلاً للبركات الموعود بها، ويحصد ثمار الثبات، لأنه يقول له: " *وأنت متى رجعت ثبت إخوتك* ". يا للشفقة العظيمة التى لا مثيل لها! إن التلميذ وهو لم يكن قد أُصيب بعد بداء عدم الإيمان قد نال دواء الغفران؛ وقبل أن يرتكب الخطية نال الصفح، وقبل أن يسقط فإن

اليد المخلّصة امتدت إليه، وقبل أن يتداعى فإنه حُفظ، فإن الرب قال له: "*متى رجعت ثبّت إخوتك*". ومثل هذا الكلام هو كلام ذلك الذى (أى الرب) يصفح عنه ويعيده مرة أخرى إلى الصلاحيات الرسولية. أما بطرس، ففى حماس غيرته، قدم اعترافه بثبات وباحتماله إلى المنتهى قائلاً إنه سوف يجابه بشجاعة أوجاع الموت، وسوف لا يحسب حسابًا للقيود. إلاّ أنه بهذا قد جانب الصواب لأنه حينما أخبره المخلص بأنه سيضعف ما كان يجب عليه أن يعارضه بصوتٍ عالٍ؛ لأن الحق (المسيح) لا يمكن أن يكذب؛ بل بالحرى كان يجب على بطرس أن يطلب منه القوة حتى إما أنه لا يتعرض لهذا (السقوط) أو يُنقذ فى الحال من الأذى. ولكن كما سبق أن قلت، إذ كان بطرس حارًا فى الروح، وملتهبًا فى حبه للمسيح، وفى غيرته غير المقيدة من جهة عمل تلك الواجبات التى تليق بتلميذ فى ملازمته لمعلمه، فإنه يعلن أنه سوف يحتمل إلى النهاية .

إلاّ أنه وُبخ لأنه تكلم بجهل ضد ما كان معروفًا سابقًا، وأيضًا بسبب تسرعه غير المتزن فى الاعتراض على كلمات المخلص. ولهذا السبب يقول له الرب: "*الحق أقول لك: لا يصيح الديك هذه الليلة حتى تنكرنى ثلاث مرات*". وهذا تبرهن أنه صحيح. لذلك، ليتنا لا نفكر بتعالٍ عن أنفسنا، حتى ولو رأينا أنفسنا متميزين جدًا بسبب فضائلنا؛ بل بالأحرى فلنقدم تسابيح تشكراتنا للمسيح الذى يفتدينا، وهو نفسه أيضًا الذى يمنحنا الرغبة فى أن نكون قادرين على فعل الصلاح، هذا الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين .

عظة ١٤٥

إعداد التلاميذ لمواجهة الصعاب

لوقا٢٢:٣٥ـ٣٨

" ثم قال لهم: حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية، هل أعوزكم شئ؟ فقالوا لا. فقال لهم: لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفًا. لأنى أقول لكم إنه ينبغى أن يتم فىَّ أيضًا هذا المكتوب: وأحصى مع أثمة. لأن ما هو من جهتى له انقضاء. فقالوا يارب هوذا هنا سيفان. فقال لهم يكفى ".

غرس موسى المبارك خوف الله فى بنى إسرائيل بقوله لهم: " *مخوف هو الوقوع فى يدى الله الحى، لأن إلهنا نار آكلة*" (تث٤:٢٤،عب١٠:٣١)، كما قال نبى آخر عنه: " *إن غضبه يأكل الرؤساء ، والصخور تذوب منه* " (ناحوم١:٦س)، وبالأكثر يقول عنه داود المبارك فى موضع ما من المزامير: " *أنت مخوف، فمن يقف قدامك حال غضبك*" (مز٧٥:٧س). لأنه ما هى قوة الإنسان، أو كيف يمكن لأية قوة مخلوقة مهما كانت أن تقف مقابل قوة الله الإله القدير التى لا تُقهر؟ ولكن غضبه لا ينزل إطلاقًا على الرجل البار، لأن الله لا يمكن أن يظلم، إنما غضبه بالأحرى على أولئك الذين خطاياهم عديدة وغير محتملة، وشرورهم تفوق الحدود .

وكمثل لما قلناه ، فلنأخذ ما حدث مع جموع اليهود بعد أن قام المسيح من الأموات وصعد إلى السماء. إن الله الآب أرسل لهم ابنه يدعوهم إلى خدمة أسمى من الناموس، وإلى معرفة كل صلاح، وهو أرسله ليحررهم من كل إثم، ويخلصهم ومن وصمة الخطية، وليأتى بهم إلى تبنى البنين adoption of sons، وإلى المجد، وإلى الكرامة، وإلى شركة الروح

القدس، وإلى الحياة غير الفاسدة، إلى مجد لا ينتهى، وإلى ملكوت السموات. ومع أنه كان من واجبهم أن يسرعوا بلهفة إلى هذه النعمة ويكرموا بتسابيح الشكر لمن أتى ليساعدهم، وأن يقبلوا بفرح النعمة التى بالإيمان، إلاّ أنهم فى الواقع لم يفعلوا شيئًا من هذا، بل فعلوا العكس تمامًا، لأنهم قاموا ضده، واعتبروه كلا شئ بعدم طاعتهم، وحتى آياته الإلهية كانوا يغارون منها، وبعد أن عملوا وقالوا كل شئ ردئ عليه، فإنهم صلبوه فى النهاية. وهكذا صار نصيبهم أن يقاسوا تلك الأمور التى صرح بها جماعة الأنبياء القديسين من قبل فإن واحدًا منهم يقول: "*سيطرحهم الله بعيدًا لأنهم لم يسمعوا له، فيكونون تائهين بين الأمم*" (هو٩:١٧س)، وأيضًا: "*لأن أورشليم مرفوضة ويهوذا قد سقطت، وألسنتهم تنطق بالإثم، وهم لا يطيعون الرب، لذلك فإن مجدهم ينخفض وخزى وجوههم يقف ضدهم*" (إش٣:٨و٩س). وفى موضع آخر يخاطبهم الله الذى فوق الكل هكذا: "*والآن لأنكم عملتم جميع هذه الأعمال، وأنا قد كلمتكم ولم تسمعوا وأنا دعوتكم فلم تجيبوا، لذلك هكذا أنا فاعل بهذا البيت الذى دُعى باسمى عليه، الذى أنتم متكلون عليه ، وبالموضع الذى أعطيته لكم ولآبائكم اياه، كما صنعت بشيلوه، ولأطرحكم من أمامى، كما طرحت كل إخوتكم كل نسل أفرايم*" (إر٧:١٣ـ١٥). لأنهم سُلِّموا ـ كما قلت ـ إلى خراب، وتشتتوا فى الأرض كلها، والتهمت النيران هيكلهم، وسُبى جميع اليهود .

كان هذا هو الحال الذى سبق المسيح وأعلنه للتلاميذ، أما عن المناسبة التى جعلته يتكلم عن هذا الموضوع هو تحذيره المسبق لبطرس العجيب أنه سوف ينكره ثلاث مرات، وبالتحديد فى وقت القبض عليه، عندما أحضره جنود بيلاطس وخدام اليهود إلى رؤساء الكهنة للمحاكمة، فهناك

أنكره بطرس، وعند ذكر القبض عليه وإحضاره أمام قيافا كان من الطبيعى أن يتبع هذا الإشارة إلى ما كان سيحدث بعد ذلك أى إلى آلامه على الصليب، عندئذ أشار وتنبأ عن الحرب التى كانت ستندلع على اليهود، والتى انتشرت مثل نهر بعنف لا يحتمل على كل أرضهم. وبخصوص هذا يقول: " *حين أرسلتكم بلا كيس ولا مذود ولا أحذية، هل أعوزكم شئ ؟ فقالوا لا* " لأن المخلص أرسل رسله القديسين وأوصاهم أن يكرزوا لسكان كل قرية ومدينة بإنجيل ملكوت السموات، وأن يشفوا كل ضعف وكل مرض فى الشعب، ومنعهم من أن يشغلوا أنفسهم بالأمور التى تخص الجسد، بل بالأحرى ألاّ يحملوا كيسًا ولا أى شئ يعوقهم، بل أن يضعوا كل اتكالهم فيما يخص طعامهم، عليه. وهذا ما فعله التلاميذ أيضًا، فجعلوا أنفسهم مثالاً للسلوك الرسولى الممدوح. ويقول " *ولكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك* " (لو٢٢: ٣٦). أخبرنى إذن، هل كان هذا بسبب أن الرب غيّر كلامه فابتكر أفكارًا أكثر نفعًا لهم؟ وهل كان من الأفضل فى الظروف الأولى أن يكون لهم كيس ومزود ؟ وإن كان لا، فما الداعى إلى هذا التغيير المفاجئ؟ وما هو احتياج الرسل القديسين للكيس وللمزود ؟ أية إجابة نعطيها عن ذلك؟ إن القول كما يبدو ظاهريًا يشير للتلاميذ، ولكنه فى الواقع ينطبق عمليًا على كل يهودى، لأنهم هم الذين كان المسيح يوجه إليهم الخطاب، لأنه لم يقل إنه ينبغى على الرسل القديسين أن يأخذوا كيسًا ومزودًا، ولكن من له كيس مزود فليأخذه، ويعنى بذلك أنه من له ممتلكات خاصة فى إقليم اليهودية، فعليه أن يجمع كل شئ ويهرب، حتى يمكنه بأى طريقة أن ينجّى نفسه. أما من ليس له الوسائط لتجهيز نفسه للرحيل، بسبب شدة فقره، فيلزمه أن يبقى فى الأرض. فيقول إن مثل هذا: " *فليبع ثوبه*

ويشتر سيفًا"، لأن السؤال لهؤلاء الذين سوف يبقون فى الأرض لن يكون، إن كانوا يمتلكون شيئًا أم لا، بل بالحرى يكون السؤال هو هل يمكنهم الإبقاء على حياتهم، لأن الحرب سوف تحل بهم بعنف لا يُحتمل، حتى لا يستطيع أحد أن يقف ضدها .

وبعد ذلك يخبرهم عن سبب المصيبة ويخبرهم عن ضيقة عظيمة جدًا لا نجاة منها سوف تحل بهم قائلاً إنه بحسب الكتب: " *سوف يُحصى مع الأثمة*". وهو يقصد هنا بوضوح تعليقه على الصليب مع اللصين اللذين صلبا معه. وهكذا سوف يحتمل عقاب الأثمة، وعندما يبلغ التدبير هذا الحد، سوف يكون الانقضاء. لأنه بالفعل احتمل آلامه المخلصة لأجلنا، وهكذا ـــ وإلى هذا الحد ـــ قد كمل شر اليهود المتجاسر، وهذا هو اكتمال غضبهم الشديد الجامح. ولكن بعد الآلام على الصليب، صارت جميع الأيدى بلا قوة، لأن: " *العدو لا يرغمه ، وابن الإثم لا يمكنه أن يؤذيه فيما بعد* " (مز٨٨: ٢٢س). وذلك لأنه قام وداس الموت، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الله الآب، وسوف يأتى بعد ذلك ليس فى حالة وضيعة كما جاء سابقًا، ولا بقياس الطبيعة البشرية، إنما فى مجد الآب مع الملائكة القديسين حراسًا له يحفُون به، وسوف يجلس أيضًا على عرش مجده ليدين المسكونة بالعدل كما هو مكتوب (إش١١: ٤). وكما يقول النبى: "*سينظرون إلى الذى طعنوه*"(زك١٢: ١٠). فمن هو الذى سَخرت منه هذه المخلوقات البائسة ؟ وكما رأوه معلقًا على الصليب الثمين ، فسوف ينظروه وهو مُكلل بالمجد الإلهى. وبسبب شرهم نحوه، فسوف يسقطون فى هاوية الهلاك. إن قوله: "*ما هو من جهتى له انقضاء*"، أى يتصل بمعاناتى للموت فى الجسد،

وبعد هذا سوف تحدث تلك الأشياء التى تنبأ عنها الأنبياء القديسون فى القديم عن أولئك الذين قتلوه .

وبخصوص التنبؤ عن هذه الأشياء، فالمخلص كان يتكلم عما كان وشيكًا أن يحدث لبلاد اليهود. لكن التلاميذ الإلهيين لم يفهموا المعنى العميق لِما قيل، بل ظنوا بالحرى أنه يقصد أن السيوف ضرورية بسبب الهجوم الوشيك أن يعمله التلميذ الذى خانه وأولئك الذين اجتمعوا للقبض عليه، لذلك قالوا: "*يارب هوذا هنا سيفان*". وماذا كانت إجابة السيد؟ يكفى. لاحظ كيف أنه سخر من قولهم، إذ كان يعرف جيدًا أن التلاميذ إذ لم يفهموا معنى ما قيل، فإنهم ظنوا أنه يوجد احتياج للسيوف بسبب الهجوم الوشيك أن يحدث عليه هو نفسه. أما هو، وقد ثبّت نظره على تلك الأمور المزمع أن تقع وشيكًا على اليهود بسبب سلوكهم الشرير تجاهه، فإن المخلص ــ كما قلت ــ سخر من قولهم وقال: "يكفى". نعم بالحق، هل يكفى سيفان لاحتمال وطأة الحرب العظيمة والوشيكة أن تحدث لهم، هذه التى لم تكن تنفع فيها آلاف السيوف؟ إن كبرياء اليهود جعلهم يقاومون مقاومة عنيفة ضد قوات أغسطس قيصر، ولكنهم لم ينتفعوا شيئًا، لأنهم قد حوصروا بقوة فتاكة، وقاسوا كل بؤس، كما يقول إشعياء النبى: "*ما قضى به الإله القدوس من يبطله ؟ ويده عندما ترفع من يردها*" (إش ١٤:٢٧س). لذلك ليتنا نحترس لئلا نثير غضب الله، لأنه أمر مخيف هو الوقوع فى يديه. أما الذين يؤمنون بالمسيح فهو رحيم بهم أى أولئك الذين يسبحونه، والذين يدعونه فاديًا لهم ومخلصًا، وهم الذين يخدمونه خدمة روحية بكل سلوك فاضل. لأننا إن تصرفنا وتكلمنا هكذا، فإن المسيح سيجعلنا خاصته، الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور، آمين .

عظة ١٤٦

يسوع يصلى ويحزن ويكتئب في جبل الزيتون

لوقا٢٢: ٣٩ـ٤٢، ٤٥، ٤٦

" وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضًا تلاميذه. ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة. وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك... ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نيامًا من الحزن، فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة ".

يطلب ربنا يسوع المسيح من الذين يحبونه أن يكونوا باحثين مدققين بخصوص كل ما كُتب عنه، لأنه يقول: " *يشبه ملكوت السموات كنزًا مخفيً في حقل*" (مت١٣: ٤٤)، لأن سر المسيح مُودع ــ إن جاز القول ــ على عمق عظيم، وهو ليس واضحًا للكثيرين، أما الذى يرفع الغطاء عنه بواسطة المعرفة الدقيقة فهو يجد الغنى المخبأ هناك. وهذا يشبه المرأة الحكيمة، أعنى مريم، التى قال عنها المسيح إنها: " *اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها*" (لو١٠: ٤٢). لأن هذه الأمور الأرضية والمؤقتة تذبل مع الجسد، أما الأمور الإلهية والعقلية والتى تنفع حياة النفس، فهى ثابتة تمامًا، ولا يمكن أن تتزعزع. لذلك هيا بنا نتطلع إلى معنى الدروس الموضوعة أمامنا .

كان المخلص يقيم نهارًا فى أورشليم يُعلِّم الإسرائيليين ويكشف لهم طريق ملكوت السموات، ولكن عندما كان يأتى المساء كان يستمر مع التلاميذ القديسين على جبل الزيتون عند بقعة تسمى جثسيمانى، فهكذا يخبرنا متى البشير بخصوصه.

ولما جاء إلى هناك ــ كما يخبرنا أيضًا متى نفسه ــ فإنه أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم: "*نفسى حزينة جدًا حتى الموت، ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت* " (مت٢٦:٣٧ــ٣٩). أرجوكم أن تنظروا هنا إلى عمق التدبير فى الجسد، وإلى سمو تلك الحكمة التى لا يمكن لكلمات أن تخبر بها، ثبتوا عليها عين العقل الثاقبة، وإن لم تستطيعوا رؤية جمال السر، فأنتم أيضًا ستقولون: "*يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء*" (رو١١:٣٣). يقول الكتاب إنه ابتدأ يحزن ويكتئب. لأى سبب أيها الرب؟ هل أنت أيضًا ترتعب من الموت؟ هل أنت أيضًا يستولى عليك الخوف وتتراجع عن الألم؟ وأيضًا ألست أنت الذى علّمت الرسل القديسين ألاّ يبالوا بأهوال الموت بقولك: "*لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها*" (مت١٠:٢٨). وأكثر من هذا، إن قال أحد إن نعمة الثبات الروحى هى عطيتك للمختارين، فلا يكون قد حاد عن الصواب؛ لأن كل قوة هى من عندك وكذلك أيضًا كل ثقة وكل شجاعة فى كل مواجهة ضارية. أنت الحياة بالطبيعة، أنت علة الحياة، ونحن نتطلع إليك كمخلص ومنقذ ومحطم للفساد، منك يقتبل الجميع حياتهم ووجودهم. أنت خلقت كل ما يتنفس. الملائكة لك ومنك وبك، وهكذا أيضًا جميع

الخليقة العاقلة. يتحدث إليك الطوباوى داود بخصوصنا: " *ترسل روحك فيُخلقون، وتجدد وجه الأرض*" (مز١٠٣: ٣٠س). كيف إذن تحزن وتكتئب وتتأسَّى حتى الموت؟ فمن الواضح أنك تعلم أنك أنت هو الله بالطبيعة، وتعلم كل ما هو مزمع أن يحدث، وأنك باحتمالك الموت فى الجسد سوف تحرر سكان الأرض كلها من الموت، وسوف تهزأ بالشيطان، وسوف تقيم نصبًا للنصرة على كل قوة شريرة ومقاومة، وأنك سوف تكون معروفًا لكل شخص وتُعبد كإله وكخالق للجميع. أنت تعرف أنك سوف تبيد الهاوية، وأنك سوف تُخلِّص الذين هناك من الرباطات التى كابدوها لأجيال عديدة، وأنك سوف تجذب إلى نفسك كل من هم تحت السماء. هذه الأمور أنت أعلنتها بنفسك لنا منذ القديم بواسطة الأنبياء القديسين. ونحن قد سمعناك تقول بوضوح عندما كنت مثلنا: " *الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا*" (يو١٢: ٣١)، وأيضًا: " *وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع*" (يو١٢: ٢٤)، وأيضًا: " *الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير* " (يو١٢: ٢٤).

فلأى سبب إذن تحزن وتكتئب؟ إنه يقول: نعم، ليس بدون مناسبة أن أوجد هكذا فى هذا الكرب، لأننى أعرف حقًا أنه بقبولى أن أقاسى الألم على الصليب، فإننى سوف أخلص كل الذين تحت السماء من كل شر، وأكون سببًا لبركات لا تُحصى لجميع سكان الأرض. أنا لا أجهل حل وثاقات الموت وإبطال اضمحلال الأجساد، وهزيمة طغيان الشرير وغفران الخطايا. ولكن، ما يحزننى هو بخصوص البكر إسرائيل؛ لأنه من الآن فصاعدًا، لن يعود يُحسب، حتى ولا بين الخدام. إن نصيب الرب وحبل

ميراثى سوف يصير نصيبًا لبنات آوى ــ كما هو مكتوب (مز٦٢:١٠س)، المحبوب سوف يُكره بشدة، الذى له المواعيد سوف يُجرد تمامًا من جميع مواهبى، والكرم المختار مع عنبه الجيد سوف يصير من الآن فصاعدًا أرضًا جرداء، مكانًا مقفرًا بلا ماء لأنى سوف آمر السحب بألا تمطر عليه (إش٥:٦س)، وسوف أنزع سياجه فيصير للنهب، وأهدم جدرانه فيصير للدوس (إش٥:٥س)، أخبرنى إذن ألا يشعر صاحب الكرم بالكرب، بسبب ذلك عندما يصير كرمه خربًا وقفرًا؟ أى نوع من الرعاة يكون هذا من القسوة والشدة فلا يتأثر عندما يتلف قطيعه؟ كيف لا يتألم لأجله؟ إن هذه الأشياء مجتمعة هى سبب حزنى، لأجل هذه الأمور أنا حزين، لأننى أنا هو الله اللطيف الرحيم الذى يحب الصفح والإنقاذ، والذى ليست لى مسرة بموت الخاطئ مثلما يرجع عن طريقه الشرير فيحيا (حز١٨:٢٣س). فبالصواب، حقًا بالصواب جدًا، إذ أننى صالح ورحوم، فإننى لا أكون فقط فرحًا بما هو مُسرّ، بل وأشعر أيضًا بالأسى بكل ما هو مُحزن .

أما بخصوص شفقته على أورشليم، فهو يدرك جيدًا ما هو مزمع أن يحدث لها، وأنها سوف تكابد كل شقاء بسبب جرائمها ضده. وهذا يمكنك أن تعرفه من الآتى: فالبشير يقول إنه فيما كان ذاهبًا من اليهودية إلى أورشليم، فإنه: "نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: إنك لو علمت أنت أيضًا حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك، ولكن الآن قد أُخفى عن عينيك" (لو١٩:٤١،٤٢) فكما بكى على لعازر إشفاقًا على كل الجنس البشرى الذى صار فريسة للفساد والموت، هكذا نقول إنه حزن وهو يرى أورشليم وقد تورطت فى تعاسات شديدة جدًا، وهى معرضة لكوارث مفجعة لا شفاء لها.

وهذا ما يجب أن نعرفه بشان رغبته بخصوص إسرائيل[٦]، لذلك قال لتلاميذه إنه فى حزن وكرب شديدين، لأنه كان من المستحيل عليهم أن يعرفوا ما هو مخبأ داخله إن لم يكشف مشاعره بواسطة كلمات .

وأظن أنه من الضرورى أن أضيف لما قيل أن أوجاع الحزن، والكآبة، لا يمكن إرجاعها إلى طبيعة الكلمة الإلهية التى هى غير قابلة للألم، لأنه من المستحيل أن تتألم، إذ أن هذه الطبيعة تعلو على كل ألم، ولكننا نقول إن الكلمة المتجسد شاء أن يُخضع نفسه إلى قياس الطبع البشرى، بأن فرض على نفسه أن يقاسى ما يخصه (أى الطبع البشرى)، وحيث إنه قيل إنه جاع مع أنه الحياة وسبب الحياة والخبز الحى، وقيل إنه تعب من رحلة طويلة مع أنه رب القوات، هكذا قيل أيضًا إنه حزن وبدا أنه قادر أن يتألم، لأنه لم يكن من المناسب أن هذا الذى أخضع نفسه للإخلاء ألاّ يشترك فى معاناة الأمور البشرية. فكلمة الله الآب إذن هو خالٍ تمامًا من كل ألم، ولكن بحكمة ولأجل التدبير، فإنه أخضع ذاته للضعف البشرى حتى لا يظهر إنه يرفض ما يتطلبه التدبير (تدبير التجسد). حقًا، إنه قد استسلم تمامًا للطاعة للعوائد البشرية والنواميس مع أنه ـــ كما قلت ـــ لا يحمل أى شئ من هذه الأمور فى طبيعته الخاصة .

---

[٦] تضيف هنا مخطوطة أخرى مطولة شرحا لعبارة " خوفًا من الموت " فتقول أولاً : لتثبت إنه إنسان حقيقى، حيث إن الخوف هو جزء من صفات الطبيعة البشرية، وثانيا: أن فيه وهو ممثلنا الشخصى، يجب أن تقهر أوجاع الطبيعة البشرية الدنيئة عن طريق قوة الكلمة، وهكذا أصبح سيدنا الصورة الكاملة للسلوك المسيحى .

ومع ذلك فيوجد كثير يُضاف على ما قيل ، ولكن نكتفى فى عظتنا بهذا الحد فى الوقت الحاضر، ونستبقى ما هو أكثر إلى لقاء آخر إن شاء المسيح مخلصنا كلنا أن يجمعنا هنا مرة أخرى، هذا الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين .



عظة ١٤٧

صلاة يسوع فى البستان

ها أنا آتى إليكم لأوفى ما سبق وعدتكم به، ولكى أُضيف خاتمة مناسبة لحديثى عن المسيح. لأنه فى كل الظروف من الخطر أن يكون الإنسان كاذبًا؛ ولكن حينما يرتكب الإنسان هذا الخطأ فى الأمور الهامة لبنياننا، فحينئذ نخشى أن نجلب على أنفسنا دينونة من فوق، ونصير أيضًا سببًا لسخرية عامة.

قلنا فى اجتماعنا الأخير إن المسيح مخلص الجميع كان مع التلاميذ القديسين على جبل الزيتون، بينما كانت الحيَّة المتعددة الرؤوس، أى الشيطان، يُعِدُّ للمسيح فخ الموت، وكان رؤساء مجمع اليهود والتلميذ الذى خانه، لم يتركوا وسيلة لم يلجأوا إليها ليمسكوا بشخصه، وقد جمعوا أولئك الذين سيقبضون عليه، وهم زمرة من جنود بيلاطس، وجمع من خدام اليهود الأشرار. لذلك بينما كانت المحاولة على وشك أن تتم كان هو فى حزن، وكان يحث تلاميذه أن يتصرفوا بما يناسب هذا الظرف (العصيب) بقوله لهم: " *اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة*". وحتى لا يكون تعليمه بالكلام فقط، صار هو نفسه مثالاً لِمَا ينبغى أن يفعلوه هم، فقد انفصل عنهم قليلاً، نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً: " *يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس*". قد يتساءل أحد الآن: " **لماذا لم يُصلِّ مع التلاميذ القديسين ولكن انفصل عنهم وصلى بمفرده؟**" **كان هذا لكى يعلمنا نمط هذا النوع من الصلاة التى تسر الله**، فحينما نصلى ليس من الصواب أن نستعرض أنفسنا على مرأى من الآخرين، ولا أن نسعى أن ينظرنا كثيرون، لئلا نُغرق أنفسنا فى وحل محاولة استرضاء الناس، فنجعل كل

تعب صلواتنا بلا أية منفعة. والكتبة والفريسيون كانوا مذنبين بهذا الخطأ، فقد وبخهم ربنا مرة بسبب محبتهم للصلاة فى زوايا الشوارع، وبسبب الصلوات الطويلة التى كانوا يعملونها فى المجامع لكى يراهم الناس. أمّا بالنسبة للذين يريدون أن يعيشوا باستقامة، وهم شغوفون أن يمتلئوا بمحبة الله، فإنه يضع قانون الصلوات فى هذه الكلمات: "*وأمّا أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلِّ إلى أبيك الذى فى الخفاء، فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك*" (متى٦:٦). لذلك فنحن نجده فى **كل موضع يُصلى على انفراد، حتى تتعلم أنت أيضًا أنه يجب علينا أن نتحادث مع الله بذهن هادئ وقلب ساكن خالٍ من كل قلق**، لأن الحكيم بولس يكتب: "*فأريد أن يُصلى الرجال.. رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال*" (١تى ٨:٢).

لذلك، فإنه كان يصلى بينما كانوا أولئك القادمين للقبض عليه على وشك الوصول. أى إنسان ذو فهم لن يقول إن الرب قدم هذه التوسلات كأنه فى احتياج إلى قوة أو عون من آخر ــ لأنه هو نفسه قوة واقتدار الآب الكلِّى القدرة، ولكنه تصرَّف هكذا لكى نتعلم نحن منه أن نتخلى عن كل إهمال عندما تداهمنا التجربة وتضغط علينا الاضطهادات، ويحتال علينا الغادرون، ويحيكون لنا فخاخهم، ويعدون لنا شبكة الموت. هذه هى نفس وسيلة خلاصنا، أن نسهر ونجثو على ركبنا، ونقدم تضرعات متواصلة، ونسأل المعونة التى تأتى من فوق، لئلا نضعف، وبذلك نعانى من تحطم مرعب جدًا لسفينة حياتنا .

إن الشجاعة الروحية تليق حقًا بالقديسين، ولكن أولئك الذين يقاومون عنف التجارب ــ يجب أن يكون لهم ذهن راسخ لا يتراجع، لأنه من

الجهل التام أن نثق ثقة زائدة فى أنفسنا أثناء الصراعات، والذى يفكر هكذا هو مُصاب بالتفاخر والتباهى، لذلك ينبغى ـــ وأنا أكرر ـــ أن نقرن الشجاعة والصبر بتواضع الفكر، وإن تعرضنا لأية تجربة فإن ذهننا يكون مستعدًا بثبات لمقاومتها. ومع ذلك فلنسأل الله أن يعطينا القدرة على الاحتمال بشجاعة، لأننا أُمرنا أن نقول فى صلواتنا: "*ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير*" .

طريقة صلاته :

لاحظوا إذن النموذج المُقدم لكم فى شخص المسيح مخلصنا كلنا، لكى تسلكوا مثله وهيا بنا نلاحظ طريقة صلاته. إنه يقول: "*إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس*". أتنظرون كيف أن المسيح يجعل صلاته فى مواجهة التجربة بتوقير يناسب الإنسان؟ فهو يقول: "*إن شئت أن تجيز*". وتذكروا هنا أيضًا ما كتبه المغبوط بولس بخصوصه: "*الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يُخلصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه، مع كونه ابنًا تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كُمّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى*" (عب٥:٧ـــ٩). فهو كواحد منا، فإنه يسلم لإرادة أبيه أن يجرى كل ما هو مزمع أن يحدث. لذلك فإذا حدث لنا فى أي وقت وتعرضنا لصعوبات غير متوقعة ، وكان لازمًا لنا أن نحتمل أى صراع فكرى، فلنتوسل إلى الله لا أن ينتهى (الصراع) بحسب مشيئتنا، بل بالحرى فلنطلب أن يفعل ما يعرف هو أنه مناسب ولازم لمنفعة نفوسنا. "*لأننا لا نعرف ما نصلى لأجله كما ينبغى*" (رو ٢٦:٨)، بل هو مستودع جميع الخيرات وهو يعطى كل ما هو مناسب لأولئك الذين يحبونه.

إن ما قلته الآن أثق أنه يكون نافعًا لكم جميعًا، ولكن إن كان يجب أن نستنبط شرحًا آخر لهذه الصلاة، فإننا نقول أيضًا إنها توبخ شر اليهود. وسنشرح الآن كيف توبخهم. لقد سمعتم المسيح يقول: "*يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس*". فهل كانت آلامه إذن عملاً لا إرادى؟ وهل كان ضروريًا له أن يتألم، أم كان عنف أولئك الذين تآمروا ضده أقوى من إرادته الخاصة؟ نقول لكم: ليس الأمر هكذا. إن آلامه لم تكن عملاً غير إرادى، مع أنها من جهة أخرى كانت محزنة لأنها كانت تتضمن رفضًا لمجمع اليهود وملاشاته. لم تكن إرادته أن يكون إسرائيل هو قاتل ربه، لأنه بعمله هذا فإنه يعرض نفسه لدينونة متناهية الشدة، ويصير مشجوبًا ومرفوضًا من أن يكون له نصيب فى عطاياه وفى الرجاء المعد للقديسين، فى حين أنه كان يومًا ما هو شعبه الخاص، وشعبه الوحيد، ومختاره، والوريث المتبنى. إن موسى يقول عنهم: " *هوذا للرب إلهك السموات والأرض، أنت اختارك الرب من جميع الشعوب لتكون شعبه الخاص* " (تث١٠: ١٤،١٥س). لذلك فمن الصواب أن ندرك بوضوح أنه من أجل رحمته على إسرائيل كان ممكنًا أن يجيز عنه (عن المسيح) ضرورة الآلام، ولكن بما أنه لم يكن ممكنًا (للمسيح) أن لا يحتمل الآلام فإنه خضع لها أيضًا لأنه الله الآب هكذا أراد أن تحدث هذه الآلام له .

ولكن تعالوا نفحص هذا الأمر أكثر. "هل قرار الله الآب وإرادة الابن نفسه تدعوه لضرورة قبول الآلام؟ وإن كان الأمر هكذا، وإن كان ما قد قلته صحيحًا، أمّا كان من الضرورى أن يكون شخص ما هو الخائن، وأن ينحدر الإسرائيليين إلى هوة التجاسر حتى أنهم يرفضون المسيح، ويسلموه للخزى والعار بطرق متعددة ويحكموا عليه بالموت مصلوبًا؟". ولكن إن

كان هذا هكذا، فكيف نجده يقول: " *ويلٌ لذلك الرجل الذى به يُسلم ابن الإنسان، كان خيرًا لذلك الرجل لو لم يُولد؟*" (مت٢٦: ٢٤). وما هو السبب العادل الذى يؤدى إلى هلاك إسرائيل والحكم عليه بويلات الحرب؟ لأنه كيف يمكن أن يتعارض هذا مع قرار الله وأهدافه التى لا تُقاوم؟ إن الله ليس بظالم، ولكنه يزن أمور أعمالنا بحكم مقدس، فكيف إذن يعامل ما هو غير إرادى على أنه إرادى؟ لأن الله يشفق على سكان الأرض البائسين الممسوكين فى فخاخ الخطية والقابلين للموت والفساد، والخاضعين تحت يد طاغية، والمأسورين من سرب من الشياطين. لقد أرسل الله ابنه من السماء ليكون مخلِّصًا ومنقذًا، وهو الذى صار أيضًا مثلنا فى الشكل. ولكن مع أنه عرف مسبقًا ما سوف يتألم به، وأن عار آلامه ليس هو ثمر إرادته الخاصة، إلاّ أنه قَبِل أن يتحملها لكى يخلِّص (سكان) الأرض، والله الآب أراد هذا معه أيضًا بسبب شفقته ومحبته لجنس البشر، لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو٣: ١٦). لذلك فبخصوص العار (الذى لاقاه) بسبب آلامه، فإنه لم يكن يريد أن يتألم ولكن إذ لم يكن من الممكن له ألاّ يتألم بسبب قسوة اليهود وعدم طاعتهم وعنفهم غير الملجم، فإنه احتمل الصليب مستهينًا بالخزى(عب١٢: ٢) وأطاع الآب حتى الموت موت الصليب (فى ٢: ٨)، ولكنه يقول: " *إن الله رفَّعه وأعطاه اسمًا فوق كل اسم، لكى تجثو باسم يسوع المسيح كل ركبة ممن فى السماء وممن على الأرض وممن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الآب. آمين* ".

عظة ١٤٨

القبض على يسوع ـ خيانة يهوذا

لوقا٢٢: ٤٧ــ٥٣

" وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يُدعي يهوذا واحد من الاثنى عشر يتقدمهم، فدنا من يسوع ليقبله. فقال له يسوع: يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟ فلما رأي الذين حوله ما يكون قالوا: يا رب أنضرب بالسيف؟ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمني. فأجاب يسوع وقال : دعوا إلي هذا .ولمس أذنه وأبرأها .

ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه: كأنه علي لصّ خرجتم بسيوف وعصي، إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل ولم تمدوا علي الأيادي؛ ولكن هذه ساعتكم و سلطان الظلمة ."

هناك أهواء متعددة ومُرّة تحارب نفس الإنسان، وهي إذ تهاجمها بعنف لا يُحتمل، فإنها تهبط بها إلى أعمال غير لائقة، ولكن أردأ من الكل هي محبة المال التى هى أصل كل الشرور، والتى فى شباكها ــ التى لا سبيل للخلاص منها ــ وقع ذلك التلميذ الخائن، الذى قَبِل أن يكون خادماً لخداع الشيطان، وأن يصير أداة فى يد رؤساء مجمع اليهود الأشرار فى تعديهم على المسيح.

هذا هو ما تظهره لنا مرة أخرى بوضوح معنى الدروس الإنجيلية، لأن المخلص سبق ونبه الرسل القديسين أنه سوف يقبض عليه ويكابد آلامه على الصليب بيد الأثمة. كما أنه أوصاهم بأنه عندما تضغط التجربة، عليهم ألا يضجروا وألا يناموا فى وقت غير مناسب، بل بالأحرى أن

يسهروا وأن يثابروا فى الصلوات، وبينما كان لا يزال يكلمهم بهذه الأمور، إذا جمع والذى يدعى يهوذا واحد من الاثنى عشر يتقدمهم. هل ترون كيف يحزن الإنجيلى الطوباوى أو بالحرى يخور ويضعف؟ لأنه كان يود ألا يسمح لنفسه أن يبقى فى ذاكرته ذلك التلميذ الذى باع نفسه للشيطان هكذا بسهولة، حتى أنه يرفض أن يذكر اسم ذلك الأثيم، لأنه يقول: "*الذى يدعى يهوذا*" ولكن لماذا؟ أما يعلم أن هذا الرجل كان معدودًا مع المختارين، ومحسوبًا ضمن جماعة الرسل القديسين؟ ولكن كما قلت لكم للتو، أنه كان يكره حتى اسمه، لذلك كتب التعبير: "*الذى يدعى يهوذا*".

كما أنه يضيف إلى ذلك أنه أحد الاثنى عشر، وهذا أيضاً أمر له أهمية عظيمة ليُظهر بوضوح تام شناعة جريمة الخائن. لقد كان معادلاً فى الكرامة للباقين، وكان مزينا بكل الكرامات الرسولية، ولكن هذا المختار والمحبوب، والذى تلطف الرب وأدخله إلى المائدة المقدسة وإلى أعلى الكرامات، صار الواسطة والوسيلة لقتلة المسيح. أى نوح يكفيه أى فيض من الدموع يلزم على كل واحد أن يذرفه من عينيه عندما يفكر من أى سعادة سقط هذا البائس إلى مثل هذا الشقاء التام! لأجل فلس لا قيمة له توقف عن أن يكون مع المسيح، وفقد رجاؤه فى الله وفقد الكرامة والأكاليل والحياة، والمجد المعد لأتباع المسيح الحقيقيين، وفقد أحقيته فى أن يملك معه.

قد يكون من الجدير بالذكر أن نرى ما هى حيلته. لقد أعطى لأولئك القتلة علامة قائلاً: "*الذى أقبله* هو". لقد نسى تماماً مجد المسيح، وفى غباته المطبق ربما تصور أنه سوف يظل مستتراً عندما يعطى المسيح قُبلة، التى هى علامة المحبة ــ بينما كان قلبه ممتلئاً من المرارة والخداع

الشرير. وحينما كان مع الرسل الآخرين في صحبة المسيح مخلصنا جميعًا في رحلاته، سمعه مراراً وهو يخبر مسبقاً عماً سوف يحدث، ولأنه هو الله بالطبيعة، فقد عرف كل شئ، وقد أوضح له خيانته بجلاء إذ قال لرسله الأطهار: " *الحق أقول لكم: إن واحد منكم يسلمني*" (مت٢٦:٢١). فكيف يمكن إذا لمقاصد يهوذا ونواياه أن تظل غير معروفة؟ لا، إن الحية كانت هناك داخله وتحارب ضد الله، وكان هو مسكناً للشيطان، لأن واحداً من البشيرين القديسين يقول بخصوصه، إنه بينما كان المخلص متكئاً على المائدة مع باقى التلاميذ، فإنه أعطاه لقمة بعد أن غمسها فى الصحفة:" *فبعد اللقمة دخله الشيطان*" (يو١٣:٢٧). إنه اقترب من المسيح وكأنه أداة للخداع والخيانة والغدر، فإنه تظاهر بعاطفة غير عادية، لذلك فالمسيح أدانه بكل قوة وعن حق بقوله : " *يا يهوذا أ بقبلة تسلم ابن الإنسان؟*" ويقول متى إن الخائن عندما اقترب من المسيح مخلصنا جميعاً، فإنه قبله، وأضاف: " *السلام يا سيدى*" (مت٢٦:٤٩). كيف تقول "السلام" للذى صار عن طريقك فريسة للموت، كيف يمكن أن تتم هذه الكلمة فعلاً. فنحن نرى أن بسبب أن ذلك ــ أى الشيطان ــ كان داخله، فإنه استخدم الكذب حتى فى قوله: " *السلام* ". وبسبب هذه الأعمال يقول النبى فى موضع ما: " *لسانهم سهم نافذ، كلام فمهم خداع، يكلم صاحبه بسلام وفى قلبه عداوة*" (إر٩:٨ س).

وعلاوة على ذلك يجب أن نتذكر ما كتبه يوحنا الإلهى بخصوص هذا الحدث، لأنه يقص أن جند اليهود اقتربوا ليقبضوا على يسوع، فخرج ليقابلهم وقال لهم: من تطلبون؟ فلما أجابوه: يسوع الناصرى، فإنه أسلم نفسه إلى أيدى أولئك القتلة قائلاً:" *أنا* هو" (انظر يو١٨:٣ــ٨). ولكن يقول

الكتاب: "فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء." إذن ما هو الهدف من هذا ؟ ولأى سبب سلم المخلص نفسه إليهم بينما هم سقطوا عندما سمعوه يقول إنى أنا هو ؟ كان هذا لكى يتعلموا أن آلامه لم تحدث له بدون إرادته الخاصة، ولم يكونوا يستطيعون أن يمسكوه لو لم يكن راضياً أن يأخذوه. فهم لم يمسكوا المسيح بفعل قوتهم الخاصة وبذلك أحضروه إلى الحكام الأشرار بل هو الذى سلم نفسه لكى يتألم عارفاً تماماً أن آلامه على الصليب هى لأجل خلاص العالم كله.

والتلاميذ المطوبون، بسبب غيرتهم الشديدة أخرجوا سيوفهم ليدفعوا الهجوم، ولكن المسيح لم يسمح لهم بهذا بل وبخ بطرس قائلاً: "*اجعل سيفك فى غمده، لأن كل الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون*" (مت٢٦: ٥١). هنا يعطينا المسيح أيضاً نموذجاً للطريقة التى يجب أن نضبط بها حبنا له، وللحد الذى ينبغى أن تبلغ إليه غيرتنا الحارة للتقوى. فهو لا يريدنا أن نستخدم سيوف نقاوم بها أعدائنا، بل بالحرى نستخدم المحبة والحكمة، وبهذه الطريقة ينبغى أن ننتصر على الذين يقاوموننا. وبالمثل فإن بولس يعلمنا قائلاً: " *هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح*" (٢كو١٠: ٥)، لأن الحرب لأجل الحق هى حرب روحية، والدرع الكامل الذى يليق بالقديسين هو درع عقلى ومملوء من المحبة لله، " *لأنه يجب أن نلبس درع البر وخوذة الخلاص حاملين فوق الكل ترس الإيمان وسيف الروح الذى هو كلمة الله*" (انظر أف٦: ١٤ـــ ١٧). وهكذا فإن المخلص يهدئ من انفعال الرسل القديسين الشديد، وحتى يمنع أن يكون عملهم هذا مثلاً (يحتذى به)، فهو يعلن أن رؤساء ديانته لا يحتاجون إلى سيوف مهما كان الأمر، ثم أنه شفى بقدرته الإلهية هذا الذى

أتت عليه الضربة، معطياً لأولئك الذين أتوا ليمسكوه هذه العلامة الإلهية أيضاً لأجل إدانتهم. ولكي يوضح أنه لا يستطيع أحد أن يسيطر على قوته وإرادته، يقول: " *كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني؟ إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا عليّ الأيادي*". هل المسيح يلوم بهذا رؤساء اليهود لأنهم لم يمسكوه قبل الآن؟ ليس هذا هو المعنى الذي يقصده، ولكن يقصد أن يقول: بينما كان من السهل عليكم أن تأخذوني، إذ كنت معكم كل يوم أعلم في الهيكل، فإنكم لم تقبضوا عليّ. لماذا؟ لأنني لم أكن قد أردت بعد أتألم. ولكني بالحرى كنت أنتظر الوقت المناسب لآلامي، وهذا الوقت قد حان الآن، فلا تجهلوا أن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة، أي أنها هي فترة وجيزة ومنحت لكم فيها سلطان عليّ، ولكن كيف أُعطيت لكم. نعم أعطيت لكم بإرادة الأب المتفقة مع إرادتي. لأنني أردت لأجل خلاص وحياة العالم أن أخضع نفسي للآلام، لذلك فلكم ساعة واحدة ضدي، إنها قصيرة جداً ولوقت محدد، وهي الفترة فيما بين الصليب الثمين والقيامة من الأموات، وهذا أيضاً هو السلطان الذي أعطي للظلمة، ولكن الظلمة هي اسم الشيطان لأنه هو الليل والظلام الدامس، وعنه يقول أيضاً المبارك بولس: " *إله هذا الدهر قد أعمي أذهان غير المؤمنين لئلا تضيئ لهم إنارة إنجيل* مجد *المسيح*" (٢كو ٤: ٤). فالسلطان إذن قد أعطي للشيطان واليهود ليقوموا ضد المسيح، ولكنهم حفروا لأنفسهم هوَّة الهلاك، لأنه بواسطة آلامه خلَّص جميع من هم تحت السماء، وقام في اليوم الثالث بعد أن وطأ تحت قدميه مملكة الموت، أما هم فقد جلبوا علي رؤوسهم الدينونة المحتمة في صحبة ذلك التلميذ الخائن. لذلك دعهم يسمعون الروح القدس وهو ينطق بصوت المرنم: "*لماذا ارتجت الشعوب وتفكرت الأمم بالباطل؟*

قامت ملوك الأرض والرؤساء وتآمروا علي الرب وعلي مسيحه"، ولكن ماذا بعد ذلك؟ " *الساكن في السموات يضحك بهم ، والرب يستهزئ بهم*" (مز٢: ١ــ٤س). إن هؤلاء القوم التعساء قد ورطوا أنفسهم في جريمة قتل ربهم، أما نحن فنمجد ونسبح ربنا يسوع المسيح كمخلص ومنقذ لنا، هذا الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة ١٤٩

إنكار بطرس

لوقا٢٢: ٥٤ــ٦٢

" فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة وأما بطرس فتبعه من بعيد. ولما أضرموا نارًا في وسط الدار وجلسوا معًا جلس بطرس بينهم، فرأته جارية جالسًا عند النار فتفرست فيه وقالت: وهذا كان معه، فأنكره قائلاً لست أعرفه يا امرأة. وبعد قليل رآه آخر وقال وأنت منهم فقال بطرس: يا إنسان لست أنا. ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلاً: بالحق إن هذا أيضًا كان معه لأنه جليلي أيضًا، فقال بطرس: يا إنسان لست أعرف ما تقول. وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك، فالتفت الرب ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له: إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات، فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاءً مرًا."

من أجل أن نكون حذرين فى أى عمل مقدس نباشره، فإن ربنا يسوع المسيح يوصينا أن نقدّم باستمرار تضرعات وتوسلات، وأن يكون جزء من صلواتنا أن نطلب: " *لا تدخلنا فى تجربة* "، وذلك لأن عنف التجارب يكون فى الغالب كافيًا أن يهزّ حتى الذهن الثابت تمامًا، وأن يذل إلى درجة الترنح، وأن يُعرّض إلى أهوال لا حدّ لها حتى الإنسان الشجاع والقوى القلب. كان هذا هو نصيب التلميذ المختار أن يذوقه، وأنا أقصد به هنا القديس بطرس، لأنه قد ثبت ضعفه وأنكر المسيح مخلّصنا كلنا، وهذا الإنكار لم يرتكبه مرة واحدة فقط بل ثلاث مرات وبقسم، لأن القديس متى يقول: " *فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل* " (مت٢٦: ٧٤). هناك البعض يريدون أن يقنعونا أن ما حلف به التلميذ قُصِدَ أنه لم يكن

يعرف المسيح كمجرد إنسان فقط، ولكن حجتهم تسقط، رغم أن هدفهم من هذا هو أن يلتمسوا عذرًا محبةً منهم للتلميذ، لأنه إن كان قد أقسم كما يقولون إنه لا يعرف أن يسوع كان إنسانًا، فماذا يكون هذا سوى إنكار لسر التدبير الإلهى الخاص بتجسده ؟ لأنه يعرف أن كلمة الله الابن الوحيد صار مثلنا، أى أنه صار إنسانًا، وهو قد اعترف جهارًا قائلاً : "*أنت هو المسيح ابن الله الحى* " (مت١٦:١٦)، وهو لم يقصد بقوله هذا أن يؤكد أنه لكونه مثلنا فهو ابن الله، ولكن ليؤكد أن الذى يراه واقفًا (وسط التلاميذ) فى حدود الطبيعة البشرية هو الكلمة الذى يفوق كل شئ مخلوق، وهو الذى خرج من جوهر الله الآب. أقول ــ ومع ذلك ــ فإنه لم يتحاشى الاعتراف والإقرار به أنه هو ابن الله الحى ، لذلك فإنه يصير من المنافى للعقل أن نفترض أنه رغم كونه يعرف سر التدبير الإلهى للتجسد، فإنه لا يعرف أن المسيح إنسان . ولكن ما هى الحقيقة إذن ؟

كان بطرس فى الواقع ضعيفًا. لأنه لا يمكن أن يكون عبثًا أن يقول المسيح محذرًا : " *قبل أن يصيح الديك سوف تنكرنى ثلاث مرات*"، كما أنه ليس صوابًا أن نقول إن الإنكار حدث كى يتحقق كلام المسيح، ولكن هدفه هو أن يحذر التلميذ نظرًا لأن ما هو مزمع أن يحدث لا يخفى عن معرفته. ولكن هذه البلية وقعت للتلميذ بسبب جُبن الطبيعة البشرية، فإنه بسبب أن المسيح لم يكن قد قام بعد من الأموات، ولم يكن الموت قد أُبيد بعد ولا أُزيل الفساد، فإن مجابهة الموت كانت لا تزال أمرًا يفوق احتمال البشر. وكما قلت إن هذا الفعل التعس قد حدث بسبب علة الجُبن البشرى، وأن التلميذ أُدين من ضميره الشخصى، فهذا قد تبرهن ببكائه بعد ذلك مباشرة، وبدموعه التى انهمرت من عينيه، كما لو كانت بسبب خطية ثقيلة

كعلامة لتوبته، لأن الكتاب يقول إنه بعد أن نظر إليه يسوع، وتذكر بطرس ما كان قد قاله له : "*فإنه خرج إلى خارج وبكى بكاءً مُرًا* ".

إنه يناسبنا بعد ذلك أن نلاحظ بأى طريقة قد غُفرت خطيته، وكيف طُرح عنه ذنبه، لأن هذه الحادثة تبيّن أن لها منفعة ليست بقليلة لنا. إنه لم يؤجل توبته، ولا كان مهملاً لها، وكما كان سقوطه فى الخطيئة سريعًا جدًا، هكذا كانت دموعه سريعة بسببها؛ كما أنه لم يبكِ فقط ولكن بكى بمرارة، ومثل شخص قد سقط، فإنه نهض بشجاعة مرة أخرى، لأنه كان يعرف أن الله الرحيم يقول فى موضع ما بفم واحد من الأنبياء: "*من يسقط ألا يقوم؟ ومن يرتد ألا يرجع؟*" (إر٨:٤س). لذلك ففى عودته لم يفقد الهدف، لأنه استمر على نفس الوضع الذى كان عليه سابقًا، أى تلميذًا حقيقيًا؛ لأنه عندما حذره المسيح أنه سوف ينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك، فإنه أيضًا نال رجاء الغفران، لأن كلمات المسيح له كانت: "*وأنت متى رجعت ثبّت إخوتك*" إن مثل هذه الكلمات تخص شخصًا يجهزه مرة ثانية ويعيده إلى الصلاحيات الرسولية، لأنه استأمنه ثانية إذ أسند إليه مهمة تثبيت الإخوة، الشيء الذى عمله أيضًا .

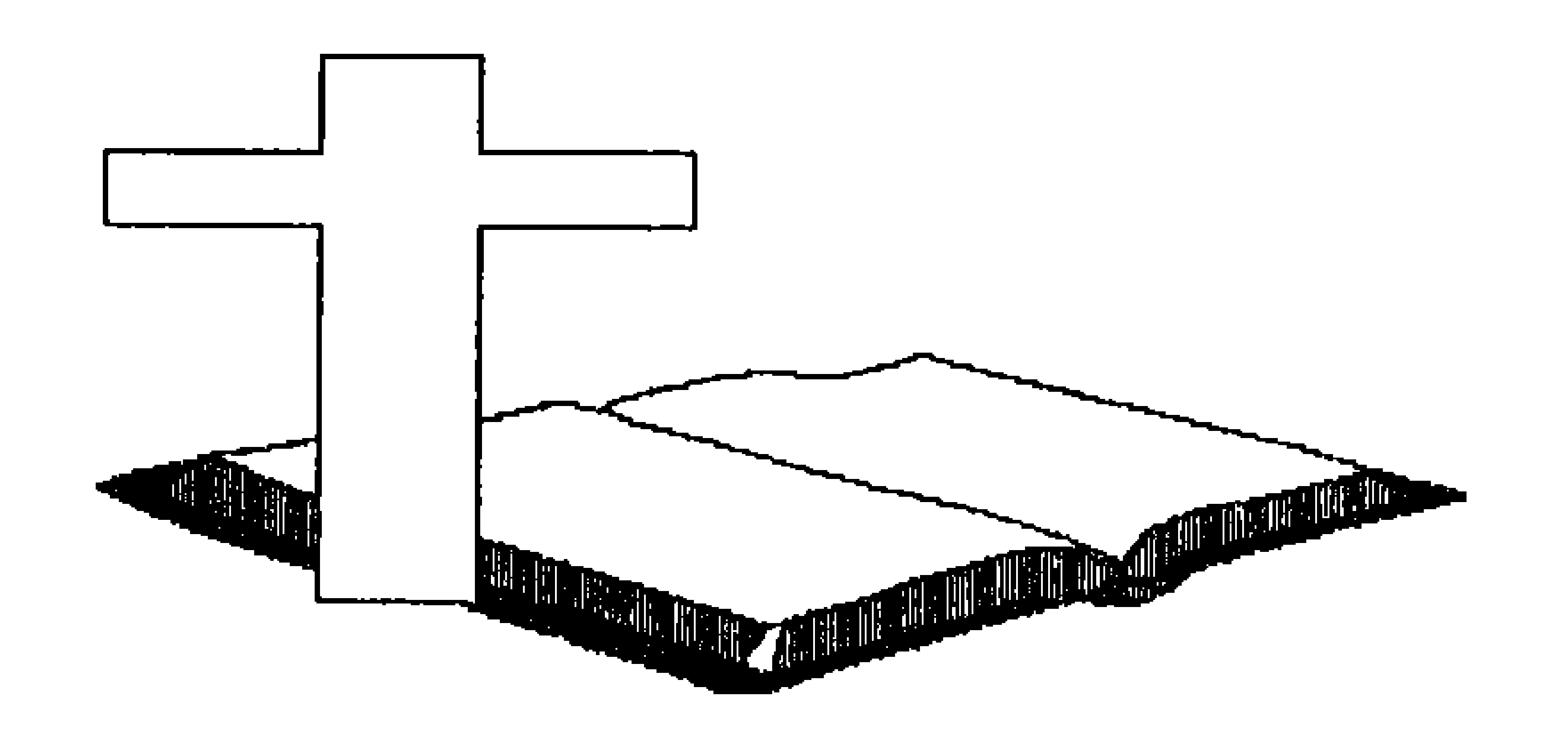
ونقول أيضًا، إنه رغم أننا عرفنا عن سقطات القديسين من الكتب المقدسة، فهذا ليس لكى نسقط فى فخاخ مماثلة بسبب إهمالنا للثبات الواجب، إذا حدث أننا ضعفنا (أى سقطنا) عن ما هو ضرورى للخلاص، فلا ينبغى أن نيأس من أن نكون قادرين مرة أخرى على الصعود إلى حالة الثبات، وهكذا نستعيد صحتنا بعد مرض لم يكن متوقعًا. إن الله الرحوم قد منح لسكان الأرض التوبة كدواء للخلاص، ولا أعلم كيف أن أناسًا

يحاولون أن يستعفوا منها قائلين إننا أنقياء، وفى جنونهم العظيم لا يفهمون أن إضمارهم مثل هذه الفكرة عن أنفسهم هو أمر مملوء من كل نجاسة، لأنه مكتوب: " *ليس إنسانًا خاليًا من الدنس*" (أم٢٠:٩س)، وبجانب هذا نقول: إن هذا يُغضب الله أن نتخيل أننا خالين من كل نجاسة، لأننا نجده يقول لأحد هؤلاء الذين يحيون حياة دنسة: " *هاأنذا أحاكمك لأنك قلت لم أخطئ، وأنت قد ازدريت جدًا بتكرارك لطرقك* " (إر٢:٣٥، ٣٦س)، لأن تكرار السلوك فى الخطية هو بالنسبة لنا أننا عندما نباغت بالخطايا (ونقع فيها) نرفض التصديق أننا مذنبون بالنجاسة التى تنشأ منها .

إنهم يقولون: " *نعم إن رب الكل يصفح عن خطايا أولئك الذين لم يعتمدوا بعد، ولكن ليس الأمر هكذا بالنسبة لأولئك الذين دخلوا إلى نعمته*" ماذا نقول عن هذا ؟ إن كانوا يقدمون قوانين بحسب أوهامهم، فإن كلماتهم لا تعنينا كثيرًا، أما إن كانوا يستشهدون بالكتب الإلهية المُوحى بها، فمتى ذُكر فيها أن إله الكل غير رحيم؟ ليتهم يسمعونه وهو يصيح عاليًا: " *حدث بآثامك الأولى لكى تتبرر*" (إش٤٣:٢٦س)، وليتهم يتذكرون الطوباوى داود الذى يقول فى المزامير: " *هل ينسى الله رأفة وهو يجمع مراحمه فى غضب؟*" (مز٧٦:٩س) وأيضًا: " *قلت أعترف للرب بذنبى وأنت غفرت آثام قلبى*" (مز٣٢:٥س)، وبجانب هذا، يلزم ألاّ ينسوا أنه قبل أن يُقبض على المسيح، وقبل أن ينكره بطرس، كان شريكًا فى جسد المسيح ودمه الثمين، لأنه: " *أخذ الخبز وبارك وكسر وأعطاهم قائلاً: خذوا هذا هو جسدى، وبنفس الطريقة أيضًا أخذ الكأس قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد*" (راجع مت٢٦:٢٦ـ٢٨). لاحظوا إذن بوضوح أنه بعد أن صار شريكًا فى العشاء السرى، فإنه وقع فى الخطية،

ونال غفران عند توبته. دعهم إذن لا يجدون نقصًا فى لطف الله، دعهم لا يفكرون بازدراء فى محبته للجنس البشرى، ولكن تذكروا هذا الذى يقول بوضوح : "*شر الشرير لا يضره فى يوم رجوعه عن شره*" (حز٣٣: ١٢ س). فما دام الله قد أعطانا الهداية فى أى يوم يريد الإنسان فيه أن يمارسها (التوبة)، فلماذا لا يكللون بالأحرى بمدائح الحمد هذا الذى يساعدهم بدلاً من أن يعارضوه بتمرد وبغباوة؟ إنهم بفعلهم هذا يجلبون الدينونة على رؤوسهم، ويُحضرون إلى أنفسهم غضبًا محتومًا. لأن الله الرحوم لا يتوقف عن أن يكون هكذا، حيث إن صوت النبى يقول: "*إنه يُسرُّ بالرأفة* " (ميخا ٧: ١٨).

فليتنا إذن نجاهد بكل قدرتنا كى لا نقع فى خطية ، وليت يثبت فينا بلا تغيير حب راسخ مخلص للمسيح، ونقول بكلمات المغبوط بولس: " *من سيفصلنى عن محبة المسيح ؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف؟*" (رو٨: ٣٥). ولكن إن هاجمتنا التجربة بعنف وثبت أننا ضعفاء، فدعنا نبكى بمرارة ونسأل الغفران من الله، لأنه يشفى أولئك النادمين المنسحقين ويقيم الساقطين، ويمد يده المخلِّصة لأولئك الذين ضلّوا، لأنه هو مخلص الكل، الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٥٠

المحاكمة فى مجلس اليهود

لوقا٢٢: ٦٣ــ٧١

" والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين: تنبأ من هو الذي ضربك؟ وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين.

ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسًا عن يمين قوة الله، فقال الجميع: أ فأنت ابن الله فقال لهم أنتم تقولون إني أنا هو، فقالوا ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه " .

فليقل النبى إرميا هنا أيضًا عن جنس إسرائيل: " *يا ليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فأبكى نهارًا وليلاً لأجل هذا الشعب؟* " (ار ٩: ١س). أىّ نواح يمكن أن يكفى لأجل أولئك الذين سقطوا فى هوة الهلاك بسبب تصرفهم الشرير ضد المسيح، وبسبب جرمهم العظيم جدًا، حتى أنهم لم يحزنوه فقط بالكلمات وبسخريتهم عليه بصرخات ممتلئة تجديفًا، بل إنهم أمسكوه بأيديهم الآثمة وأعدوا له فخ الموت؟. وهكذا عاملوه بغطرسة، وبشرّهم جعلوه تسلية لهم، بل إنهم أيضًا تجرأوا أن يضربوه، لأننا هكذا قد سمعنا اليوم البشير القديس يقول: " *والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه، قائلين : تنبأ من هو الذى ضربك!..* " أما هو " *فإذ شُتم لم يكن يشتم عوضًا، وإذ تألم لم يكن يُهدد بل كان يُسلّم لمن*

يقضى بعدل" (١بط٢:٢٣). حسنًا، لذلك يجب أن ننطق بما قاله واحد من الأنبياء عن بعض الناس: " *السموات دُهشت من هذا، وارتعدت جدًا يقول الرب*" (إر٢:١٢س)، ذلك لأن سيد الأرض والسموات، خالق الكل وصانعهم، ملك الملوك ورب الأرباب، الفائق العظمة والمجد والجلال، المؤسِّس كل الأشياء، الذى فيه يقوم الكل ويثبت، لأن " *فيه تقوم كل الأشياء* " (كو١:١٧)، ذلك الذى هو حياة كل الأرواح المقدسة فى السماء، صار يُزدرى به ويُحتقر كواحد مثلنا، وهو بصبر يحتمل الضربات، ويخضع لسخرية الأشرار، ويعطينا نفسه مثالاً كاملاً لطول الأناة، أو بالأحرى يُظهر لطفه الإلهى الذى لا يقارن فى عظمته.

وربما قد احتمل المسيح ذلك لكى يوبِّخ ضعف أذهاننا، ولكى يبين أن أمور الناس تقع بعيدًا جدًا تحت الكمالات الإلهية، بمقدار ضعف وصغر طبيعتنا بالنسبة لطبيعته، لأننا ونحن الأرضيين، مجرد فساد ورماد، نهاجم فى الحال أولئك الذين يضايقوننا، إذ لنا قلب ممتلئ بالعنف كوحوش ضارية. أما ذلك الذى له طبيعة ومجد يفوقان حدود إدراكنا وقوة تعبيرنا، فقد احتمل بصبر أولئك الجنود الذين لم يسخروا به فقط بل وأيضًا جلدوه، لأن (البشير) يقول: " *وبعدما عصبوا عينيه وضربوه بعد ذلك، فإنهم سألوه قائلين : تنبأ من هو الذى ضربك ؟*". لقد سخروا منه كما لو كان شخصًا جاهلاً هذا الذى هو مانح كل معرفة، والذى يرى الخفيات التى فينا، لأنه يقول فى موضع ما بواسطة واحد من الأنبياء القديسين: " *من الذى يخفى مشورة عنى، ومن الذى يغلق على كلمات فى قلبه ويظن أنه يخبئها عنى*" (أى٣٨:٢س). فالذى يفحص القلب والكُلى والذى يمنح كل نبوة، كيف لا يقدر أن يعرف من الذى ضربه؟ لكن كما قال الرب نفسه: الظلمة قد

أعمت عيونهم، وعميت أذهانهم (انظر يو١٢: ٤٠)، لذلك يمكن أن يُقال عنهم أيضًا: "*ويل للسكارى وليس من خمر!*" (إش٢٩: ٩س)، "*لأن جفنتهم من جفنة سدوم ومن كروم عمورة* " (تث٣٢: ٣٢س).

وبعدما اجتمع مجمعهم الشرير فى الفجر، فإن الذى هو رب موسى ومرسل الأنبياء، بعدما استهزأوا به عن غير وجه حق، أحضروه فى الوسط وسألوه إن كان هو المسيح؟ يا أيها الفريسى عديم الفهم، إن كنت تسأل لأنك لا تعلم، فكان يجب عليك ألاّ تحزنه إلى أن تعرف الحقيقة ـــ لئلا تكون بذلك قد أحزنت الله. ولكن إن كنت تتظاهر بالجهل بينما تعلم الحقيقة أنه هو المسيح، فكان يجب عليك أن تسمع ما يقوله الكتاب المقدس: "*الله لا يشمخ عليه* " (غل٦: ٧).

ولكن أخبرنى لماذا تسأله وتريد أن تعلم منه إن كان هو المسيح؟ إنه من السهل للغاية أن تحصل على معرفة عنه من الناموس والأنبياء. فتش فى كتب موسى فسوف تراه موصوفًا بطرق متنوّعة. إنه ذُبح كحمل وقهر المُهلك بدمه، وسبق ورُمز إليه أيضًا بأشكال أخرى كثيرة. افحص أيضًا كتابات الأنبياء، سوف تسمعهم يعلنون عن معجزاته الإلهية العجيبة. إنهم يقولون: "*حينئذٍ تتفتح عيون العمى، وآذان الصم سوف تسمع، حينئذ يقفز الأعرج كالأيّل ولسان الخرس يصبح مستقيمًا*" (إش٣٥: ٥س)، "*وأيضًا الموتى يقومون والذين فى القبور يستيقظون لأن طلّك يشفيهم*" (إش٢٦: ١٩س). لذلك إن كنتم أنتم أنفسكم ترون أن تحقيق النبوات يتم بوضوح بخصوصه، فلماذا لا تعترفون به بالحرى بسبب معجزاته الإلهية التى تشهد له، وبسبب أعماله فائقة الوصف؟ وهذا أيضًا ما قاله المسيح نفسه لكم :

" *الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى*" (يو ٥: ٣٦)، وأيضًا: "*لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى*" (يو ١٥: ٢٤). لذلك فإن رؤساء اليهود والشعب الذى تحت رعايتهم كانوا فى الحقيقة غير مؤمنين وبدون فهم بكل معنى الكلمة.

كما أظن أيضًا أنه يلزمنا أن نفحص الكلمات التى استخدمها المسيح، لأنها كانت توبيخًا للنقص فى محبة الله، وهو ما كان الكتبة والفريسيون مذنبين فيه. لذلك فإنهم عندما سألوه إن كان حقًا المسيح، وأرادوا أن يعرفوا هذا الأمر بعينه، فإنه أجابهم قائلاً: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبوننى. تعالوا إذن ودعونى أشرح لكم، كأناس يُسرّون بأن يتعلموا، ماذا كانت المناسبة التى سمعوا فيها ولم يؤمنوا، وما هى المناسبة التى صمتوا فيها عندما سُئلوا. عندما صعد المسيح إلى أورشليم وجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرًا وغنمًا وحمامًا والصيارف جلوسًا، يقول الكتاب إنه صنع سوطًا من حبال وطرد الجميع من الهيكل وقال: "*ارفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة*" (يو ٢: ١٣ــ١٦)، وبسبب أنه دعا الله أباه، فإن أولئك الذين كانوا يقدمون الذبائح فى الهيكل تذمروا وهاجموه قائلين: بأى سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟ فأجاب يسوع وقال لهم: "*وأنا أيضًا أسألكم كلمة واحدة، فإن قلتم لى عنها أقول لكم أنا أيضًا بأى سلطان أفعل هذا. معمودية يوحنا من أين كانت، من السماء أم من الناس؟!*" ويقول الكتاب إنهم "*فكَّروا فى أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به، وإن قلنا من الناس نخاف من الشعب*

لأن يوحنا كان عند الجميع مثل نبى، فأجابوا وقالوا: لا نعلم. فقال لهم المسيح: ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا " (انظر مت٢١: ٢٣ــ٢٧).

وسألهم فى مناسبة أخرى: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو ؟ قالوا له ابن داود، فقال لهم الرب بعد ذلك: فكيف يدعوه داود بالروح ربًّا قائلاً : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئًا لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربًّا فكيف يكون ابنه؟ وفى هذه المناسبة أيضًا فإنهم سكتوا (انظر ٢٢: ٤١ــ٤٦). وهكذا ترون أن المسيح يتكلم بالصواب عندما يقول : " *وإن سألتكم لا تجيبوننى*".

كما أنكم سوف ترون أيضًا أن الإعلان الآخر هو صحيح أيضًا مثل الأول، وهو ما يلى: " *إن قلت لكم لا تصدِّقون*"، لأن المغبوط يوحنا البشير يكتب أنه كان عيد التجديد فى أورشليم وكان شتاء، " *وكان يسوع يتمشى فى رواق سليمان، فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تُعلِّق أنفسنا، إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرًا، فأجابهم يسوع: إنى قلت لكم ولستم تؤمنون، الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى، ولكنكم لستم تؤمنون*" (يو١٠: ٢٢ــ٢٦).

ولكى يجعل دينونتهم أكثر قساوة، أقصد فيما يتعلق برفضهم الإيمان به، فإنه يضع مجده أمامهم بوضوح ويقول : " *منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسًا عن يمين قوة الله*". إنه يقول: عندما كنت فى الشكل مثلكم، مع أننى بالطبيعة والحق ابن الله الآب، فأنتم لم تعتبرونى. ولكن كيف لا يكون من الصواب أن الطريقة الممتازة للتدبير فى الجسد لا تغيب عن انتباهكم نظرًا لأنكم متعلِّمون من الناموس ومتربُّون على كتابات موسى، بل هل كانت

تنبؤات الأنبياء القديسين غير معروفة لديكم؟! ولكن حيث أنكم جعلتم أنفسكم بهذا المقدار من عدم المعرفة، وامتلأتم من الجهل المطبق، ولم تتعرّفوا على السر الخاص بى، فإننى أخبركم بالضرورة أنه سوف تُمنح لكم فرصة قصيرة ضيّقة لكبريائكم وخبثكم ضدى إلى (وقت) صليبى الثمين. لأنه بعد هذا مباشرة سوف ألتحف بالكرامة وأصعد إلى المجد الذى كان لى منذ البدء، بل وحتى وأنا متجسد فأنا مشترك مع الله الآب فى عرشه، وأملك كل سلطان على الكل، رغم أنى لبست شبهكم. وحينما كان المسيح يتكلم هكذا، فإن جماعة الفريسيين التهبوا بغضب لا يُضبط، وأمسكوا بالعبارة كحجة على التجديف، واتهموا الحق نفسه! وقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا كلماته. ماذا سمعتموه يقول أيها الرجال. يا عديمى الفهم والأردياء، لقد أردتم ان تعرفوا إن كان هو المسيح، وهو عرّفكم إنه هو بالطبيعة وبالحق ابن الله الآب، ويشترك معه فى عرش الألوهة، لذلك كما اعترفتم أنكم لا تحتاجون بعد إلى شهادة لأنكم سمعتموه يتكلم؛ فكان يجب أن تعلموا جيدًا أنه هو المسيح؛ ولكان هذا سوف يدلكم على الطريق إلى الإيمان، وتكونون من بين أولئك الذين يعرفون الحق. أما هم فلكونهم جعلوا طريق الخلاص مناسبة لهلاك أنفسهم فإنهم لم يفهموا، وبحماقة وعدم فهم قتلوه. واحتفظوا بهدف واحد من جهة الازدراء بالشريعة، وتغاضوا تمامًا عن الأوامر الإلهية، لأنه مكتوب : " *البرئ والبار لا تقتلوه*" (خر٢٣:٧س)، ولكنهم ــ كما قلت لكم ــ لم يراعوا على الإطلاق أيًا من الأوامر المقدسة، ولكنهم اندفعوا إلى أسفل كما ينزلون إلى منحدر شديد ليسقطوا فى أشراك الهلاك.

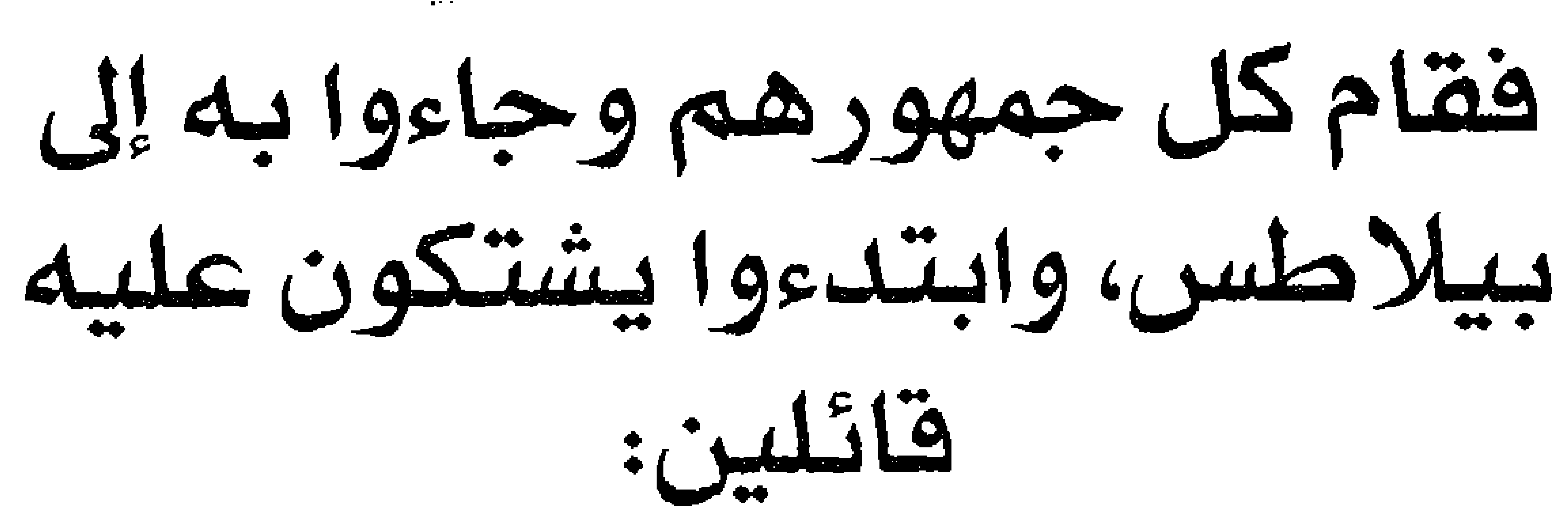
كان هذا هو سلوكهم، وأما نحن فنقدّم تسابيحنا لله الكلمة الذى صار إنسانًا لأجل خلاصنا، الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.





الإصحاح الثالث والعشرون





فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس، وابتدءوا يشتكون عليه قائلين:

الإصحاح الثالث والعشرون

عظة ١٥١

تسليم يسوع إلى بيلاطس

لوقا٢٣: ١ــ٥ ، ١٨ــ١٩

" فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس، وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يُفسد الأمة ويمنع أن تُعطى الجزية لقيصر قائلا إنه هو مسيح ملك. فسأله بيلاطس قائلاً : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه قائلاً: أنت تقول. فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع، إنى لا أجد علّة فى هذا الإنسان. فكانوا يشدّدون قائلين : إنه يُهيّج الشعب وهو يُعلّم فى كل اليهودية مبتدئًا من الجليل إلى هنا[1]... فصرخوا بجملتهم قائلين : خذ هذا وأطلق لنا باراباس، وذاك كان قد طُرح فى السجن لأجل فتنة قد حدثت فى المدينة وقتل " .

يا إخوتى، إن غباوة القلب وعدم الفهم هما مرض مشين يصحبه اختراع أفكار وضيعة، كثيرًا ما تقود البشر لكل ما هو شرير، بل وكثيرًا ما تجعلنا نخطئ ضد مجد الله. وهذا ما يمكن أن نراه بالنسبة لوضع مجمع اليهود، لأنهم أخطأوا ضد المسيح، ولذلك قاسوا كل بؤس، إذ أُدينوا بقضاء عادل من الله لنفس المصير الذى جلبوه على ذاك الذى كان يمكن أن

[1] النص السريانى يحذف الأعداد ٦ــ١٧ ويقرّب الأحداث الروائية معًا، حيث أن هذه الأعداد ذُكرت داخل صلب العظة، وفيما بعد فهى تعبُر (تتخطى) الأعداد ٢٠ــ٢٣، التى منها تقتبس العدد ٢١ فقط.

يقيمهم إلى الحياة. ولأنهم جاءوا بيسوع إلى بيلاطس لذلك هم أنفسهم أيضًا سُلِّموا لعساكر الرومان الذين استولوا على كل أراضيهم وجعلوهم أسرى، كما اقتحموا مدينتهم التى كانت سابقًا المدينة المقدسة والمجيدة، وجعلوا سكانها فريسة للسيف والنار، ولذلك تحققت فيهم نبوات الأنبياء القديسين، لأن واحدًا منهم يقول: "*ويل للشرير، شرور سوف تحدث له بحسب أعمال يديه*" (إش٣:١١س)، ويقول آخر: "*كما فعلت يُفعل بك، عملك يرتد على رأسك*" (عوبديا١٥).

لكن دعنا نرى ماذا كان نوع شرّهم، وماذا أيضًا قالوا لبيلاطس عندما صاغوا اتهاماتهم ضد المسيح مخلِّصنا كلنا. "*إننا وجدنا هذا يُفسد شعبنا ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر، ويقول عن نفسه إنه هو مسيح ملك*". ولكن أنتم باشرتم محاكمته منذ وقت قليل مضى، ولم تثيروا مثل هذه القضايا، لكنكم سألتموه فقط إن كان هو المسيح. فهذا ما كنتم تسعون إلى معرفته، وبخلاف هذا لم تسألوه عن أى شئ آخر على الإطلاق. وهو فى رده على أسئلتكم سعى أن يبين أنه هو المسيح وأيضًا أنه هو بالطبيعة والحقيقة ابن الله الآب، لأنه قال: "*من الآن تُبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة*" (انظر مت٦٤:٢٦). أرجوكم أن تُخبرونى مَن الذى يحق له أن يجلس مع الآب إلا الذى هو الابن بالطبيعة؟ لأنه لا يمكن لمخلوق على الإطلاق أن يتحدث عن جلوسه على عرش الألوهة، لأن كل كائن مخلوق يوضَع تحت قدمى الطبيعة الإلهية الفائقة التى تسود الكل وتتسامى على كل ما خُلق. الله الآب وحده هو الذى يجلس على العرش عاليًا ومرتفعًا، ويشاركه ابنه فى عرشه، وهو الكائن دائمًا معه، ومولود منه بالطبيعة. لذلك فقد حصلتم بسؤالكم هذا على التأكيد الكامل بأنه هو المسيح، لكن فى تلهُّفكم على أن

تتّهموه بالتجديف قد أعلن لكم مجده، فقلتم ما حاجتنا بعد إلى شهود لأننا نحن سمعنا من فمه. فكيف تتناسون هذا أو بالأحرى تتجاوزون فى خبثكم وشركم كل بنود الاتهام التى حاكمتموه عليها وتأتون بقائمة اتهامات لها طبيعة مختلفة تمامًا وتقولون: إننا وجدنا هذا يُفسد الأمة. أخبرونا فيما يكون هذا الإفساد! إن تعاليمه كانت منصبَّة على التوبة. أين مَنَع أن تُعطى جزية لقيصر؟ فأنتم فى الحقيقة أرسلتم إليه بعضًا من جماعتكم مع قوم من هؤلاء الذين يُدعون هيرودسيين ليجربوه قائلين: يا معلم، أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر أم لا (مت٢٢:١٧) فردّ المسيح عليهم قائلاً : أرونى معاملة الجزية، فسألهم لمن هذه الصورة والكتابة الموجودة على الدينار الذى قدَّمتموه؟ ولما قالوا له لقيصر قال لهم: أعطوا إذًا ما لقيصر لقيصر وما لله لله (مت٢٢:١٥ـــ٢١). إذن ففى أى موضع منع أن تُعطى جزية لقيصر؟ لكن كان هدفهم الوحيد هو أن يحدروا إلى الموت ذلك الذى يقيمهم إلى الحياة. كان هذا هو مقصد خططهم وهدف الأفعال الدنيئة والأكاذيب التى اخترعوها، والكلمات المرَّة التى جرت على ألسنتهم الشريرة. ولكن الناموس يُعلن لكم بصوت عال: "*لا تشهد على قريبك شهادة زور*" (خر٢٠:١٦)، ويقول أيضًا: "*لا تقتل البرئ والبار*" (خر٢٣:٧).

وقال الله فى أحد المواضع بلهجة عنيفة فى غضبه بفم واحد من أنبيائه القديسين: "*أمّا أنتم فتقدَّموا إلى هنا أيها البنون الأشرار، يا نسل الفاسقين والزانية: بمن تسخرون؟ وعلى من تفغرون الفم؟ وعلى من تُخرجون لسانكم؟ أما أنتم أولاد المعصية ونسل الظالمين*" (إش٥٧:٣، ٤س). وكذلك داود النبى يصفهم فى موضع ما فى المزامير وهو يخاطب الله الآب فى السموات: "*شتّتهم بقوتك، واهبط بهم يا رب يا عاضدى، إن خطية أفواههم*

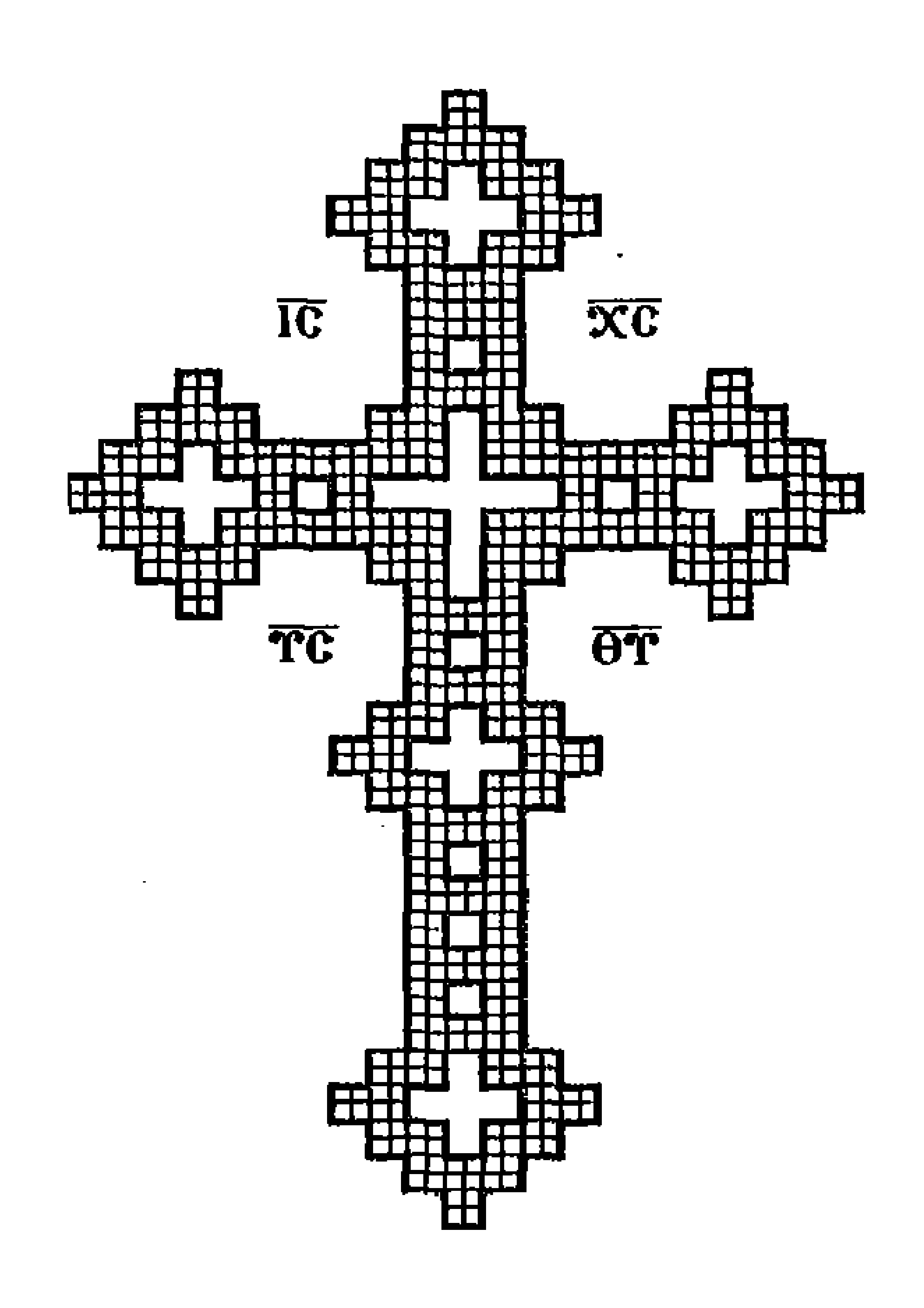
هي كلام شفاههم، وسوف يُؤخذون في كبريائهم" (مز٥٨:١١، ١٢س). لأنهم إذ أطلقوا العنان للسانهم الجامح ضد المسيح، وكما هو مكتوب، "*ورفعوا إلى العلى قرنهم وتكلَّموا بالإثم ضد الله*" (مز٧٥:٥س)، فإنهم إنما سقطوا في كبريائهم. بالتأكيد كان من واجبهم طالما يفتخرون بمعرفتهم لشرائع الله أن يتذكروا أن الله قال لا تقتل التقي ولا البار، لكنهم لم يعطوا أي اعتبار للاحترام الواجب للناموس، ولكن بسبب أنهم انقادوا بتهور شديد إلى كل ما يسرهم ويرضيهم هم وحدهم دون فحص لطبيعته، فإنهم اخترعوا اتهامات عديدة وحشدوا ضد المسيح اتهامات لم تكن صحيحة، ولا استطاعوا أيضًا أن يبرهنوا عليها. لكنهم كانوا بهذا مدانين بكونهم أكثر شرًا من عابد الأوثان، لأن بيلاطس إذ برأ يسوع من كل لوم قال علانية : لم أجد علّة واحدة في هذا الإنسان، ولم يَقل هذا مرة واحدة بل ثلاث مرات.

لكنهم اعترضوا بإصرار أنه يفسد الشعب ويعلِّم في كل اليهودية مبتدئًا من الجليل إلى هنا. ها إنهم يغيرون مرة أخرى اتهاماتهم السابقة ويخترعون أعذارًا لتثقيل تهمته ويجمعون فرصًا جديدة لذمه واغتيابه، إذ قالوا "*إنه يُهيِّج الشعب وهو يُعلِّم مبتدئًا من الجليل إلى هنا*". لكن فيما هم يتهمونه بالتعليم، نجدهم قد صمتوا عن فحوى ما يُعلِّمه إذ خافوا ــ كما أظن ــ لئلا يكون بيلاطس نفسه ضمن من يؤمنون به، لأنه لو كان قد سمع المسيح وهو يكشف سرّه الإلهي، ربما كان قد توقف منذ ذلك الوقت عن عبادة تلك الآلهة الكاذبة، بقبوله لسكنى نور معرفة الله الحقيقية في داخله، ولامتلك في ذهنه وقلبه شفاء تلك الرسالة المقدسة والخلاصية التي بالمسيح، لأنه ماذا كانت تعاليم المسيح؟ إنه يدعو من كانوا في ضلال

ويعبدون المخلوق بدلاً من الخالق أن يأتوا إلى المعرفة الحقيقية لله. وهو يريد لكل من يقترب منه أن يتلألأ بأمجاد البر وأن يكون بلا عيب وصالحًا، لطيفًا ورحيمًا، حكيمًا وقديسًا وحياته مستقيمة وبلا لوم. لذلك هم بدهاء عظيم قالوا إنه يُعلِّم، لكنهم صمتوا من جهة طبيعة تعاليمه، لكن بالرغم من كلامهم هكذا، فإن بيلاطس وبَّخهم وبرأً نفسه قائلاً: إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان. "*قد قدَّمتم إلىَّ هذا الإنسان كمن يُفسد الشعب، وها أنا قد فحصته قدامكم ولم أجد فى هذا الإنسان علَّة مما تشتكون به عليه ولا هيرودس أيضًا، لأنه أرجعه إلينا، وها لا شئ يستحق الموت صنعه*" (انظر لو٢٣: ١٣ــ١٥).

انظروا! فإن من يعرفون الشرائع الإلهية ويقولون بكبرياء وبعجرفة "*نحن تلاميذ موسى*" يطالبون بالحكم بالموت على مَن هو غير مذنب بأى إثم، بل من هو رأس ومُعلِّم كل تقوى، وهو الذى يجعل مَن يؤمنون به ماهرين فى كل فضيلة. وحينما برَّأه من كان يحق له أن يحاكمه فإنهم لكى يجعلوا عذابهم الأبدى أشد شدة، طلبوا باجتهاد شديد أن يُحكم بعقوبة الموت على من لم يأتِ بأىّ فعل أثيم، لأن كل الجمع صرخ قائلاً: "*خذ هذا وأطلق لنا باراباس*" (لو٢٣: ١٨). لذلك فقد أنكروا حقًا بوضوح القدوس البار، كما قال الطوباوى بطرس، وطلبوا أن يوهب لهم رجل قاتل (أع٣: ١٤)، لكيما يكونوا شركاء فى نصيبه ومتورِّطين فى ذنبه، وكان نصيبهم أن ينالوا العذاب. لأنهم قد سُلموا للهلاك والفزع، وهلكوا جميعهم مع كل جنسهم، لأنهم "*صرخوا قائلين اصلبه اصلبه*" (لو٢٣: ٢١). وقد لام الرب صرختهم غير المقدسة هذه وقال بفم إرميا: "*قد تركتُ بيتى هجرتُ ميراثى، دفعتُ حبيبتى الغالية ليد أعدائها. صار لى ميراثى كأسد فى الوعر، أطلق علىَّ*

صوته، *من أجل ذلك أبغضته*" (إر١٢: ٧، ٨). لذلك أبغضهم الله لأنهم هجموا على المسيح كأسد، وأطلقوا ضده صيحة تتّسم بالقسوة وعدم الشفقة. أمّا نحن فنسبح المسيح الذى تألم بالجسد بدلاً عنا، الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٥٢

يسوع فى طريقه للصلب

لوقا٢٣: ٢٤ـ٣١

" فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم، فأطلق لهم الذى طُرح فى السجن لأجل فتنة وقتل الذى طلبوه، وأسلم يسوع لمشيئتهم. ولمّا مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانيًا كان آتيًا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع. وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتى كنَّ يلطمن أيضًا وينحن عليه. فالتفت إليهن يسوع وقال : يا بنات أورشليم لا تبكين علىَّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، لأنه هوذا أيام تأتى يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد والثدى التى لم تُرضع، حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطّينا، لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس؟" .

إن مخافة الله مكروهة من فاعلى الشر، وهذا القول صحيح لأن الكتاب المقدس لا يمكن أن يكذب، لأن الرغبة في الحياة باستقامة وقداسة هو أمر غريب تمامًا عند أولئك الذين يحبون الشر، ولأن عنف أهوائهم يهاجمهم كوحشٍ كاسرٍ فهم لن ينصتوا لكلام من ينصحهم، بل يعتبرون كل من يعلّمهم كيف ينبغى أن يحيوا الحياة الصالحة، بمثابة عدوّ لهم. كان هذا هو الشعور الذى جعل جموع اليهود يبغضون المسيح، مع أن ما دعاهم إليه كان هو الخلاص وغفران الخطية، وإلى نمط من الحياة جدير بالإعجاب، وإلى برّ أسمى من برّ الناموس، وإلى عبادة روحية أعلى من الرموز والظلال.

لقد أتوا بالقدوس والبار إلى بيلاطس ونطقوا ضده بكلام عنيف ومتهوّر، وانهالوا عليه باتهامات كاذبة ملفّقة، واستمروا طويلاً في كيل الاتهامات له بحدّة حتى إن بيلاطس أخيرًا حكم أن تُلبَّى طلبتهم مع أنه قال علانية: " *أنا لا أجد علّة في هذا الإنسان*"، لكنهم ـــ بحسب النص ـــ صرخوا قائلين: " *خذه، اصلبه*". وكان الرب قد وبَّخهم لأجل هذه الصرخة بالذات ـــ الصرخة القاسية وغير الشرعية ـــ بصوت النبي إشعياء، لأنه هكذا مكتوب: " *إن كرم رب الجنود، الغرس الجديد والمحبوب هو بيت يهوذا، فانتظرتُ أن يصنع عدلاً ولكنه عمل إثمًا، وليس استقامة بل صراخًا*" (إش٥:٧س). وفي موضع آخر قال عنهم: " *ويل لهم لأنهم هربوا عني. إنهم تعساء لأنهم أخطأوا ضدّي، ولكن أنا افتديتهم أما هم فتكلموا عليَّ بكذب*" (هو٧:١٣س)، وأيضًا: " *سيسقط رؤساؤهم بالسيف بسبب فظاظة لسانهم*" (هو٧:١٦س).

لذلك ـــ بحسب النص ـــ حكم بيلاطس أن تلبَّى طلبتهم، لكن كان من الأفضل لهم لو تغلّبت رغبة بيلاطس وصار الحكم هو بإطلاق سراح الرب وتبرئته من كل جرم، وتمَّ فك البار البرئ من قيوده لكنهم قاوموا وعارضوا بشدة، وهكذا فازوا بمأربهم الذي كان هو علّة فسادهم، والذي أعدَّ لهم الشرك الذي كان سبب خرابهم، وجلب عليهم البؤس الشديد والمحتم.

لكن أتوسل إليكم أن تلاحظوا هنا كيف أن الحية المتمردة، تُطرد من سيادتها علينا، وتحفر لنفسها هي ولرهط الأشرار الذين يخدمونها هوة الهلاك. لأنه كما يقول المرنم: " *وقعت الأمم في الهلاك الذي صنعوه، وفي*

الفخ الذى نصبوه انتشبت أرجلهم، سيُعرف الرب أنه هو صانع الأحكام، والشرير يؤخذ بعمل يديه " (مز٩: ١٥، ١٦س)، " إذ ثبت أن أعمال يديه هى بمثابة فخ له، وسقط هو فى الحفرة التى حفرها، وارتد تعبه على رأسه، وعلى هامته هبط إثمه " (مز٧: ١٥، ١٦س). لأنه كما قلت، قد طُرد من طغيانه علينا. وهذا ما علمنا المخلّص إياه، لأنه عندما كان مزمعًا أن يحتمل آلامه الخلاصية لأجلنا قال: " *الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا، وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع* " (يو١٢: ٣١و٣٢). لذلك فإنه قاد يسوع إلى الصليب حتى إذا ما رُفع يمكنه أن يجتذب إليه الجميع، ولكيما بهذا يجرد الشيطان من عابديه، وهو الذى فى علوّ كبريائه تجاسر على أن يقول: " *سأمسك العالم كله فى يدى كعش، وكما يُجمع بيض مهجور جمعت أنا كل الأرض، ولن يوجد من يفلت منى أو يتكلم ضدى* " (إش١٠: ١٤س).

إذًا ، أنت لم تكن تتوقع أن ينهض أحد ضدك حينما كنت مستوليًا على ما ليس هو لك. ولكن مع ذلك فالأنبياء تجاسروا أن يفعلوا ذلك، مع أن الإسرائيليين كانوا بتهيجك وإغرائك يندفعون باستمرار إلى العنف وارتكاب جرائم قتل شنيعة. ثم قام ضدك رب الكل وتكلم ضدك، وإذ قد أخذ شكل العبد وتكلم كنبى، مع أنه هو المُعطِى كل نبوة ومعرفة، وهو العالى الذى يفوق الكل تخلى عن مجده، وظهر فى ضعف مثلنا مع أنه رب الجنود. وأنت لم تعرف المخلّص، وكما يقول إرميا النبى: " *قد وُجدتَ وأُمسكتَ لأنك قد وقفت ضد الرب*" (إر٥٠: ٢٤س). وكيف أُمسكتَ؟ بكون أولئك الذين كانوا فى الظلمة والجهل الذى سبَّبته لهم نالوا نورًا، وأولئك الذين كانوا تائهين فى الضلال جيء بهم إلى الطريق الصحيح، وسقطت سيادتك

الطاغية والقاسية، وبادت شوكة الخطية، وقُتل الموت بموت المسيح. هذه هى المنافع الذى صُنِعت لنا بواسطة آلام المخلّص، لذلك قُدْ يسوع! نعم قُده إلى الصليب الذى سيؤدى إلى خرابك، واخزن لنفسك النار التى لا تُطفأ، واحفر لنفسك الحفرة التى ستُطرح فيها إذ ستداس تحت أقدام أولئك الذين يخافون الرب. لذلك إن كنت تضحك عندما تراه مصلوبًا ومعلقًا على خشبة، لكن سرعان ما سوف تراه وقد قام من الأموات، وآنذاك سوف تُولول على الموت لأنه قد سقط. ابكِ بغزارة لدى رؤيتك للهلاك وهو ينهزم، ابكِ لأن الله يُعيد تشكيل طبيعة الإنسان لتتأهل للحياة، إذ هو سحق الخطية وأخضعها، هذه التى بواسطتك تسلَّطت علينا بشدة، وأنت لن تعود بعد تشتكى على إنسان، لأن "*الله هو الذى يُبرِّر فمن هو الذى يدين* " (رو ٨: ٣٣، ٣٤)، وكما يقول المرنم: "*كل إثم يسد فاه* " (مز ١٦: ٤٢).

وهكذا اقتيد المخلِّص إلى آلامه المخلصة، لكنهم ـ يقول الكتاب ـ وضعوا صليبه على سمعان القيروانى، لكن إنجيلى قديس آخر قال إن المخلص نفسه حمل الخشبة (يو ١٩: ١٧)، كلاهما حتمًا صادق فيما يقوله، لأن المخلص حمل الصليب فعلاً، ولكن ربما لاقاهم سمعان القيروانى فى وسط الطريق فأمسكوه وجعلوه يحمل الصليب بدلاً منه. ويوجد سبب هام لحقيقة أن المسيح مخلص الكل حَمَل الصليب، هو أنه قد قيل عنه بفم إشعياء النبى:" *إنه يولد لنا ولد ونُعطى أيضًا ابنًا وتكون الرياسة على كتفه*" (إش٩: ٦س). لأن الرياسة كانت بالصليب الذى به صار ملكًا على العالم. وذلك لأنه أطاع الآب حتى الموت موت الصليب، فلأجل هذا السبب أيضًا رَفَّعه الله وعظَّمه جدًا، وأعطاه اسمًا فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع

كل ركبة ممَن فى السماء ومَن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (فى٢: ٨ــ١١).

وأعتقد أنه من المهم أن نلاحظ هذا الأمر أيضًا هنا، هو أنه عندما صعد الطوباوى إبراهيم إلى الجبل الذى أراه الله إياه ليُصعِد هناك إسحق ذبيحة بحسب أمر الله، فإن إبراهيم وضع الحطب على الصبى الذى كان مثالاً للمسيح وهو يحمل صليبه الخاص على كتفيه وهو صاعد إلى مجد آلامه، لأن كون آلام المسيح هى مجده، فهذا هو ما علّمه لنا المسيح بنفسه عندما قال : " الآن تمجد ابن الإنسان وتمجَّد الله فيه. إن كان الله قد تمجَّد فيه، فإن الله سيمجِّده فى ذاته ويُمجِّده سريعًا" (يو١٣: ٣١، ٣٢).

كان يسوع ماضيًا إلى موضع الصلب وتبعته آنذاك نساء تبكين وكذلك آخرون كثيرون، لأن جنس النساء على الدوام يستسلم للبكاء، ولديهم استعداد أن يتأثروا بشدة عندما يقترب أى شئ محزن. أما يسوع فقال لهن: يا بنات أورشليم وفِّرن دموعكن لأجلى، وتوقفوا عن نحيبكن بخصوصى، بل " *بالأحرى لا تبكين علىَّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، لأنه هوذا أيام تأتى سيكون فيها أفضل للنساء أن تكنَّ عواقر من أن تلدن*". كيف هذا أو بأية طريقة ؟ لأنه عندما وقعت الحرب على بلاد اليهود، هلك الجميع تمامًا كبيرهم مع صغيرهم، الأطفال مع أمهاتهم، والأبناء مع آبائهم، والجميع بادوا بلا تفريق. ويقول الرب إنه آنذاك سيعتبرونه أثمن شئ لديهم هو أن يُسحقوا تحت الجبال والآكام، لأن تلك المِحن التى هى أقل وحشية وقسوة، سوف تصير كأنها مرغوبة، أثناء تلك المِحن الفظيعة

التى سوف يجوزونها. ويقول الرب: " *لأنه إن كان بالعود الرطب يفعلون هذا، فماذا يكون باليابس ؟* " .

إنه أمر جدير باهتمامنا أن نفهم ماذا كان يقصد المخلِّص بهذه الكلمات، لأن القول صيغ فى هيئة مَثَل أو بالحرى مثال، لكنه ملئ بالمعانى الروحية، وأنا أعتقد أنه ربما يقصد أن يوحِى بما يلى: فهو يشبِّه نفسه بالشجرة الخضراء التى لها أوراق وأزهار وثمر، وأثماره كانت تعاليم وعظات وأيضًا مظاهر قوته الإلهية فى معجزاته الإلهية فائقة الوصف. لأن أيًا أيضًا من أعماله لا يفوق تصوُّر إعجابنا؟ فهو قد أقام الموتى وطهَّر البرص وشفى الأعمى وأعمال أخرى صنعها أثارت فينا كل التسبيح والتمجيد له. ورغم أن هذه كانت هى أعماله، لكن جنود الرومان أو بالأحرى بيلاطس أدانه وحكم عليه بحكم جائر، وابتلاه بهذه الاستهزاءات القاسية، لذلك عندما يقول إن رؤساء الرومان قد أوقعوا بى كل هذه الأمور مع أنهم رأونى أتحلَّى بمثل هذا المجد والمديح العظيم، فماذا سيفعلون بإسرائيل عندما يجدون أنه عود يابس غير مثمر؟ لأنهم لن يجدوا فيه شيئًا يستحق الإعجاب من الأشياء التى ربما يعتبرونها جديرة بالتكريم والرحمة. من الواضح أنهم سيحرقونه بالنار بدون أن يُظهروا له أية رحمة، بل وسيكابد بالأحرى القساوات التى ستتأتَّى من هياج وحشى. فهذه كانت فعلاً البلايا التى أصابت الإسرائيليين عندما حتَّم الله الذى يحكم بعدل، بالعقوبة التى استوجبها شرهم ضد المسيح. أمَّا نحن الذين نؤمن به، فإن المسيح ينعم علينا بالنعمة والبركة، الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

عظة ١٥٣

يسوع يُعلق بين لصين

لوقا٢٣: ٣٢ــ٤٣

" وجاءوا أيضًا باثنين آخرين مذنبين ليُقتلا معه. ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحدًا عن يمينه والآخر عن يساره. [فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون] وإذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها.

وكان الشعب واقفين ينظرون، والرؤساء أيضًا معهم يسخرون به قائلين: خلَّص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله، والجند أيضًا استهزءوا به وهم يأتون ويقدمون له خلاً، قائلين إن كنت أنت ملك اليهود فخلِّص نفسك، وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية: هذا هو ملك اليهود. وكان واحد من المذنبين المعلقين يُجدِّف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلِّص نفسك وإيانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أوَلاَ أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أما نحن فبعدل، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله. ثم قال ليسوع: اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس" .

إن الطوباوى بولس يعتبر سر تجسد الابن الوحيد جديرًا بكل إعجاب، وإن جاز القول، فإنه يبدى اندهاشه عن حكمة وسموّ تدبيرَ الخلاص فيقول: " *يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه* " (رو ١١: ٣٣) فانظروا كيف أن مخلِّص ورب الكل، الذي به أوجد الآب كل شئ يُجدِّد طبيعة الإنسان ويستردّها إلى ما كانت عليه فى البدء بصيرورته هو نفسه مثلنا، وحمله لآلامنا من أجلنا.

لأن الإنسان الأول كان حقًا فى البدء فى فردوس البهجة، وقد حباه الله بغياب كلّ من الألم والفساد، لكن عندما احتقر الوصية التى أُعطيت له وسقط تحت اللعنة والدينونة وفى فخ الموت بأكله من الشجرة المحرَّمة، فإن المسيح ـــ كما قلت ـــ ردَّه إلى وضعه الأصلى بنفس الشئ، لأن المسيح صار ثمرة الشجرة إذ احتمل الصليب الثمين لأجلنا كى ما يبيد الموت، الذى بواسطة الشجرة غزا أجساد البشر. فقد احتمل الآلام لكيما يخلِّصنا من الآلام، وكما هو مكتوب: "*احتُقِر وخُذِل من الناس*" (إش٥٣:٣ س) لكيما يجعلنا مكرَّمين، ولم يفعل خطية لكيما يكلِّل طبيعتنا بمجدٍ مشابه، وهو الذى لأجلنا صار إنسانًا خاضعًا كذلك لنصيبنا، وهو الذى يعطى حياة للعالم خضع للموت بالجسد. أ فليس السرّ عميقًا إذن؟ ألا يلزمنا الاعتراف بأن التدبير أعظم ممّا يمكن للغة أن تصفه؟ أى شك يمكن أن يوجد فى هذا؟ لذلك ليتنا عندما نقدِّم له التسبيح أن نكرِّر ما أنشده المرنِّم بقيثارته: "*ما أعظم أعمالك كلها بحكمة صنعتَ* " (مز١٠٣: ٢٤س) .

وهكذا عندما عُلِّق على الصليب الثمين، صُلب معه اثنان من اللصوص. ما الذى ترتَّب على هذا؟ كان قصد اليهود حقًا من هذا هو السخرية به إلى أبعد حدّ ممكن، لكنه من ناحية أخرى كان تذكيرًا بالنبوة، لأنه مكتوب أنه "*أُحصى مع أثمة*" (إش٥٣: ١٢س) لأنه من أجلنا صار هو لعنة، أى ملعونًا، لأنه مكتوب أيضًا: " *ملعون كل من عُلِّق على خشبة*" (تث٢١: ٢٣). لكن عمله هذا أبطل اللعنة التى كانت علينا، لأننا معه وبسببه نكون مُباركين، وإذ يعلم بهذا الطوباوى داود، فإنه يقول:" *مباركون نحن من الرب الذى خلق السماء والأرض*" (مز١١٣: ٢٣س). لأن بآلامه حلَّت علينا البركات، وهو دفع ديوننا بدلاً عنّا وحمل خطايانا، وكما هو

مكتوب، " *هو حمل خطايانا وجُلد عوضًا عنّا*" (إش٥٣: ٦س)، "*وهو حمل خطايانا فى جسده على الخشبة* "(١بط٢: ٢٤). حقًا إننا "*بحُبره شفينا* " (إش ٥٣: ٥ش). هو أيضًا تألم بسبب خطايانا، وبهذا خلّصنا من أمراض النفس. هو احتمل الهزء والازدراء والبصق لأن رؤساء مجمع اليهود استهزءوا به وهزّوا رؤوسهم النجسة وصبُّوا عليه ضحكهم المرير قائلين: " *خلص آخرين فليخلّص نفسه إن كان هو المسيح* ". لكن إن كنتم حقًا لا تؤمنون أنه هو المسيح فلماذا قتلتموه كالوريث؟ لماذا ترغبون فى الاستيلاء على ميراثه؟ وإن كان قد خلّص آخرين وأنتم تعرفون جيدًا أن الأمر حقًا كان هكذا، فكيف تعوزه القوّة لأن يخلّص نفسه من بين أيديكم؟ أنتم سمعتم فى الهيكل أولئك الذين كانت وظيفتهم أن يرتّلوا وينشدوا فى الخورس يقولون على الدوام: " *ثقبوا يدىّ ورجلىّ.. أحصوا كلّ عظامى، وهم ينظرون ويتفرّسون فىّ، يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون*" (مز ٢١: ١٦ ــ ١٨س). وكذلك "*يعطوننى علقمًا لطعامى، ولعطشى يعطوننى خلاً لأشرب*" (مز٦٨: ٢١س). وحيث أنكم متمرسون فى الناموس ــ مثلما تعتبرون أنفسكم هكذا ــ فكيف يتأتى لكم أن تتركوا النبوة وتتركوا دونما فحص ما سبق الإخبار به بخصوص هذه الأشياء؟ كان واجبكم أن تستفهموا وتبحثوا عمن قيلت هذه الأشياء، أقصد على أى شخص يليق بكم أن تُطبّقوا هذه الآيات. أنتم سمعتم قائدكم العظيم موسى ينبئكم عن وحشية هجماتكم، لأنه قال إنكم " *سوف تبصرون حياتكم معلّقة على خشبة* " (تث٢٨: ٦٦س). أى سترون الذى هو علّة الحياة، أو بالحرى مَن هو الحياة ذاتها معلّقًا على خشبة ، فكيف تتجاهلون تمامًا نبوة موسى الذى به تفتخرون جدًا؟ لأننا سمعناكم تُصرّحون علانية." *نحن تلاميذ موسى* " (يو ٩: ٢٨).

أخبروني ماذا تقصدون بإنغاضكم الرأس عليه؟ هل تزدرون بالاحتمال الوديع للمتألِّم؟ أم لكي تبرهنوا بهذا على تحجّر أذهانكم وقساوتها الشديدة؟ هل أنتم متلهّفون على إخضاع رئيس الحياة لموت الجسد؟ لماذا تحشرون أنفسكم في الاهتمامات (التدابير) المقدَّسة؟ لماذا تقصدون مشورة لن يمكنكم إقامتها؟ إنه مكتوب: " *الساكن في السموات يضحك بهم، والرب يستهزئ بهم* " (مز٢:٤) .

وكما قلت، صُلب معه لصان من باب السخرية على تلك الآلام التي تجلب الخلاص لكل العالم، ولكن أحد هذين اللصين شابه في سلوكه عقوق اليهود، إذ قذف بقوة نفس كلماتهم، وتفوّه بسهولة بتعبيرات تجديفية فقال: " *إن كنت أنت المسيح فخلِّص نفسك وإيانا* "، أمَّا الآخر فقد اتبع مسلكًا مخالفًا وهو جدير عن حق بإعجابنا، لأنه آمن به. وبينما كان يكابد أقصى عقوبة. وبَّخ صرخات اليهود المتهورة وكذلك كلمات اللص الآخر الذي كان مصلوبًا معه، إنه اعترف بخطاياه لكيما ما يتبرر (إش٤٣:٢٦س)، وصار لائمًا لطرق نفسه الخاطئة لكيما يبرئه الله من ذنبه كما هو مكتوب: " *قلت أعترف للرب بإثمي وأنت صفحت لي عن نفاقات قلبي* " (مز٣١:٥ س)، وهو شهد للمسيح بالبراءة ووبخ افتقار اليهود لمحبتهم لله وأدان حكم بيلاطس إذ قال عن المسيح: أما هذا فلم يفعل شيئًا مكروهًا. كم هو جميل هذا الاعتراف، كم هي حكيمة تعليلاته، كم هي سامية أفكاره. لقد صار معترفًا بمجد المخلص، ولائمًا لكبرياء الذين صلبوه. فأية مكافأة نالها؟ وأي كرامات كان هو جدير بها؟ وأية منفعة عادت على هذا اللص الذي كان أول من يعلن الإيمان؟ فهو عثر على كنز جدير بالامتلاك، وصار غنيًا على غير توقع، واقتنى كل بركة، وفاز بميراث القديسين، وصار اسمه

مكتوبًا فوق فى السموات، والذى كان يكابد حكم الموت صار اسمه فى سفر الحياة وأصبح فى عداد سكان المدينة الفوقانية .

فلنتطلع إلى اعترافه الإيمانى الجميل جدًا، إذ قال ليسوع: " *اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك* ". أنت تراه مصلوبًا وتدعوه ملكًا؛ وذاك الذى كان يكابد العذاب والاستهزاء، أنت تتوقع مجيئه فى مجد إلهى؛ أنت تراه محاطًا بجموع اليهود وزمرة الفريسيين الأشرار وعسكر بيلاطس، وهؤلاء جميعًا يسخرون به، وليس بينهم واحد يعترف به...

عدد ٤٤، ٤٥

" وكان نحو الساعة السادسة، فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه ".

ذاك الذى يفوق كل المخلوقات ويشارك فى عرش الآب، وضع ذاته إلى درجة الإخلاء وأخذ شكل العبد واحتمل حدود الطبيعة البشرية لكيما يوفى بالوعد الذى أعطاه الله لأجداد اليهود، لكنهم كانوا فى منتهى العناد وعدم الطاعة إلى درجة أن يثوروا على سيدهم. لأنهم جعلوا جلّ شغلهم الشاغل هو أن يسلموا رئيس الحياة للموت وأن يصلبوا رب المجد، لكنهم لما ثبّتوا على الصليب رب الكل انسحبت الشمس من على رؤوسهم وتدثّر النور بالظلام فى منتصف النهار مثلما أنبأ عاموس النبى (عا٥:١٨)، لأنه كانت هناك ظلمة من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، وهذه كانت علامة واضحة لليهود أن أذهان الذين صلبوه قد تغلفت بظلمة روحية، لأن العمى والقساوة قد حصلت جزئيًا لإسرائيل (رو١١:٢٥)، وداود فى محبته لله يلعنهم قائلاً: لتظلم عيونهم لكى لا يبصروا (مز٦٨:٢٣س).

نعم ! الخليقة ذاتها ندبت ربها، لأن الشمس أظلمت والصخور تشققت، والهيكل ذاته ارتدى ثياب النائحين إذ انشق حجابه من أعلى إلى أسفل، وهذا ما يشير به الله إلينا بفم إشعياء قائلاً أُلبس السموات ظلامًا، وبالمسح أُغطيها (إش٥٠:٣س).

عدد ٤٧

" فلما رأى قائد المئة ما كان مجَّد الله قائلاً : بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا".

أتوسل إليكم أن تلاحظوا أيضًا أنه بمجرد أن كابد آلامه على الصليب لأجلنا، حتى ابتدأ فى اكتساب الكثيرين إلى معرفة الحق، إذ يقول النص: إنه لما رأى قائد المائة ما حدث مجَّد الله قائلاً : بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا، وبعض اليهود أيضًا قرعوا صدورهم إذ ــ بدون شك ــ قد وخزتهم ضمائرهم وتطلَّعوا بأعين أذهانهم إلى الرب، وربما برَّأوا أنفسهم من سلوكهم المشين ضد المسيح بهتافهم ضد من صلبوه حتى وإن لم يتجاسروا على فعل هذا علانية بسبب عدم تقوى الحكام. لذلك قال ربنا عن حق: " *وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىَّ جميع الناس* " (يو١٢:٣٢).

عدد ٥٥

" وتبعته نسوة كُنَّ قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وُضع جسده ".

إن نساء حكيمات تبعن المسيح مخلصنا جميعا، جامعات كل ما كان مفيدًا ضروريًا للإيمان به، وعندما قدم جسده كفدية لحياتنا جميعًا، عكفن بحكمة واجتهاد على الاعتناء بجسده، لأنهن ظنن أن جسده سيبقى على الدوام فى القبر .



الإصحاح الرابع والعشرون



ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين
إلى القبر حاملات الحنوط الذي
أعددنه ومعهن أناس

الإصحاح الرابع والعشرين

عظة ١٥٤

قيامة المسيح

لوقا ٢٤ : ١ــ٥

" ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهن أناس، فوجدن الحجر مدحرجًا عن القبر، فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع. وفيما هن محتارات في ذلك، إذا رجلان وقفا بهن بثياب برّاقة، وإذ كن خائفات فإنهن نكّسنَ وجوههن إلى الأرض" .

النسوة أتين إلى القبر، ولما لم يجدن جسد المسيح ــ لأنه قام ــ فإنهن كنَّ محتارات. ثم ماذا تبع ذلك ؟ إنهم لأجل حبهنَّ أتين إلى المسيح، و لأجل غيرتهنَّ الحارة له، فقد حُسِبن مستحقات أن يَرين الملاكين المقدسين اللذين أخبراهن بالأخبار السارة، وصارا مبشرين بالقيامة قائلين: " *لماذا تطلبن الحى بين الأموات؟ ليس هو ههنا لكنه قام*" (ع٦). إن كلمة الله حي إلى الأبد، وبحسب طبيعته هو الحياة ذاتها، ولكنه عندما أخلى ذاته، ووضع نفسه ليصير مثلنا، فإنه ذاق الموت، ولكن (بقيامته) برهن على موت الموت، لأنه قام من الموت ليصير هو الطريق الذى به ليس هو فقط بل نحن أيضًا نعود إلى عدم فساد. ليت لا أحد يبحث عن ــ هذا الحي إلى الأبد ــ بين الأموات، لأنه هو ليس هنا بين الأموات وهو ليس فى القبر، ولكن أين يوجد بالأحرى؟ ببساطة ووضوح، هو فى السماء، فى مجد الله. ولأجل أن يرسِّخ الملاكان بأكثر ثبات إيمان النسوة بهذه الأخبار ، فإنهما

أعادا إلى ذاكرتهن ما سبق أن قاله المسيح: " *اذكرن كيف كلَّمكن وهو بعد في الجليل قائلاً: إنه ينبغي أن يُسلَّم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ويُصلب وفي اليوم الثالث يقوم* " (ع٧،٨).

إن الملائكة هم أيضًا الذين أتوا بالأنباء السارة للميلاد إلى الرعاة في بيت لحم، والآن هم الذين يبلغون أخبار القيامة. والسماء تقدم خدمتها لتشهد له، والأجناد الروحانية العلوية تخدم ابن الله في وقت تجسده كما تخدمه في السماء.

عدد ٩ :

" ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله ".

بعد أن تعلَّمن السر من صوت الملائكة، فإنهن أسرعن ليبلغن التلاميذ بهذه الأمور. كان لائقًا جدًا أن هذه النعمة، رغم أنها عظيمة جدًا أن تُخوَّل للنساء، إذ إنَّ المرأة التي خدمت الموت في القديم قد أُعتِقت الآن من إثمها، بالخدمة التي وصلتها بصوت الملائكة القديسين، وكذلك لأنها صارت الأولى لأنها أولاً : علِمت، وثانيًا: لأنها بلَّغَت سرّ القيامة المجيد. لذلك فإن الجنس النسائي قد نال البراءة من العار، وكذلك بطلت اللعنة، وذلك لأن الذي قال للمرأة في القديم: بالوجع تلدين أولادًا (تك٣:١٦) هو الذي خلصها من البلية ، بأن قابلها في البستان ـــ كما ورد في إنجيل آخر ـــ وقال لها: " *سلام* " (متى٢٨:٩). أما بخصوص الرسل القديسين ، فقد ظلت رواية القيامة تبدو لهم وكأنها غير معقولة تمامًا ومزيفة، لأنه حتى ذلك الوقت لم يكونوا يعرفون الكتب المقدسة، لذلك كانوا غير مصدقين، ولأجل ذلك فقد سخروا من خبر القيامة ورفضوه.

ولكن كيف أن التلاميذ فى إنجيل يوحنا، بعد أن سمعوا مريم المجدلية، وركضوا تجاه القبر آمنوا ؟ بخصوص هذا فإن البشائر تشهد لهم بالقول : "*فحينئذٍ دخل أيضًا التلميذ الآخر الذى جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن* " (يو ٢٠:٨). فالاثنان آمنا : بطرس ويوحنا. أما إنجيل لوقا فيقول: ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله، وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قُلن هذا للرسل ، فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن.

أعداد ١٣ــ١٥ :

" وإذا اثنان منهم كانا منطلقين في ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس، وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث، وفيما هما يتكلمان ويتحاوران، اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما " .

بخصوص الاثنين اللذين كانا منطلقين إلى قرية عمواس، فقد كانا يتكلمان مع بعضهما بشأن المسيح، وهما يعتبرانه أنه لم يعد بعد على قيد الحياة، بل كانا ينوحان عليه كميت. وبينما كانا يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما، دون أن يعرفاه، لأن أعينهما أُمسكت عن معرفته (ع١٦). فقال لهما: " *ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين؟ فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له: هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم... إلخ*" (أعداد ١٧ــ٢١)، ثم اخبراه عن الإشاعات التى وافتهم بها النسوة بخصوص القيامة، وكذلك بخصوص كلام بطرس، ولكنهما لم يصدقوهن، لأنه بقولهما: "*بل بعض النسوة حيرّننا ... لأنهم لم يجدن الجسد* .." (أعداد ٢٢،٢٣)، يتضح أنهما لم يقتنعا ليؤمنا

بالأخبار، ولا نظرا إليها كأخبار حقيقية، ولكنها أصبحت فى نظرهما أخبارًا تدعو إلى القلق والدهشة، بل وحتى شهادة بطرس الذى رأى اللفائف الكتان عند القبر، لم يعتبراها برهانًا كافيًا جديرًا بالثقة والتصديق بخصوص القيامة لأن الإنجيلى لم يقل عنه إنه رأى الرب شخصيًا ، بل إنه استنتج أنه قام بسبب كونه لم يعد موجودًا فى القبر. يجب عليكم أيضًا أن تعلموا أن هذين الاثنين هما من عداد السبعين تلميذًا، وكان سمعان وليس بطرس هو رفيق كليوباس، كما أنه ليس من قانا، ولكنه واحد من السبعين[1] .

عدد ٢٧ :

" ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب " .

لقد بيّن الرب من خلال هذا الحديث أن الناموس كان ضروريًا ليمهد الطريق، وأيضًا خدمة الأنبياء كانت لازمة لتعد البشر للإيمان بهذا العمل الفائق، حتى إذا ما تم هذا العمل بالفعل، فإنه يجب على هؤلاء الذين ينزعجون بسبب المجد الفائق أن يتذكروا ما سبق أن قيل فى القديم، وهذا يقودهم إلى الإيمان، لذلك فإن يسوع قد مهّد الطريق لهم من خلال كتابات موسى والأنبياء، وهو يشرح لهما معانيها الخفية، ويفسر للذين يستحقون ما هو غامض على غير المستحقين، وهكذا يوّطد فى دواخلهم الإيمان القديم والمتوارث الذى تعلّموه من الكتب المقدسة التى كانت فى حوزتهم، لأنه لا شئ يأتى من عند الله بلا منفعة ، بل الكل له الموضع والخدمة المحددة.

---

[1] يقول أوريجينوس فى ديباجة شرحه لإنجيل يوحنا نفس التقليد، فيذكر أن رفيق كليوباس كان يُسمى سمعان، أما فى المؤلفات الأخرى مثل ثيوفلاكت، فإنه يظن أن هذا الرفيق كان لوقا نفسه.

فالخدام يُرسلون مسبقًا إلى مكانهم الواجب ليعدوا لحضور السيد، بأن يقدموا من قبل نبوات كإعداد ضرورى مسبق للإيمان، تمامًا مثل كنز ملكى قد سبق التنبؤ عنه، فإنه يجب فى الأوان المناسب أن يُؤتى به من مخبئه السابق المُحاط بالغموض، بأن يُماط عنه اللثام ويصبح ظاهرًا جليًا من خلال وضوح التفسير. وهكذا فإن الرب بعد أن حرك عقليهما عن طريق كتابات الناموس والأنبياء، فإنه بعد ذلك بوضوح أكثر، وضع نفسه أمامهما عندما قبل رجاءهما بأن يذهب معهما إلى القرية، إذ أنه أخذ خبزًا وباركه وقسمه بينهما، لأنه مكتوب: أُمسكت أعينهما عن معرفته (ع١٦)، إلى أن دخلت الكلمة داخلهما وحركت قلبيهما للإيمان ، وبعد ذلك صيّرت ما سبق أن سمعاه وآمنا به، مرئيًا، لأنه منحهما الرؤية فى أوانها بعد السماع، إلاّ أنه لم يستمر معهما لأن الكتاب يقول: "*ثم اختفى عنهما*". لأن علاقة الرب بالناس بعد القيامة لا تستمر كما كانت من قبل، لأنهم هم يحتاجون إلى تجديد وحياة ثانية فى المسيح، حتى يلتحم الجديد بالجديد ، وغير الفاسد يقترب من غير الفاسد، أليس لهذا السبب لم يسمح الرب ـــ كما يقول يوحنا فى إنجيله ١٨:٢٠ ـــ لمريم المجدلية أن تلمسه إلى أن يصعد ثم يعود ثانية.

عدد ٣٣:

" فقاما فى تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم " .

يقول الكتاب إن كليوباس ورفيقه قاما فى تلك الساعة . وذلك فى نفس الوقت الذى اختفى فيه المسيح عن أعينهما ورجعا إلى أورشليم، ولكنه لم يقل إنهما وجدا الأحد عشر مجتمعين معًا فى نفس تلك الساعة، وأنهما قالا

لهم ما حدث بخصوص المسيح بل بعد مرور عدد من الساعات تكفى للسفر ستين غلوة بين عمواس وأورشليم، وفى أثناء هذه الساعات ظهر الرب لسمعان بطرس.

والبشير (لوقا) حذف الأحداث التى تمت فى خلال هذا الزمن (الأربعين) بين ظهوره للرسل فى أورشليم وبين اليوم الذى ارتفع فيه. أما ما سمعه كليوباس ورفيقه من الرسل: " *إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان*" (ع٣٤)، فهذا الظهور لم يذكر عنه أين أو متى أو كيف تم .. خلال هذه الفترة أيضًا (بين الظهور مساء القيامة وبين الصعود) تمت الأحداث التى فى الجليل والتى سجلها القديس متى ١٦:٢٨.

عدد ٣٦:

" وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم سلام لكم".

والآن، نحن نلتزم بترتيب الحوادث، فإننا نقول إن رواية القيامة قد بلغت الرسل من جهات مختلفة، وصارت رغبتهم فى رؤية الرب جامحة، وها هو يأتى بحسب رغبتهم ويقف مرئيًا فى وسطهم ويعلن نفسه إذ قد صاروا يبحثون عنه ويتوقعون حضوره، وها هو الآن يظهر لهم وأعينهم ليست مُمسكة عن المعرفة، ولا كمن يتحدث معهم عن شخص آخر، وهو الآن يسمح لهم أن يبصروه بوضوح، ويُحيِّيهم بالتحية الملائمة، ولكن مع ذلك " *فإنهم جزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحًا* " (لو٢٤: ٣٧)، وليس هو نفسه، بل مجرد شبح وخيال. وللوقت فإنه هدأ من روعهم وقلقهم بسبب هذه الأفكار التى خطرت فى قلوبهم وخاطبهم بتحيته المعتادة وقال: " *سلام لكم* ".

عدد ٣٨:

" فقال لهم : ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم " .

لكى يقنعهم الرب بتأكيد لا يدع مجالاً للشك بأنه هو نفسه الذي تألّم، فإنه يّبيِّن للتو أنه بسبب كونه الله بالطبيعة، فإنه يعرف ما هو مخفي، وأن الأفكار الثائرة داخلهم لا تخفي عن معرفته، لذلك قال لهم: " *ما بالكم مضطربين؟* " هذا برهان واضح أن هذا الذي يرونه أمامهم ليس شخصًا أخر، بل هو نفسه الذي رأوه يذوق الموت علي الصليب، والذي وضع في القبر، وهو نفسه الذي يفحص القلوب والكلي والذي ليس شيء غير مكشوف لعينيه. هذا الأمر يعطيه لهم كعلامة تدل علي شخصه، أعنى معرفته بالأفكار الثائرة داخلهم. ولكي يبرهن لهم بصورة أقوي، وبطريقة أخري أن الموت قد قُهِرَ، وأن الطبيعة البشرية قد خلعت عنها الفساد في شخصه كباكورة، فإنه أراهم يديه ورجليه وثقوب المسامير وسمح لهم بأن يمسكوه، لكى يقنعهم بكل وسيلة أن نفس الجسد الذى تألم هو الذى قام كما قلت لكم. لذلك ليت لا أحد يثير اعتراضاتٍ تافهة بخصوص القيامة (العامة)، وإن كنتم تسمعون الكتاب المقدس يقول عن الجسم الإنسانى إنه يُزرع جسمًا حيوانيًا ويُقام جسمًا روحانيًا (١كو١٥:٤٤) فلا تنكروا عودة الأجسام البشرية إلى عدم الفساد، لأنه كما أن الحيوانى هو الذى يكون تابعًا ويخضع للبهيمية أى الشهوات الجسدانية ، كذلك أيضًا الروحانى هو تحت سلطان الروح القدس (أى جسمًا روحانيًا).

لأنه لن يوجدُ بعد القيامة من الموت فرصة للعواطف الجسدانية لأن مِهماز الخطية سيكون بلا قوة تمامًا، وهذا الجسد نفسه الذى جُبل من الأرض، سوف يلبس عدم فساد. ولكي يتأكد التلاميذ تمامًا أن هذا هو نفسه

الذى تألم وقُبِرَ، هو الذى قام ثانيةً وهو واقف الآن أمامهم ، فإنه ــ كما قلت لكم ــ أراهم يديه ورجليه. وأمرهم أن يكونوا مقتنعين تمامًا أنه ليس روحًا كما يظنون، بل هو بالحرى قام بجسد حقيقى، فيقول لهم: " *فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى* " (ع٣٩)، لأن الظل والروح والشبح لا يمكن لمسها باليد.

وبعد أن أراهم ــ كما قلنا ــ يديه ورجليه ، فإنه أقنعهم تمامًا أن الجسد الذى تألم قد قام ، ولكن من أجل أن يجعل فيهم قدرًا وافرًا من الإيمان بتأكيد أكثر، فإنه سألهم عن طعام، فناولوه جزءً من سمك مشوى (ع٤٢)، فأخذ وأكل قدامهم (ع٤٣)، وهذا فعله ليس لسبب إلاّ ليبين أن مَن قام من الأموات هو نفسه الذى فيما مضى أكل وشرب معهم طوال فترة خدمته معهم، وهو الذى تكلم معهم كإنسان بحسب الصوت النبوى فى القديم (باروخ٣:٣٧)، وكان قصده من هذا أن يلاحظوا أن الجسم البشرى يحتاج فعلاً إلى غذاء من هذا النوع، أما الروح فلا تحتاج لذلك. فالذى يستحق أن يُدعى مؤمنًا، والذى يقبل بلا تردد شهادة الإنجيليين القديسين (بخصوص القيامة) لن ينصت فيما بعد إلى خرافات الهراطقة، ولن يمكنه أن يحتمل تجارة الخياليين المُغرضة والرخيصة[٢]. إن قوة المسيح تفوق أسئلة البشر، كما أنها ليست على مستوى الفهم كالأحداث المعتادة. المسيح أكل آنذاك جزءً من سمك بسبب القيامة، أما النتائج الطبيعية للأكل فلا يمكن أن تحدث فى حالة المسيح بالطريقة التى يمكن أن يعترض بها غير المؤمن، الذى لا يعرف سوى أن ما يدخل الفم يلزم بالضرورة أن يمضى إلى الجوف

---

[٢] يقصد هنا هؤلاء الذين يُروّجون إشاعة أن جسد الرب خيالى أو شبح أى ليس جسدًا حقيقيًا .

ويندفع إلى المخرج (مت١٥:١٧)، أمّا المؤمن فلن يفسح مجالاً لمثل هذه الاعتراضات التافهة فى عقله، ولكن يترك الأمر إلى قوة الله.

عدد ٤٥:

" حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب " .

بعد أن هدّأ الرب أفكارهم بما قاله لهم، وبلمسة أيديهم له، وبمشاركته لهم فى الأكل ، حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا أنه كان ينبغى له أن يتألم وأن يُعلّق على خشبة الصليب. هنا يعيد الرب إلى أذهان التلاميذ ما قاله لهم سابقًا، لأنه سبق أن أنذرهم بخصوص آلامه على الصليب بحسب ما تكلم الأنبياء قبل ذلك بوقت طويل كما أنه فتح أيضًا عيون قلوبهم حتى يفهموا النبوات القديمة .

لقد وعد المخلص تلاميذه بحلول الروح القدس الذى سبق أن أعلن الله عنه فى القديم بيوئيل النبى (يؤ٢٨:٢)، والقوة النازلة من الأعالى حتى يصيروا أقوياء لا يُقهرون ويكونوا بلا خوف تمامًا لكى يعلّموا السر الإلهى للناس فى كل مكان.

إنه يطلب إليهم الآن بعد القيامة أن يقبلوا الروح القدس: " *اقبلوا الروح القدس*" (يو٢٠:٢٢)، ويضيف: " *لا تبرحوا أورشليم بل تنتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى، لأن يوحنا عمّد بالماء وأما أنتم فستتعمّدون بالروح القدس*" (أع١:٤،٥). إنه لا يضيف ماء إلى ماء، ولكنه يكمل ما كان ناقصًا بإضافة ما كان الإنسان فى حاجة إليه (أى الروح).

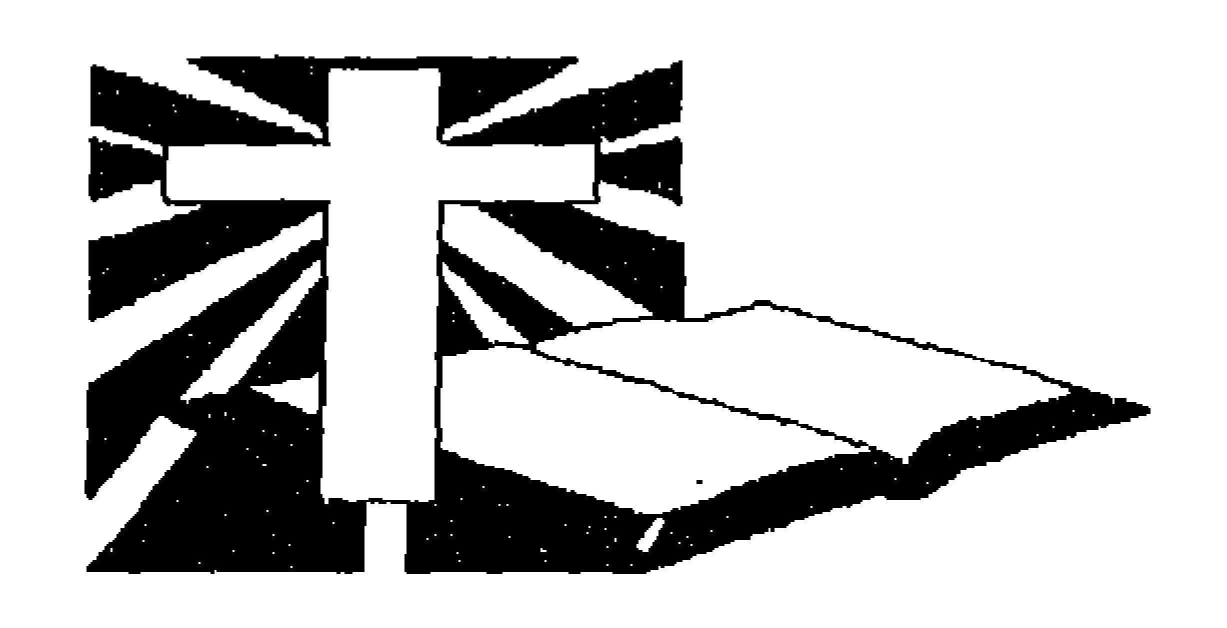
عدد ٥١:

" وبعد أن باركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء " .

حتى يشترك عرش الآب بالجسد الذى هو متحد به.

هذا الطريق الجديد قد صنعه الكلمة لنا بعد أن ظهر فى الطبيعة البشرية. وبعد ذلك ، وفى الوقت المناسب، سوف يأتي ثانيةً فى مجد أبيه مع الملائكة، فيأخذنا إليه لنكون دائمًا معه. لذلك دعنا نمجده، هذا الذى وهو الإله الكلمة صار إنسانًا لأجلنا، هذا الذى تألم بإرادته فى الجسد وقام من الأموات وأبطل الفساد، هذا الذى ارتفع إلى السماء، وسوف يأتى بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات، وليعطى كل واحد بحسب أعماله، هذا الذى به ومعه لله الآب يليق المجد والقوة مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

(انتهى)



كتابات الآباء التى صدرت

١-٣٨ ، ٤١ : نصوص للآباء صدرت ونفدت .

٣٩ : رسائل القديس كيرلس (الجزء الرابع) من ٥٠ — إلخ

٤٠ : تفسير الرسالة الثانية إلى تيموثيئوس — للقديس يوحنا ذهبى الفم.

٤٢ : شرح إنجيل يوحنا — الجزء الثالث — للقديس كيرلس الأسكندرى .

٤٣ : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الرابع) للقديس كيرلس الأسكندرى .

٤٤ : رسائل القديس أنطونيوس جـ٢ (طبعة ثانية لرقم ١٠).

٤٥ : حوار حول الثالوث — للقديس كيرلس الأسكندرى .

٤٦ : رسالة اكليمندس الرومانى إلى الكورنثيين .

٤٧ : المسيح فى رسائل القديس أثناسيوس (طبعة ثانية منقحة لرقم ١٣).

٤٨ : عن الصليب للقديس يوحنا ذهبى الفم

٤٩ : عيد الخمسين للقديس يوحنا ذهبى الفم (نفد)

٥٠ : عظات القديس مقاريوس الكبير — طبعة ثالثة منقحة

٥١ : شرح إنجيل يوحنا — الجزء الرابع — للقديس كيرلس الأسكندرى

٥٢ : ميلاد المسيح — للقديس يوحنا ذهبى الفم

٥٣ : قيامة المسيح وقيامة الأجساد — للقديس يوحنا ذهبى الفم (نفد)

٥٤ : صعود المسيح — لغريغوريوس النيسّى، يوحنا ذهبى الفم، بولس البوشى

٥٥ : المقالة الرابعة ضد الأريوسيين .

٥٦ : رسائل القديس كيرلس الأسكندرى إلى نسطور ويوحنا الأنطاكى (طبعة ثانية)

٥٧ : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الخامس) — للقديس كيرلس الأسكندر

يطلب هذا الكتاب من :

✝ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت : ٤٠٢٣

✝ بيت التكريس ت : ٤٨٣٦٣٨٩.

✝ ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة : ٤ جنيهات